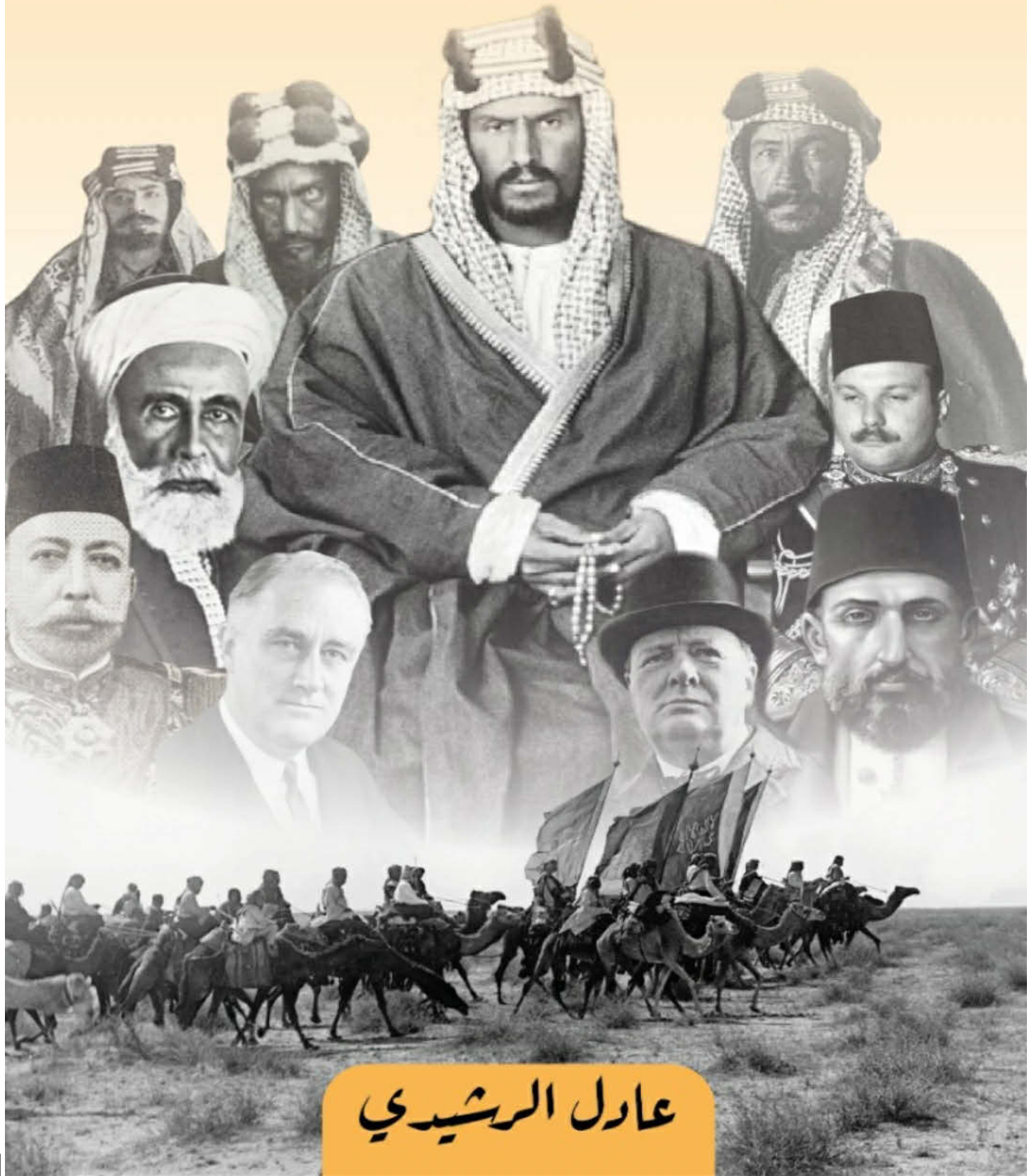


ترواييتنا

حينما يتسم القدر



عادل الرشيد

اسم الكتاب: حينما يتسم القدر (رواية

تأليف: عادل الرشدي

الطبعة الثالثة: ٢٠٢٠م / ١٤٤١هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ديوي: 813.0873

رقم الايداع: 2012/63

ISBN: 978-99966-0-095-1

1. القصص التاريخية

2. قصص البطولات

3. المملكة العربية السعودية - تاريخ - العصر الحديث -

عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

* All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the author.

حينما يتسم القدر (رواية)

تأليف
عادل الرشيدى



● رواية تاريخية تروي الأجيال كيف كافح الآباء لبناء هذا الوطن وكيف تكاتفوا وتماسكوا وسط أبواق الفتن التي تريد هدم وطنهم.

سمو الملكي الأمير

د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود
أمير القصيم

● استطلاع الروائي والمؤرخ عادل الرشيد استنطاق التاريخ بهذه الرواية.

المؤرخ أ.د. عبدالله العثيمين (رحمه الله).

● صياغة فنية وحبكة إبداعية وتمكن من مفاصل الأحداث التاريخية التي تجعلك تعيش حدث هذه الرواية.
الباحث والمؤرخ أ. راشد العساكر

● يُعد .. صرح الأستاذ عادل الرشيد أو روايته (حينما بيتسم القدر) هي صرح منيف زينته بدايات (ال ٢٥ صيفاً) التي تحكي حلم الملك عبدالعزيز في بداياته الأولى ورصعته (ال ٢٥ خريفاً) التي تساقطت فيها أوراق الحلم ليحل مكانها أوراق تفسير الحلم وتحقيقه على أرض الواقع وكانت جوهرة التاج فصول (ال ٢٥ شتاء) التي تكامل فيها بناء قطب دولة مركز تسمى المملكة العربية السعودية كانت ومازالت محورا أساسيا لأحداث الشرق الأوسط.

الكاتب فهد ابن حجري

● استطلاع الروائي عادل الرشيد أن يلهم شمل موضوعه ويثبت بجدارة أنه قادر على الإحاطة بالفكرة الرئيسية من خلال حبكة متقنة وسرد متقن.

د. إيمان بقاعي

● رواية لها عمقها التاريخي مما يجعل القارئ يحيط بتفاصيل قيام المملكة العربية السعودية.

د. فهد ابن صبح

● ويحدود ما وقفت عليه لم أجد عملاً أدبياً وثق سيرته وتتبع مراحل حياته وفق بناء سردي أصيل إلا هذا العمل الموسم بي حينما بيتسم القدر.

أ.د. عبدالله السويكت



عادل الرشدي

مؤرخ وروائي

عضو رابطة أدباء الكويت
عضو رابطة أدباء الشام
حاصل على دبلوم هندسة طيران
من NETSAFA الولايات المتحدة
الأمريكية

مؤلفات

- ١- رواية ركبان الموت_ ملحمة داحس والغبراء
- ٢- رواية حينما بيتسم القدر.
- ٣- الكويت و قبيلة الرشادة كتاب تاريخي.
- ٤- رواية بيسان الحب والكراهية.
- ٥- المختصر المبين في سيرة خاتم النبيين.
- ٦- همدان سيناريو فيلم.
- ٧- سيناريو ملحمة داحس والغبراء

الإهداء

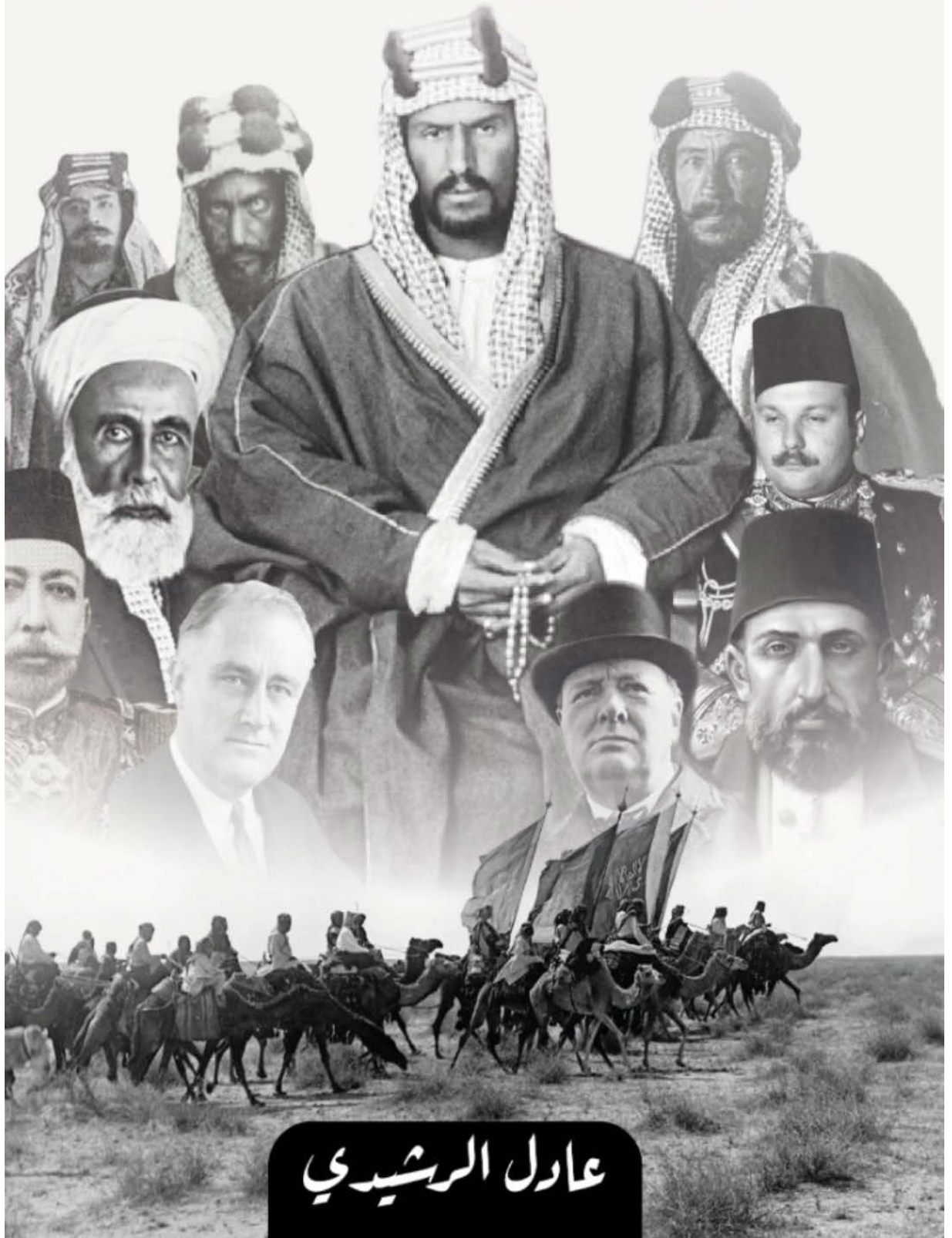
إلى كل من أحب

إعلاء كلمة

الآن لله والآن لله

تُرُوَيْتِ

حينما يتسم القدر



عادل الرشيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بوح المؤلف

القاعدة واحدة لهذا الكون اللا متناهي الأبعاد ولكل أمر فيه قاعدة تعود إلى هذه القاعدة الواحدة...

فَلِلدُّوْلِ أَعْمَارٍ، وَمَعْيَارِ أَعْمَارِهَا وَامْتِدَادِهِ هُوَ الْعَدْلُ، وَقَدْ تَرَجَّم الشَّاعِرُ الْأَنْدَلِسِيُّ ذَلِكَ حِينَ قَالَ:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَإِ يُغْرُبُ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

حملت الدولة العثمانية راية الدعوة لدين الله في زمن تخاذل فيه ولاة المسلمين، فتعلقت قلوب المسلمين بمحبتهم رغم الدماء التي سفكها الحاكم من قتل أو حبس لإخوته نظير تسلمه مقاليد السلطة. استمر توسعهم وبسطوا نفوذهم على العالم حتى وصلوا إلى قمة هرم مجدهم زمن حكم السلطان سليمان القانوني ثم كان الانحدار...

كانت أوروبا تهتز فرقاً من السلطان سليمان، فلما ولت أيامه بدأت تنمو وتقوى، فبدؤوا بأخذ العلم وتعلمه وتطبيقه على مجتمعاتهم، بينما كانت الخلافة في قتال حول السلطة، يولى حاكم ويعزل حسب أهواء ومصالح المحيطين به، فأل حال الأمة إلى الضياع.

فإذا تلف الرأس تبعه البدن...

ضاعت البلاد التي استولى عليها العثمانيون في أوروبا وآسيا، وسيم

أهلها من المسلمين ألوان الذل والمهانة والعذاب، بل لقد احتُلت الأجزاء الغربية من الوطن العربي، في حين بدأت أوروبا ممثلة ببريطانيا وفرنسا بالتدخل في شؤون الدولة، وبدأ اليهود في تنظيم أمورهم والاستحواذ على السلطة، فبدأت حجة أوروبا في حماية النصارى من المسلمين وأخذت تنشر الفتنة بين الفريقين حتى ينشب القتال بينهما فتجد المبرر، لم يكن ذلك خشية من الدولة بل من أجل تأييد مجتمعها لها ومناصرتها...

أمام هذا الانكسار والضعف لم تحن ساعة تدمير الدولة من قبل الغرب الذي أخذ يعد عدته لذلك بعد أن أنهك الدولة بالديون، بيد أن الإمبراطورية الروسية تعجّلت واحتلت إسلام بول ومناطق البحر الأسود في منتصف القرن التاسع عشر، فأعلنت أوروبا الحرب وأرعدت طبولها فمدت يد المصلحة للدولة، وأسهمت بطرد الروس ودحرهم إلى أن أوصلوهم لعاصمتهم سان بطرس بورغ...

لم يكن رعايا الدولة يَمْنَأى عن انحدارها، فقد كان العرب يعيشون في حالة يرثى لها وقد أظلمت البدع في دينهم، وكان حال جزيرة العرب خاصة حال سوء يشفق له السوء ذاته ويحزن لحال من نشروا النور، فقد أهملت الدولة حالهم ولم تصلح أمورهم، فعندما وصلت للانحطاط برز شخص الشيخ محمد ابن عبد الوهاب داعياً لنبذ البدع وإحلال الشرع بنظام الحكم، فساند دعوته الإمام محمد بن سعود ونشرها، فازداد الإقبال عليهم وأمدهم الله بنصره فتوسعت الدولة الناشئة على نهج السلف الصالح، فقمعت البدع والظلم والجهل من الأراضي التي طالتها أيديهم، ولم تقف الدولة الناشئة المجددة عند وفاة مؤسسها بل امتدت وشملت الجزيرة العربية، فدكت المقامات في العراق وبسطت نفوذها على الحجاز وأجزاء من الشام...

دق ناقوس الخطر في أوروبا عندما رأوا مدّاً إسلامياً قادمًا، فتنادوا ومولّوا وسلّحوا صنيعة الإنجليز محمد علي باشا، فأرسل الجند فدكوا الدولة الناشئة وقتلوها وبارك الغرب ذلك الانتصار وزفوا التهاني للخليفة،

وأسهموا بوصف الدولة الناشئة بالمبتدعة والخارجة على الإسلام وعلى خليفته الذي ولي أمره اليهود والنصارى، وكان من أسباب سقوطها عدم معرفتها بالسياسة الخارجية الجديدة والعصر الذي أطل بالعلوم الحديثة...

ثم عادت الدولة الناشئة للحياة من جديد بعد بضع سنين، فأخذت تتوسع ولكن في تمهّل حتى حدث نزاع بين أبناء مؤسسها فاستولى على الحكم أحد أتباعها.. ترددت كثيراً في تأليف هذه الرواية التي تتناول شخص الإمام عبد العزيز (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، فقد ألفت عنه عشرات الكتب المصنفة وكتب عنه عمالقة الكتاب والعلماء... بيد أنني قد علمت أن لكل عصرٍ لغته، ورأيت الكثير يجهلون حقيقة أمره، وقليل منهم من يعلم ومضات عن حقيقته، فأحببت أن أكتب عنه بطريقة روائية تقصر المسافة في الحصول على إلمامة عن حياة هذا الرجل، وتري القارئ...

- كيف وحّد الدولة وأرعى سدائل الأمن؟
- وكيف أحكم الشرع في ظل انحطاط الأمة بأسرها...؟
- بل كيف قاتل بنفسه وتحمل الآلام الجسدية والنفسية...؟
- وكيف جرى الدهاء وأنقذ العرب من افتراس الغرب إياهم...؟
- وكيف حكم الشريعة الإسلامية في دولته ولم يبال بزوال ملكه لقاء هذا الأمر الذي لا يستسيغه الغرب ويحاربه بشدة...؟
- شرعت في الكتابة... شهراً وشهرين وثلاثة بل وأربعة حتى انتصفت فيها. فقررت التوقف واستخرت من الأمر برمته، وفي إحدى الليالي وبينما النفس في قبضة الرحمن رأيت رؤيا عجيبة...

رأيت الإمام عبد العزيز في شبابه واقفاً في بيداء ممحلة!

وعن يمينه بيتاً من الشعر شديد البنيان متماسك الأطراف لم يستطع الغبار الذي عليه أن يخفي لونه أو ييشع منظره، وخلفه شجرة كثيرة الأغصان خاوية على عروشها، وعن شماله أسد وشبل يلحق أصابع يد الإمام اليسرى، وقد

حفت به حيوانات مختلفة منها الأليف ومنها المفترس، والأخيرة تهجم على الأولى التي تفر منها بأمان وقد طالتها مخالب الأخرى غير أنها تكف عنها...
فجأة!!!

استحسنت^(١) الأرض، وبدأت الشجرة الخاوية تحيي ويكسوها ورد زهري اللون رائع الجمال، وقائل يقول لي:

- «إن هذه هي سلّة الزهور ولا تنبت إلا في جزيرة العرب».

عندها أزمعت إكمال هذه الرواية التي بين يديك أخي القارئ.

فأسأل الله عزّ شأنه أن يفتح على بصيرتك بها، وترى حقيقة هذا الرجل الذي حمل راية التوحيد وجعلها راية لبلاده في ظل شريعة الله عزّ شأنه وتقدّست أسماؤه.

(١) استحسنت: نمت وربت.

مدخل الرواية

فقه العرب في الجاهلية لغتهم وحالهم وما حولهم من أمور تحدث في البلاد القريبة والبعيدة، ومع ذلك دب بينهم التعصب القبلي والقتال فيما بينهم من أجل الانتقام أو المغنم، إلا أنهم يتوقفون عن ذلك ساعة دخول الأشهر الحرم احتراماً وإكباراً وإجلالاً لها، فلربما سار القاتل بين يدي أهل القتيل فلا يقتلونه حرمة لها...

ثم أرسل خير البرية (ﷺ) فربط هذه القبائل بحبل الإسلام، وأمرهم برفع منارة التوحيد ونشرها في البلاد المظلمة، وأن يحطموا حواجز الظلمة حتى يشع النور في أرجاء البلاد، فتسابقت كل قبيلة لرفع منارة التوحيد والتباهي بها بعد أن كانوا يتنازرون بالألقاب ويفتخرون بالأنساب والأحساب، فكانوا كذلك حتى سقطت الخلافة الأموية، ونهضت الخلافة العباسية على مبدأ تداول السلطة القيادية بين العرب والعجم، الذين تقدموا واستحوذوا على بلاد الخلافة التي لم يكن لها نصيب من الحكم سوى اسمها...

أقصى العرب في نهاية القرن الثالث الهجري عن السلطة إلا ما تيسر، واستؤثرت على أبناء جنس العجم الذين كانت لهم اليد الطولى في حكم بني العباس، فتاهت الجزيرة وتقاذفتها التيارات حتى ألقته في بحر الظلمة عندما اجتاحت التتر مدينة السلام، ثم غرقت في بحر الجهل مع مضي العقود والقرون فلفظ الأمن أنفاسه، وانبثقت روح التشردم والتعصب القبلي وضعف الوازع

الديني بين أهلها إلا من رحم الله، فأخذت كل قبيلة بغزو الأخرى، وعطل الحج من سنة إلى أخرى ولم تقيدهم أشهر حرم ولا غيرها، وشاعت التمايم وتوسل بعضٌ منهم بالشجر والحجر وفرح الشيطان أشد الفرح لما رأى ظلمته تغشى مهد الإسلام.

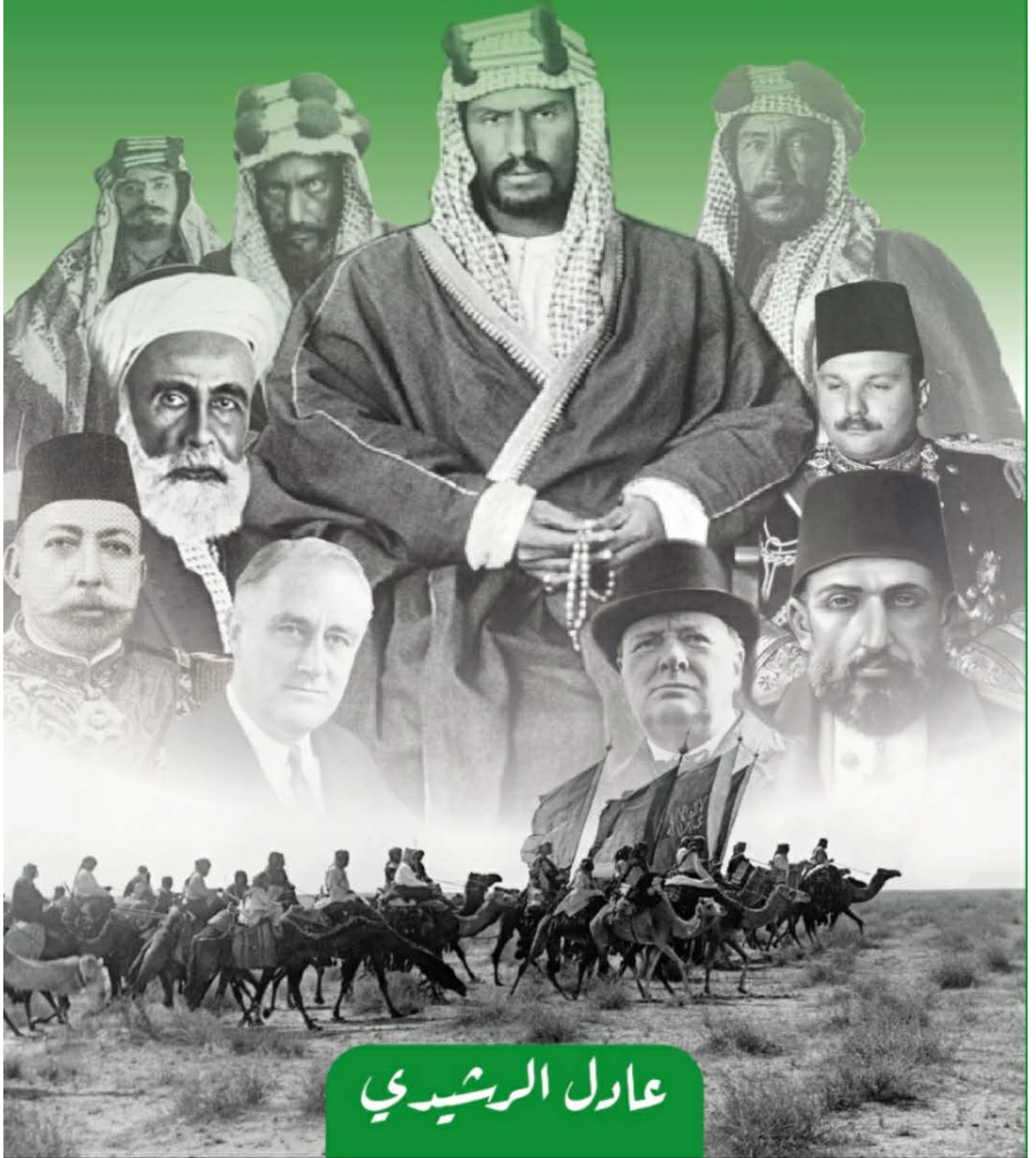
بيد أنه رأى نوراً ينبثق على يدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأمير الدرعية محمد بن سعود الذي نصر دعوته لينير للعباد طريق الرشاد، فنخر لذلك الشيطان وأرشى الفتنة وجند خيله وجنده ليحل جمع أنصار ذلك النور فتم له ذلك، فبقي أثره في أنفس العباد ينتظرون عودة حملة لوائه ليؤازروهم على انتشال أهل الجزيرة من بحر الجهل الذي صَمَّ الآذان وأتلف العيان.

الفصل الأول



٢٥ حيناً

حينما يتسم القدر



عادل الرشدي

الكويت ١٨٩٦ م

ملأت السفن الشراعية ميناء الكويت واشتغل من عليها بمهامه فمنهم من يطوي الأشرعة ومنهم من ينزل البضائع، وقد اجتمع الناس حولهم. كان هذا المشهد ترقبه عينا فتى في العقد الثاني من العمر وافقاً على ربوة مرتفعة ليست بعيدة عن الشاطئ غير أن قلبه كان في مكان آخر...

يسترجع ذكريات بعيدة...

يسترجع خلافات أسرية أودت بضياح ملكهم واستبداد خصمهم عليهم. يتذكر تلك اللحظة التي أمر فيها خصمهم هدم جانباً من سور مدينته وهو ينظر إليه بحرقه وألم وإلى جواره مجموعة من الغلمان الذين زجرهم أحد العبيد فانزجروا إلا هو، وحاول العبد زجره إلا أن سيده نهاه وقال له:

دعه فإن قلبه يحترق حسرة على ملك آبائه.

أخذت الذكريات تبحر به من لجوئهم إلى البحرين ثم قطر وأخيراً إلى

الكويت..

فجأة!

غار بحر الذكريات حين انتبه الفتى إلى اليد التي اعتصرت كتفه بلطف من الخلف، فالتفت فرأى رجلاً في العقد الرابع حاد الوجه واسع العينين كأنه الفهد، فقبّل الفتى يده قائلاً:

- منذ متى وأنت هنا يا أبي؟

- منذ دقائق وأنا أرقبك وكأنك في عالم آخر، هل عدت تتذكر ديارك؟

الفتى بحرقة: نعم يا أبي.

- بُنيّ عبد العزيز لقد استنفدنا ما لدينا من أجل استرداد ملكنا ومات أخاك فيصل في الأسر نتيجة ذلك، كما أن النصر ركن إلى جانب خصمنا، فقد زوده الترك بأسلحة حديثة وساندوه كما تعلم، كذلك قبل الشيخ محمد الصباح إيواننا في بلده بإيعاز من العثمانيين حتى نكون تحت أعينهم.

- أعلم هذا يا أبي.. إن إقامتنا في الكويت فتحت عيناى على الكثير من الأمور التي تحدث في العالم، فعلمت أن الدولة العثمانية تحتضر وقد أطبق عليها أعداؤها لاقتسامها واشربأت أعناقهم، وما هي إلا لحظات حتى تمحى من خارطة العالم ويضيع أهل الإسلام، فكأنه ألقى على كاهلي عبء أكبر بأن أذود عن الإسلام وأسترد ملكنا وأوقظ العرب من سباتهم، ونعد العدة والعتاد للتصدي لمن يريد احتلال جزيرة العرب.

ثم نظر إلى والده وهو يردف قوله:

- ثم يعود عبد الرحمن بن فيصل إلى ملك آبائه.

- لعل قدومنا إلى الكويت خير من الله لنا يا بُنيّ...

ثم أطرق برأسه مما دعا عبد العزيز ليسأل:

- ما الأمر يا أبي؟

- لن يساعدنا أحد ويمد لنا يد العون، فلا بد لنا من المال والعتاد.

- سنحاول جمع حلفائنا الذين قدموا إلى الكويت من أجلنا، ونستنهض من كره حكم خصمنا.

- إن الأعين عليهم حتى إنهم لا يكادوا يأتوننا ولكن! لعل فرج الله قريب يا بني.

فردد عبد العزيز مقولة والده الأخيرة:

«لعل فرج الله قريب».

ثم عادا إلى محل إقامتهما.

مبارك الكبير (*)



الشيخ مبارك الكبير.

خرج الإمام عبد الرحمن وأبنائه من المسجد بعد صلاة الفجر، عائدين إلى منزلهم فالتقوا بابن عمهم عبدالله بن جلوي، فدعاه الإمام لتناول الإفطار معهم.

كان طعامهم بعضاً من الثريد الذي طعم باللبن والزيت، فلما تحلّقوا حوله وذكروا اسم الإله عليه، قاطعهم طرق شديد على الباب!
■ الإمام عبد الرحمن: خيراً بإذن الله.

فقام سعد وفتح الباب كان الطارق أحد أعوانهم الذي طلب مقابلة الإمام فأدخله سعد عليه، كان الارتباك والقلق يلوحان على وجهه.

(*) ولد الشيخ مبارك بن صباح الصباح سنة ١٨٤٠م، حاكم الكويت السابع والمؤسس الحقيقي لها. تولى الحكم في ١٧ أيار/ مايو ١٨٩٦م، ولُقب بـ«مبارك الكبير». =

- مما دعا الإمام ليقول له: ما الأمر يا عبدالله لقد نقلت لنا قلقك؟
- عبدالله وهو يتلع ريقه: لقد تسلم الشيخ مبارك مقاليد الحكم.
- الإمام عبد الرحمن مستغرباً: هكذا! هل تنازل له الشيخ محمد عن الحكم؟
- عبدالله: لا لم يتنازل عنه.
- استغرب الإمام عبد الرحمن ومن حوله الأمر بشدة!
- الإمام عبد الرحمن: ويحك أخبرنا بالأمر؟
- عبدالله وهو مطرق: لقد أزاح الشيخ مبارك أخويه محمد وجراح عن الحكم.
- فهم الجميع القصد فخيم السكون عليهم برهة فقصه عبد العزيز بقوله: وأين حرس القصر ألم يفعلوا شيئاً؟
- عبدالله: لقد استعان الشيخ مبارك بأصدقائه الرشيدة الذين أحاطوا القصر وجرّدوا حرسه من السلاح وأوثقوهم، ثم أصبحوا حرسه الخاص وهو الآن في القصر يبايعه أهل الكويت.
- أشار الإمام عبد الرحمن له بالانصراف ثم قال: إننا لله وإنا له لراجعون، ليس لنا حل أو عقد في مثل هذه المسائل، وهذا شأن داخلي لآل الصباح فتحضروا لنذهب إلى الشيخ مبارك.

* * *

= ازدهرت الكويت في عهده تجارياً، وشُيّدت فيها أولى المدارس النظامية، كما شُيّدت في عهده أولى المستشفيات الطبية. وتنص المادة الرابعة من الدستور الكويتي بأن جميع حكام الكويت من بعده هم من ذريته بأبنائه وأبناء أبنائه. والدته هي لولوة بنت محمد بن إبراهيم الثاقب ابنة أمير الزبير. توفي في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٥ م.

امتلات قاعة القصر بأعيان ووجهاء الكويت الذين جلسوا بصمت، يستمعون لحديث الشيخ مبارك عن أحوال المنطقة وقد انتشر رجاله المسلحون حوله، وحول القصر وفي الطرقات أيضاً لحفظ الأمن. وبينما الشيخ يتحدث دخل عليه آل سعود يتقدمهم الإمام عبد الرحمن ثم عبد العزيز، قام الشيخ مبارك ورحب بهم فبادلوه التحية والتهنئة بالحكم، ثم دعا الإمام عبد الرحمن وابنه عبد العزيز للقعود بجواره، فقعد عبد العزيز عن يمينه، تحدث الشيخ مبارك مع الإمام عبد الرحمن ثم التفت إلى عبد العزيز.

- الشيخ مبارك: أهلاً بولدي عبد العزيز.
- عبد العزيز مبتسماً: أهلاً بك يا أبي.
- الشيخ مبارك: لك حرية الدخول عليّ في أي ساعة شئت يا عبد العزيز وطلبك أمر مجاب.
- عبد العزيز: تعرف طلبنا يا أبي.
- الشيخ مبارك: نعم أعرفه ولكن ليس هذا وقته الصبر يا بني، الصبر. صمت عبد العزيز بينما أخذ الشيخ مبارك يتحدث ويأمر وينهى، حتى دخل عليه وفد من الدولة العثمانية يهنتونه بالحكم ثم دخل عليه أيضاً وفود من بريطانيا وروسيا وألمانيا للتهنئة، فانفض المجلس إلا من أرباب تلك الدول فبدؤوا بمناقشة الشيخ مبارك في مصالحهم المشتركة.

* * *

سار عبد العزيز وصديقه أحمد الجابر في باحة القصر التي اكتظت بطوابير المهنتين، فسارا حتى وصلا إلى شاطئ البحر، كان عبد العزيز يحدثه عن محمد الرشيد الذي تفضل عليه جدّه الإمام فيصل بتولية منطقة حائل لأبيه عبدالله العلي، واستغلال محمد خلاف أسرة آل سعود على حكم الرياض ونهبه لمقر السلطة التي سوّده على قومه وغيرهم، ويتمنى أن يمد له أبيه مبارك يد

العون والمساعدة لاسترداد الرياض ، فأجابه أحمد بأن أباه مبارك سيساعدهم ما استطاع والأيام كفيلة بذلك.
فافترقا وعاد كل منهما إلى مقره.

دلف عبد العزيز إلى منزله فوجد أباه وأمه يتحدثان فسلم عليهما ثم قعد، فأنته أخته نورة بقدح من الشاي.

■ سارة: بني.. لِمَ هذا الكدر؟

■ عبد العزيز: همة يا أمه لا تعرف السكون تكاد تمزق فؤادي إن لم نسترد ديارنا.

■ سارة: بني لكل منا قدره ونصيبه، فإن كان مقدراً لنا استرداد ديارنا فلن يقف أحداً في طريقنا ولو كنت لوحداً، وإن كان الذي نكره فلذلك قدر الله وحكمته فعليك بالصبر والدعاء.

■ نورة: يا إذن الله يا عبد العزيز سوف تتاح لنا الفرصة فعليك بالتخطيط والتدبير لذلك والشيخ مبارك يحبك كثيراً ويعتبرك كأبنائه فلن يتوانى عن المساعدة.

■ الإمام عبد الرحمن مبتسماً: سوف أفتح الشيخ مبارك بهذا الأمر لعل الله أن يأمره بمد يد العون لنا، كما أن أعواننا سيجدون متنفساً لهم بعد حكم الشيخ مبارك ويفد الآخرون إلينا من كل مكان، فقد سمح لي الشيخ بعقد الاجتماع بهم في أي وقت أشاء، فهذا علامة منه بمد يد المساعدة.

تهللت أسارير عبد العزيز بسماع ذلك وشكر أباه على هذه الأخبار المطمئنة والسارة، ثم استأذنه للشروع في إخبار أبناء عمومتهم بهذا الخبر المفرح وكذلك ليجمع الأعوان، فأذن له. فانطلق وقد تفاءل خيراً بحكم الشيخ مبارك وأخذ يرسم الخطة لفتح الرياض ثم نشر مبدأ أسلافه في جزيرة العرب، وإنقاذها من الشر القادم إليها، بعد أن حجب الجهل المتراكم منذ قرون أهلها عن مخططات ذلك الشر الكبير.

بداية النهاية

استشاط يوسف إبراهيم المقيم في البصرة غضباً لما علم بحكم الشيخ مبارك للكويت، وقد كان خالاً له وللحاكم السابق فأخذ يوقر الصدور على الشيخ مبارك ويدفع الهبات لمن يغتاله، ولكن لم يجبه أحد فمرت خمسة أعوام ولم تخمد نار كيده حتى وجد في حاكم حائل الجديد عبد العزيز بن متعب الرشيد ما قد يطفئ ناره ويشفي غليله، فأرسل إليه أحد أبناء محمد الصباح ووعدته بالمال الكثير والسلطة على الكويت إن هو وثب على الشيخ مبارك وقتله هو ومن ساعده على الحكم.

استجاب ابن رشيد لذلك ليس طمعاً في المال بل للهيمنة على الكويت، بعد أن اشتهرت بالتجارة في عصر الشيخ مبارك، وعلا صيتها وأصبحت بوابة للتبادل التجاري بين العالمين الآسيوي والأوروبي.

* * *

أصابت الرصاصة هدفها بدقة متناهية فتلتها رصاصة أخرى استقرت بقربها في جذع نخلة خاوية في الصحراء، كان الراميان يبعدان عنها كثيراً بحيث لا تكاد تبين للعيان، فسارا نحوها على حصانيهما حتى اقتربا منها، فترجلا واقتربا من النخلة يلتمسان أثر الإصابة فقال أحدهما:

- لقد أصبناها لكن! لمن الرصاصة التي أصابت منتصف النخلة يا عبد العزيز؟

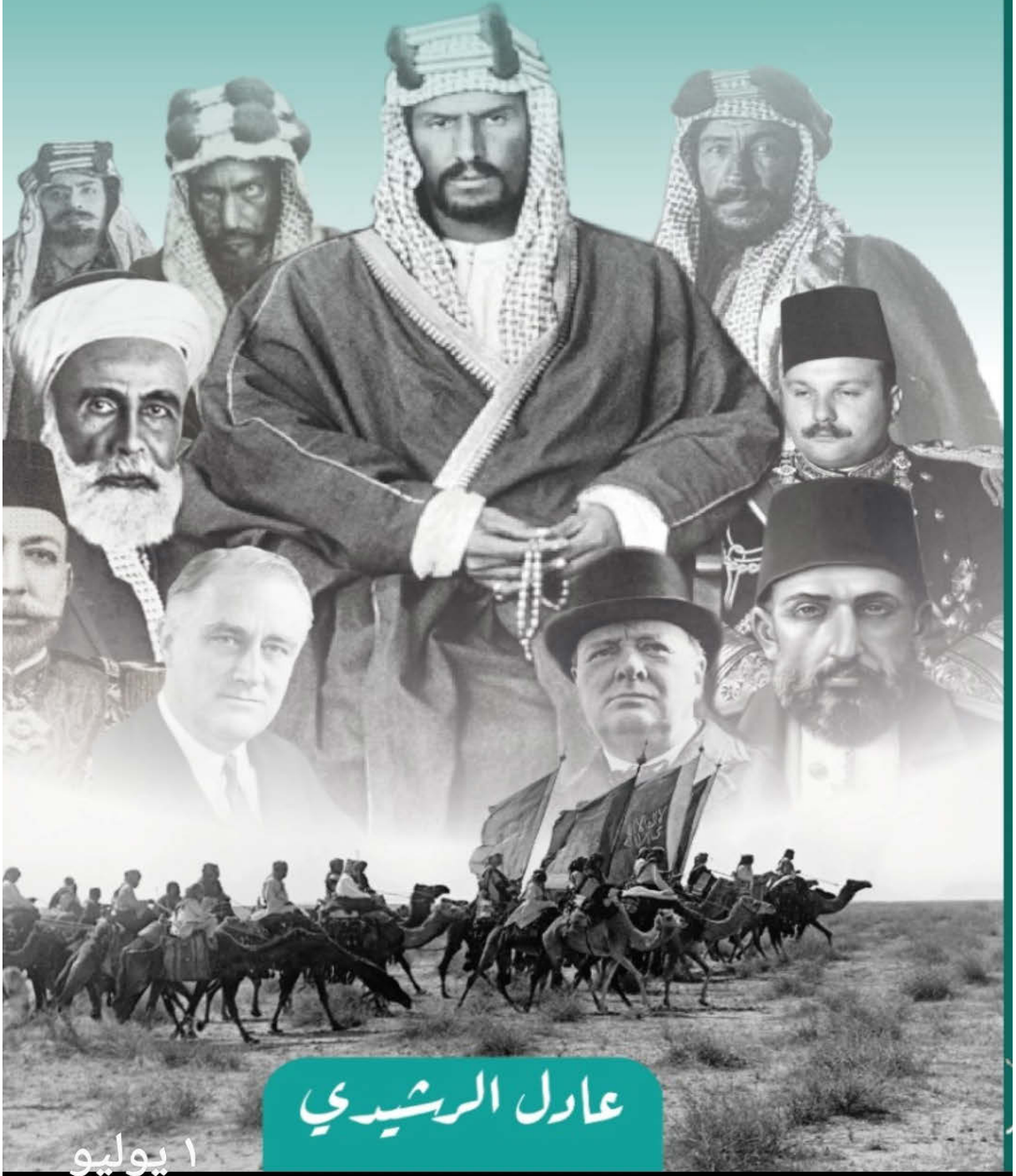
■ عبد العزيز مبتسماً: لا بد أنها لك يا عبدالله فأنت ماهر في الإصابة.

- ابتسم عبدالله بن جلوي بدوره وهو يحاول إخراج الرصاصة بخنجره:
- لكن لست أمهر من القائل وأنا أؤكد أنها رصاصتك.
- عبد العزيز: وما الذي يؤكد قولك؟
- عبدالله وقد فرغ من إخراج الرصاصة ثم رماها إلى عبد العزيز الذي أمسك بها.
- عبدالله: هذه الرصاصة تؤكد قولتي لأن رصاصتي معلّمة بخدش خدشته عليها بخنجري.
- قلب عبد العزيز الرصاصة بين أنامله وهو يتطلع جهة الجنوب كالذي ينتظر فرجاً من السماء.
- عبدالله وهو ينظر تلقاء نظره: سوف يأتي اليوم الذي نخرج فيه إلى الرياض بجيش جرار لا قبل لابن رشيد هو وأعوانه به.
- عبد العزيز: متى يا ترى هذا اليوم يا عبدالله متى؟
- عبدالله وهو يعتلي صهوة جواده: قريب بإذن الله كما أن الشيخ مبارك لن يتوانى عن مساعدتنا.
- عبد العزيز: مرّت خمسة أعوام ولم يصارحنا الشيخ بذلك علانية فقط يلمح لنا.
- عبدالله: لقد هياً لنا أسباب ذلك بسماحه لنا في الاجتماع مع أعواننا و..
- عبد العزيز مقاطعاً: أعلم هذا يا عبدالله فلم يقصر الشيخ بشيء تجاهنا، كما زاد في عطائنا ووسع دورنا وأشعرنا وكأننا من أفراد أسرته، كما أعلم بسبب عدم ميله لإحدى الدول التي تلاطفه لكسب ثقته وهو يفضل أن تكون الكويت عوناً للدولة العثمانية، لكن ضعف الدولة وحقيقة أمرها بأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة لا يساعده على اتخاذ هذا القرار الخطير الذي ربما كان نتيجته احتلال الكويت.
- عبدالله: إذن علينا الانتظار إلى أن يسمح لنا.

- عبد العزيز وقد ركب جواده وشد العنان: سوف أراجعه غدا وأطلب منه أن يأذن لنا.
- قال عبد العزيز كلماته وقد انطلق بحصانه ولحقه عبدالله محاولاً سبقه، فلما لاح لهما سور الكويت وقد شارفت الشمس على المغيب، رأى فارساً مندفعاً نحوهما وهو يشد على فرسه فتمهلاً!
- عبد العزيز: اللهم اجعله خيراً.
- عبدالله وهو يمعن النظر بشدة: كأنها فرس أخاك محمد. فلما اقترب منهما لم يكن الفارس سوى محمد، الذي أخبرهما بأن خيلاً عبد العزيز ابن رشيد قد أغارت على نعم أهل الكويت ونهبتها فأرسل الشيخ مبارك رسلاً يستوضح أمره.
- عبد لعزيز هذه بداية نهايته يا قوم. ثم انطلقوا نحو البلد.

* * *

حينما يتسم القدر



عادل الرشيدى

١ يوليو

جبايل الأقدار

بعد عدّة أيام انصرف رسل مبارك من ابن رشيد الذي احتقرهم وأعلمهم بأنه سيغزو الكويت ويطيح بحاكمهم، وأخذ يهيئ العتاد والعدد ويرسل في طلب العون من العراق والشام، وقد لاح له تحقيق حلمه باحتلال الكويت لتكون ميناء هاماً لدولته، ولم يعلم بأنها سوف تكون المعول الذي هدم أركانها في حقيقة الأمر، ولم يمثل لمقولة عمه محمد عند احتضاره بعدم الإقدام على مهاجمة الكويت، لكن ساقته الأقدار التي اختطها لنفسه وقد طُوِّت في طيات علم الغيب.

أرسل الشيخ مبارك إلى أعوانه وخصوم ابن رشيد ليساندوه في حربه، وقد اجتمع آل سعود وأعوانهم من آل مهنا أمراء بريدة وآل سليم أمراء عنيزة وغيرهم، فأخبرهم بأن هذه الحرب هي نهاية عدوهم وهو يومهم الذي طالما تمنوه وبالأخص ابنه عبد العزيز فاستعدوا أشد الاستعداد.

بعد أيام اجتمع للشيخ مبارك جيش عظيم عرمرم من مختلف القبائل في نجد والعراق، كان قوامه عشرة آلاف مقاتل، منهم من كان بينه وبين الشيخ مبارك معاهدة للنصرة، ومنهم طمعاً في الغنائم أو للانتقام من ابن رشيد الذي بطش بأهل نجد وظلم، فزحفوا نحو عدوهم وقد أيقن الجميع بالنصر. اقترب الجيش من شعيب الشوكي وقد خيم الليل عليهم، فنشر الشيخ

الأعين في كل اتجاه وأمر الجيش بالنزول للراحة، فبينما هو مجتمع مع قاداته يناقشهم في شؤون الحرب.

■ **عبد العزيز:** أسمح لي يا والدي بطرح اقتراح يكون فيه تشتيت بال العدو ويربك أمره.

■ **الشيخ مبارك:** تكلم يا ولدي بما يجول بخاطرك فنحن شركاء في هذه الحرب.

■ **عبد العزيز:** أقترح أن أفترق عنكم بألف رجل فأسترجع الرياض، وأيضاً ترسل عدداً من الجنود مع آل مهنا فيحاصرون بريدة وكذلك آل سليم يحاصرون عنيزة، فعندها سيرتبك العدو عندما يعلم بضياح هذه الديار منه، ويخشى على مدينته حائل من هذا الزحف.

■ **الشيخ مبارك بإعجاب:** ما رأيكم يا سادة؟

■ **القوم بصوت واحد:** مقترح مقبول إذا قبلته يا شيخ.

■ **الشيخ مبارك:** نعم القول قولك يا ولدي فقم من ساعتك وخذ من أردت معك إلا أباك عبد الرحمن فأريده معي.

قام عبد العزيز من فوره فرحاً وهو يشكر الله على تيسيره للأمر فجمع الرجال، وسار في تلك الليلة إلى الرياض وهو يتمنى لو تطوى الأرض له فيكون على أبوابها، وقد استنشق عبيرها لا بأنفه بل بروحه التي طالما تآقت لتلك الأرض.

الصريف ١٩٠١م (*)



جيش مبارك الصباح في معركة الصريف سنة ١٩٠١م.

هرب أمير بريدة المعين من جهة ابن رشيد منها عندما علم بزحف جيش الشيخ مبارك، ودخلها آل مهنا وقد استقبلهم الأهالي مستبشرين بهم، وكذلك دخل آل سليم عنيزة، ولما علم ابن رشيد بفقدان القصيم من يده وكذلك عودة آل سعود للحكم جن جنونه وسار بجيشه من حائل ولم ينتظر المدد، كان قوام جيشه ستة آلاف مسلح بأحدث الأسلحة الألمانية التي زوّده بها الدولة

(*) معركة الصريف: هي معركة حدثت في ١٨ آذار/ مارس ١٩٠١م بين دولة الكويت وإمارة حائل في الصريف شمال شرق بريدة، انتهت المعركة بانتصار عبد العزيز المتعب الرشيد.

العثمانية، ولما اقترب من الطرفية في موقع يقال له الصريف واجه جيش الشيخ مبارك.

استعد الجيشان للصدام، وتبادلا إطلاق النار ثم التحما وثار ترائحة الدم المختلطة بدخان البارود وأزهقت الأرواح. كان ابن رشيد شجاعاً مهيباً يقاتل بشراسة لكن لم يلبث ساعات حتى هزم جيشه فولوا الأدبار ففرح بذلك الشيخ مبارك، وأخذت جميع الأعراب بمطاردتهم وأخذ الغنائم وفعل الجيش مثلهم وحدثت فوضى في صفوفه، فنهاهم الشيخ مبارك وأرسل قاداته لإعادة صف الجيش الذي أخذ بالتفرق والاضطراب.

استغل ابن رشيد تلك الفرصة التي لاحت له، فأمر جيشه بالإحاطة بالعدو وإطلاق النار بلا توقف، كانت أكثر جموع جيش الشيخ منغلّة مشغلة بالإبل التي كسبوها..

فجأة!!!

أرعدت السماء بوابل من الرصاص ففزعوا أشد الفزع وتساقت الجثث من كل صوب ففر كل على رأسه، وحصر رجال الكويت وأصبحوا في مرمى العدو الذي أخذ بالتهايمهم، وحصر الشيخ مبارك وكاد أن يوقع به لولا التفاف الرشيدة حول واستخلاصهم له وإبعاده عن حومة الوغى وكروا به راجعين إلى الكويت، بينما اتجه الإمام عبد الرحمن بمن تبعه نحو الرياض، فلما اقترب منها أرسل رسولاً إلى عبد العزيز يخبره بالهزيمة المؤلمة.

علمى عتبات الرياض



قصر المصمك - الرياض.

كان عبد العزيز قد دخل الرياض من السور الذي هدمه محمد الرشيد، وحاصر قصر المصمك وقد أطلق عليه حراس القصر النار من فوق البروج، وتبادلوا إطلاق النار وأهل الرياض فرحين به، وقد اجتمع إليه عدد منهم يساندونه بالمال ويوفرون لهم الطعام.

- **عبد العزيز:** لم يبقَ علينا سوى هذا الحامية يا عبدالله ونسترجع الرياض.
- **عبدالله:** الحمد لله سوف تنفذ ذخيرتهم قريباً ويسلمون لنا القصر.
- **عبد العزيز:** نعم سوف نشغلهم بإطلاق النار من الجهة الشرقية ونرسل بعض الرجال ليحفروا حفرة أسفل السور.

فجأة اتاهم الرسول فأخبرهم بأن جيش الشيخ مبارك قد هزم شر هزيمة، وأن والدك يطلب منك الرجوع للكويت على وجه السرعة. أمر عبد العزيز رجاله على الفور بالتهيؤ للرحيل وقد لاحظ ارتباكهم وفزعهم لما علموا بهزيمة ذلك الجيش الكبير، فساروا عائدين للكويت.

ما ألد تلك الساعات أو الأيام التي يقترب فيها المرء من تحقيق هدفه، وما أمرها عندما تبعده عنه تلك الساعات والأيام وأقساها، فهذه الحياة لا تستقيم لامرئ حتى ترويه من نكدها لتذيقه تالياً من حلاوتها إن جادت بذلك. تجرّع عبد العزيز منذ صباه مرارتها عندما حدث النزاع بين عميه عبدالله وسعود الذي على أيدي أبنائه استطاع محمد الرشيد الاستيلاء على الرياض بعد أن غرر بهم، بأنه قدم لينهي الخلاف بينهم وأخرجهم من الرياض ليولي عليها خاله سالم السبهان، فضاعت إمارتهم بسبب تفرق كلمتهم رغم محاولات الإمام عبد الرحمن لاسترجاعها، وها هو يفقد هذه الفرصة أيضاً ولسان الحال يقول:

ومن صحب الدنيا طويلاً تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كَذِباً

عقاب المنهزم

لحق أحد سكان الرياض هو وأهله بأثر عبد العزيز ليلاً وقد اشتد البرد، وقد خشي من بطش ابن رشيد عندما يعلم بأنه أمد رجال عبد العزيز بالزاد مدة إقامتهم، فلما ابتعدوا عن الرياض مسافة يوم وقد أشرقت الشمس، رأوا بستان نخل في الصحراء فساروا نحوه حتى نزلوا بأطرافه، فرآهم صاحب البستان وكان رجلاً مسناً، فأتاهم وسلم عليهم وقعد بجوار رب العائلة الذي أخذ يكفكف دموعه.

- **المسن:** هلا نزلتم في قصري يا عبدالله؟
- **الرجل:** لا شكراً نحن على عجلة من أمرنا وسوف نرحل حالاً؟ وصاح بأهله أن يستعدوا للرحيل.
- **المسن:** على رسلك دعني أزودكم بالطعام والشراب ثم ارحلوا حيث شئتم.
- **الرجل:** حسناً لا بأس ولكن بسرعة.

أشار المسن لخادمه الذي كان يحرث الأرض فأتاه على عجل، وأخبره بأن يزود هذه العائلة بالتمر والسمن ويملاً قربهم ماء ولبناً. فذهب الخادم لتنفيذ الأمر، ثم استخبر المسن الرجل عن قصته، فأخبره أنه ساعد ابن سعود ورجاله لما دخلوا الرياض، والآن هو هارب من غضب ابن رشيد وقد ترك خلفه أملاكه وأقاربه متجهاً إلى الكويت حيث آل سعود. تأسف المسن لأمره وقال:

سبحان الله لقد مرّ عبد الرحمن آل سعود هو وعائلته منذ عقد من الزمان

في هذا الموضع لما جلاهم محمد الرشيد من الرياض، وأعتقد أن مصيبتهم أشد وأعظم من مصيبتك، وها هو ابنه عبد العزيز يثب لاستعادة ملكهم وأدعوا الله أن يوفقه لذلك، لقد حكم أجداده هذه البلاد ودانت لهم لما رأى الناس عدلهم واستتباب الأمن في البلاد، على نقيض آل رشيد الذين أخذوا يحيون المدن التجارية من أجل جمع المال، وتركوا أهل الوبر في ضياع من أمرهم كل يغزو ويدعو ذلك مغنماً، والآن ها هو ابن رشيد يطارد جيش الكويت ويقتلهم صبراً أمام الناس، والويل لمن يؤويهم، فقد أتاني شخصين من أهل الكويت ترتعد فرائصهم من البرد والخوف والجوع، فأويتهما وأطعتهما ثم أركبتهما على فرسين وأرسلتهما في ظلمة الليل إلى ديارهم، فأسأل الله أن يسلمنا ويسلمهما، كما أسأل الله أن يجمع شمل هذه الأمة، برجل صالح وينصره على من يخذله ويناوئه.

قاطعته صوت الخادم يخبره بأنه زود الرحال بالطعام والشراب، شكره الرجل على حسن صنيعه وملاطفته ثم رحل عنه متجهاً للكويت وقد لبدت السماء بالغيوم وأخذ المطر في الانهمال.

* * *

الموقف العثماني من مبارك

زحفت جموع جيش ابن رشيد نحو الكويت، وأخذوا يقتلون من وجدوه في طريقهم ممن يعتقدون بأنه ساعد الشيخ مبارك، فاستمروا بزحفهم ليلاً نهاراً حتى وصلوا على بعد مراحل منها فنصبوا خيامهم، بعد أن تلقى عبد العزيز ابن رشيد خطاباً رسمياً من والي البصرة العثماني يأمره بالتوقف حتى تأتية أوامرهم.

* * *

وصل عبد العزيز ورجاله إلى الكويت، وقد أنهكهم التعب وبللهم المطر ولم يرحمهم برد الصحراء القارص، فما إن حطت قدماه على ترابها حتى توجه فوراً نحو قصر الشيخ مبارك، وقد لاحظ ألوان الحزن التي أقامت بين أهل الكويت، فلما دخل القصر وجد خاصة القوم عند الشيخ يعزونه في مصابه، فقام إليه فصافحه عبد العزيز وقبّل رأسه وأخذ يعزيه.

■ **عبد العزيز:** أقسم لك يا والدي بأنني سأنتقم لك.

- هز الشيخ رأسه إيجاباً له، ثم أمره بأن يذهب للراحة من عناء الرحلة. امثل عبد العزيز لأمره وخرج من القصر متجهاً إلى داره، فما إن طرق الباب حتى فتحته نورة واحتضنته ثم أقبلت والدته تحتضنه وتقبله وهو يقبل رأسها ثم أتاها والده وهو ممسك بحفيده تركي، قبّل عبد العزيز يد والده ورأسه ثم قبّل أبنته فقعدوا حول المدفأة يتحدثون بمجريات المعركة.

* * *

بعد أيام بعث والي البصرة العثماني باخرة حربية لاصطحاب الشيخ مبارك للآستانة^(١) طالباً منه التنازل عن الحكم، صدم الشيخ من هذا الأمر فها هي الدولة التي طالما رفض مغريات الأوروبيين من أجلها رجاء أن تصلح حالها وينضوي ببلادها تحت لوائها، تستغل ضعفه لتسلب ملكه وربما زجّه في المعتقل، أثار هذا القرار غضبه وساقه مكرهاً لتوقيع وثيقة الحماية مع إنجلترا، التي لم تسعها الأرض من شدة فرحها بهذه المعاهدة، فقد استلمت مفتاح الباب الذي يفصل العراق عن بلاد الهند روح الإمبراطورية البريطانية.

فلما وقعت المعاهدة رست مدمرة بريطانية على ميناء الكويت، ونزل منها الجنود فأوعز الوالي العثماني لابن رشيد بأن يتقهقر عن الكويت خوفاً من غضب إنجلترا، التي حررت عاصمة الدولة العثمانية من الروس منذ خمسة عقود، ولا زالت سفنها الحربية راسية في بحر مرمرة قبالة الآستانة، فكّر راجعاً حتى نزل في حفر الباطن ينتظر الوثبة على الكويت.

* * *

(١) للآستانة: إسلام بول.

خطوات نمو الرياض



الشيخ مبارك الصباح وإلى جانبه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

مرّت ثلاثة أشهر بتناقل على عبد العزيز الذي يريد الوثوب على الرياض، بيد أن الشيخ مبارك الذي آلمه ما حلّ بأهل الكويت لا يوافق على وثبته، وفي إحدى الأيام ألحّ على والده أشد الإلحاح حتى دفعه للذهاب في منتصف الليل إلى الشيخ مبارك وطلب أن يختلي به لوحدهما.

- يا شيخ إن ابنك عبد العزيز قد ضاق به الفضاء ويطلب منك السماح له بالخروج إلى الرياض.

- لقد أتاني مراراً وطلب مني ذلك ولم أسمح له، وسبب ذلك أن بيني وبين الإنجليز معاهدة من ضمنها عدم مناوأة ابن رشيد.

- إذن أمدده بالمال والسلاح الكافي ودعه لأمره.
- إنني أخشى عليه ولقد لاحظت همته العالية واستعارها شدة بعد هزيمتنا، فقلت ربما هو طيش الشباب فلن أسمح له بالتهور، وها أنت تؤيده! ألا تخاف عليه؟
- ليس مثل عبد العزيز من أخاف عليه، كما أننا لم نلدهم لنخشى عليهم.
- صدقت، أخبره بأنني سوف أسمح له بالخروج وسأمدده بالمال والعتاد فعلى بركة الله.

فما إن خرج الإمام من القصر حتى وجد عبد العزيز بانتظاره، فأخبره بموافقة الشيخ على خروجه للرياض ففرح بما سمعته أذناه وعلت همته، وأخبره وهما يسيران نحو قصرهما أن الشيخ سيمده بالمال والسلاح فقط، وشرح له سبب عدم مساعدته له بالرجال فتفهم الأمر، وما إن وصلا إلى قصرهما حتى بدأ يرسل في جمع الأعوان، فاجتمع له (٤٠) رجلاً فيهم أخوه محمد وكذلك عبدالله وفهد وعبد العزيز أبناء جلوي، وعبد العزيز بن مساعد بن جلوي وناصر ابن فرحان آل سعود، فأمرهم بالتهيؤ للمغادرة مساء الغد.

* * *

عربيد الخيل

عندما بدأت الشمس تغرب كان عبد العزيز ورفاقه قد خرجوا من سور الكويت وبينما هم يسيرون رأوا رجلاً من بعيد راكباً فرس دهماً وبقره بضعة من الخيل.

- محمد: من هذا يا أخي كأن الرجل ينتظرنا؟
 - عبد العزيز مبتسماً: إنه عربيد الخيل.
 - عبدالله بن جلوي: نعم الرجل فقد قام خير قيام بواجبنا منذ أن نزلنا الكويت إلى هذه اللحظة وأظن أنه سيمدنا بخيل كما فعل سابقاً.
- اقترب عبد العزيز ورفاقه من عربيد الخيل الذي رحب بهم ونزلوا من دوابهم وتصافحوا.

■ عربيد الخيل: سمعت من مبارك أنك عازم على استرداد الرياض يا عبد العزيز فأحببت أن أساهم كما ساهم بهذا الخيل وعليها زاد المسافر وسلاح المقاتل وأسأل الله لك التوفيق يا بني وأن تسترد لآل سعود ملكهم ويسود الخير على أرضهم كما كان أيام سلفكم.

تأمل عبد العزيز بعربيد الخيل الذي يماثله في الطول إلا أن عبد العزيز أطول وأفتى سناً من عربيد الذي ناهز الثمانين عاماً وبدت لحيته البيضاء المخضبة باللون الأحمر وحاجبيه المرتفعان كأجنحة صقر يهيم باقتناص فريسته وعينان واسعتان تعبران عن خبرة في الحياة.

- عبد العزيز: ماذا أقول لك يا عم لقد قمت بنا خبر قيام منذ أن وطأت أقدامنا أرض الكويت وها أنت تلحق بنا وتسبقنا لتهب لعوننا شكراً يا عم عربيد.

اقتاده عريبد جانباً ثم وضع يده على كتف عبد العزيز:

أعلم أن ما تقوم به هو الهلاك بعينه يا عبد العزيز وقد قال لي مبارك ان عبد العزيز ذاهبٌ لحتفه وأنا أشد على عزيمنتك وأقول لولا المخاطر وركوبها لما تميز الناس وأنا قد ركبت البحر ورأيت المخاطر وكابدتها حتى أصبحت ما أنا عليه من الجاه، أسأل الله لك يا بني النصر والسداد ولا تركز حتى تسترد ملكك وتسود على أرضك أمضي على بركت الله يا عبد العزيز.

ثم تعانقا وافترقوا وظل عريبد الخيل ينظر إليهم حتى سترهم الأفق.

* * *

وطئ خُفُّ الجمل حبيبات الرمال ليغوص منتصفه بها بعد أن فرقها ليرك أثره عليها، كانت قافلة مكوّنة من (٤٠) راكباً يتقدمهم عبد العزيز، وقد ساروا في جنح الليل المظلم وسط وادي المياه. كان الجو ساكناً شديداً الرطوبة، فساروا حتى نزلوا على بعض عرب العجمان، واستقروا أياماً وقد أرسل عبد العزيز عيونهم لاستطلاع أحوال الرياض، فلما عادوا أخبروه بأن ابن رشيد قد شدد عليها الحماية وترك فيها عدداً كثيراً من الجند.

- **عبدالله بن جلوي:** ما العمل الآن وبها هذه الحامية؟
- **عبد العزيز:** لن نقعد هكذا يا عبدالله بل سنغزوا بعض حلفاء ابن رشيد الذين حول الرياض ونبت الرعب فيهم ونبت للجميع مدى قولنا.
- **عبدالله:** ومتى نهجم على الرياض؟
- **عبد العزيز:** عندما يجتمع لنا العدد الكافي من الأعوان.

نقذ عبد العزيز خطته وأخذ في غزو القبائل وإرهابهم، فدوى صيته ومدى قوته وجلده، وقد ساندته بعض عرب العجمان من أجل الكسب، فأخذ يغزو ويكسب ويغنم ويجزل العطاء لمن معه، وأرسل بعض الغنائم للوالي العثماني في الإحساء حتى يغض الطرف عنه، واستمرت غاراته وزادت جموعه من فئات أعراب مرة وسبيع والسهول لما سمعوا بانتصاراته ومدى سخائه.

فرح عبد العزيز ورفاقه بهذا الجموع وكذلك بشيوع صيته بين العرب، ورأى أن بداية غايته بدأت تقترب منه رويداً رويداً.

انزعج ابن رشيد من شيوع صيت عبد العزيز وتخاذل والي الإحساء عنه، فأوعز إلى والي البصرة الذي أرسل بدوره خطاباً شديد اللهجة إلى والي الإحساء يأمره بوقف أعمال عبد العزيز، فلما قدم هو ورفاقه إلى الإحساء كعادتهم للتزود بالمؤونة منعوا من دخول البلد!

وأخبروا بأن الوالي يأمرهم بالكف عن تصرفاتهم وإلا شن عليهم غاراته، فما إن سمع أتباع عبد العزيز ذلك حتى انفضوا من حوله أرسلالاً، حتى وجد نفسه والأربعون الذين خرجوا معه وبقي عشرون آخرون ممن تبعه، فأثر الابتعاد عن نواحي الإحساء بعد أن سمع بتحرك ابن رشيد تجاههم، وسار حتى نزل بصحراء الجافورة في واحة يبرين، وقد أظلمت الدنيا في عينيه بعد أن فقد بريق الأمل.

ظل عبد العزيز ورجاله في واحة يبرين وسط الرمال الممتطيرة التي لا تهدأ بفعل الرياح، وحرارة الشمس تحرق أجسادهم والجوع يمزق أحشاءهم، والثقل الأكبر نفوسهم تتوق للراحة وقرب أحبابها، ثم أتى بعد عدة أسابيع ما كاد أن يكسر همته ويزعزعها، أتاه كتاب من أبيه يطلب منه العودة للكويت ويلح عليه ويخبره بأن الطريق قد سد في وجهه فلا سبيل لنيل مراده.

بيد أن الهمة العالية لا تستكين إلا بموت صاحبها وبها تشقى الأجساد إن قيدها اليأس والخنوع. كان عبد العزيز يدرك ذلك وأن لا سبيل له سوى أن يموت لإدراك غايته، فجمع رفاقه وتلا عليهم كتاب أبيه ثم قال لهم:

- قد سمعتم رسالة أبي ونصيحة الشيخ مبارك لنا بالعودة، فأنتم أحرار فيما تختارونه لأنفسكم، أما أنا فلن أعرض نفسي لأن أكون موضع السخرية في أزقة الكويت، فمن أراد الراحة ولقاء الأهل والنوم والشعب فإلى يساري إلى يساري.

- فقام رفاقه عن يمينه واستلوا سيوفهم قائلين:
- نحن معك إلى النهاية يا عبد العزيز.
- فالتفت للرسول، وقال له:
- بلغ سلامي لوالدي وللشيخ وأخبرهم بما رأيت، واطلب منه الدعاء لنا وموعدا إن شاء الله في الرياض.
- رحل الرسول ليلاً وقام عبد العزيز يتهدج ويطلب العون من الله، فبينما هو مستلقٍ ليلاً يفكر بخطة رغم اليأس الذي يطوقه، انبثقت نار همته لتزيح ذلك الظلام الذي غشاه ولتحل محل بريق الأمل، فنادى أخاه محمداً وعبدالله بن جلوي فقال:
- لقد أرشدني الله (ﷻ) لخطة إن سارت كما خططت لها كان بها فتح الرياض، فالخطة تقضي بقاءنا هنا مختفين عن الأنظار، حتى يتأكد ابن رشيد، من خبو ذكرنا فلا يحفل لنا، فنبقى هنا إلى نهاية رمضان ثم نسير حتى نقرب من الرياض، فإذا صدق ظني فسوف تطلب الحامية التي في الرياض من ابن رشيد أن يسمح لهم بقضاء العيد بين أهليهم، إذ إنه لا جدوى من تواجدهم بعد أن تفرق شمل ابن سعود، فعند هذا يسمح لهم بالعودة ولا تبقى إلا حامية قصر المصمك المكونة من قرابة مائة رجل أو أقل، فعندها نزحف خلسة فندخله ونقطع رأس الأفعى ونحتل القصر فما رأيكما؟
- **عبدالله:** والله إنها لخطة رائعة مفصلة فأسأل الله أن تأتي كما رسمت لها.
- **محمد:** تتطلب خطتك بقاءنا في هذه الصحراء المستعرة أربعة أشهر، إلا أن القول قولك يا أبا تركي فأسأل الله أن يسد لنا وتنجح الخطة.
- **عبد العزيز:** إذاً اكنتموا الأمر ولا يعلم أحد بهذه الخطة حتى نشرف على الرياض.
- ثم دأب عبد العزيز على العبادة والتضرع يسأل الله مدده وعونه وتوفيقه وتسديده، فسارت الأيام على مهل وتريث وكأنها لا تريد مراوحة مكانها.

انطلاق التوحيد ١٩٠٢م



جنود الملك عبد العزيز آل سعود في الرياض سنة ١٩٠٢م.

اقترب عبد العزيز من الرياض ليلة الثاني من شوال وأمر بإناخة الركائب، وترك عشرون رجلاً عندها وسار في الأربعين الذين خرج بهم من الكويت، فدخل نخلاً شرقي الرياض ثم توقف لما اقترب من سور الرياض المهديم.

■ **عبد العزيز:** انتظر أنت يا محمد هنا وسأدخل أنا وعبدالله وفهد أبناء جلوي وعبد العزيز بن مساعد وناصر بن سعود ومعنا المعشوق وسبعان، فإذا لم يصلكم رسول منا غداً، فلا حول ولا قوة إلا بالله فاعلموا أننا قد استشهدنا في سبيل الله، وأسرعوا بالنجاة.

فدعوا لهم بخير ثم ساروا.

تسلل عبد العزيز ورجاله خلسة بين أزقة البيوت، وقد نزعوا أحذيتهم وحملوها حتى لا يصدروا صوتاً وليحذر كل منهم أين يضع قدمه، فتقدموا حتى وصلوا إلى أحد البيوت الملتصقة بقصر الأمير وطرق بابه.

■ الفتاة: من بالباب؟

■ عبد العزيز: أنا ابن مطرف أرسلني الأمير عجلان لأشتري له بقرتين من أبيك جويسر.

■ الفتاة بغضب: يا ابن الملعونة! أفي هذه الليلة يرسلك! بل أنت كاذب ولا تريد إلا الفسق فلترحل عنا يا لعين.

■ عبد العزيز: سوف أرحل ولكن سترين رأس أبيك معلقاً غداً على باب القصر.

كان جويسر يستمع للحديث، فلما سمع أن رأسه سيطير هرع بسرعة وفتح الباب، فانقض عليه عبد العزيز ورجاله مما جعل الفتاة وأخواتها يصحن:

- عمنا.. عمنا.. عبد العزيز!!!

فانتهرهن فلذن بالصمت بينما هرب أبوهنّ وقد أصابه الرعب، ووضعوا النساء في غرفة وأغلقوا عليهن ثم صعدوا سطح البيت فوجدوا بيتاً آخر ملتصق بقصر عجلان، وكان على سطحه رجل وامرأته يغطان في النوم، فأتاهم عبد العزيز ومن معه ووضع السيف على رقبة الرجل الذي فزع واستيقظت المرأة فزعة أيضاً إلا أنهما لاذا بالصمت، فطواهما بفراشهما ثم حملوهما وأدخلوهما إلى إحدى الغرف وأغلقوا عليهما الباب.

■ عبد العزيز: عبدالله اذهب أنت وعبد العزيز إلى محمد ورفاقه ودعهم يحضروا.

ما هي إلا دقائق حتى حضروا ثم تحسسوا هل انتبه أحد لهم أم لا، إلا أن المدينة ساكنة سكون الجبال وكأن لا حياة فيها في ذلك الليل، فاستراحوا قليلاً

ثم تحركوا وتركوا محمداً ورفاقه في الدار. كان قصر عجلان مرتفع ويحتاج سلماً لصعوده، فأخذوا يصعدون على أكتاف بعضهم البعض حتى دخلوا القصر، ثم نزلوا من سطحه ووجدوا بعض الخدم نائمين فوضعوا السلاح على ظهورهم فاستيقظوا مرعوبين، وأشاروا لهم بالصمت واستخبروا أحدهم عن غرفة عجلان فأشار إليها، ثم كتفوهم وألقوهم في إحدى الغرف، وسار عبد العزيز إليها وأبقى خمسة رجال على الباب ودخل هو وعبدالله وقد أمسك بيده شمعة، فرآه متدثراً بغطاء هو وزوجته فصوب فوهة البندقية ثم كشف الغطاء عنه وكانت المفاجأة.

* * *

لم يكن الراقد بجوار المرأة عجلان بل شخص آخر!

جمدت الدماء في عروق امرأة عجلان لما رأت عبد العزيز مصوب فهوت البندقية نحوها، كما اكتشف عبد العزيز أن الراقد بحذاءها لم يكن سوى أختها، وقد كانتا من خدمهم سابقاً.

- عبد العزيز: أين عجلان؟
- المرأة برعب: ماذا تريد منه؟
- عبد العزيز: أريد رأسه.
- المرأة بجزع: أرجوك لا تقتله.
- عبد العزيز: أراك أحببت قريهم الآن.
- المرأة: لم أحبهم حتى تركنا أعمامنا، فاترك زوجي لي واقتل الآخرين.
- عبد العزيز: أين هو الآن؟
- المرأة: هو في الحصن ولا يخرج منه إلا بعد شروق الشمس.
- عبد العزيز: وكم معه من الرجال؟

- المرأة: ثمانون مسلح فقد غادر الجيش الرياض منذ أسبوع متجهين إلى حائل لقضاء العيد بين أهليهم.
- عبد العزيز: من الذي يفتح الباب له إذا قدم؟
- المرأة: خادمتي تفتح له الباب.

أمر عبد العزيز بتقييدهن وإدخالهن إحدى الغرف، وأخذ هو ورفاقه بشق جدار الغرفة الملتصقة بالبيت الذي فيه محمد، ولما شقوه إلتهم شملهم ووجدوا تمراً فأكلوا منه ثم تناوبوا الحراسة بينما ينام الآخرون قليلاً.

* * *

أشرقت الشمس وبدأ الناس في الانتشار في أرجاء الرياض كلُّ إلى عمله، وفتح الباب الكبير لحصن المصمك وأخرجت الخيل يقود أرسانها الخدم، وخلفها عجلان وكان طويل القامة متقلداً سيفه وحوله عشرة من الحرس...

فجأة!!

رأى رجالاً ينطلقون نحوه ويصرخون وإطلاق نار من فوق قصره نحو أبراج المصمك الذي أوصد بابه الكبير سوى باب صغير فيه لا يسع سوى لرجل، هرب الحرس الذين حوله وثبت هو في مكانه وقد عرف شخص عبد العزيز، فاستل سيفه وأخذ يلوح فيه.

رأى عبد العزيز عجلان وهو يلوح بسيفه فأطلق النار عليه فأصابته إلا أنها لم تقتله، فأسقط سيفه وهرب، فلما وضع رجله داخل الحصن من خلال الباب الصغير، وثب عليه عبد العزيز وتعلق برجله الأخرى، فتحامل عجلان على نفسه ولكزه بكل ما أوتي به من قوة في خاصرته فأوجعته وتركه، ثم نهض بسرعة وحاول الدخول خلفه، فاعترضه عبدالله ومنعه وقال له ودوي النار يملأ أرجاء الرياض والرصاص يمطرهم:

- حان دوري يا معزي أستودعك الله..

قال كلماته بسرعة ودلف في أثر عجلان وتبعه عشرة من الرجال والرصاص يتساقط حولهم، فاستطاعوا فتح الباب على مصراعيه، واندفع إليه محمد ورفاقه وقد سبقهم عبد العزيز، ورأى عبدالله بن جلوي وهو يسقط عجلان ويضع فوهة البندقية في رأسه ويضغط الزناد ويرديه، ثم ينظر إلى عبد العزيز ويصيح بأعلى صوته:

- الحكم لله ثم لعبد العزيز... الحكم لله ثم لعبد العزيز... الحكم لله ثم لعبد العزيز....

فقدت حامية الحصن نصف حرسها إثر المفاجأة، واستسلموا لما رأوا أميرهم يقتل، فأمر عبد العزيز بحبسهم.

لما هدأت الأمور وأسر جنود ابن رشيد، فرح أهل الرياض بعودة آل سعود لإمارتهم، وأخذوا بالتوافد عليه للمبايعة فأمرهم بالتريث لحين قدوم الإمام عبد الرحمن، ثم جند بعض الشباب لتشديد الحراسة، فلما حل صباح الغد أمر الأسرى ببناء ما هدم من سور الرياض، ثم أخذ أهل الرياض بمساعدتهم على إصلاح السور وتقويته تحسباً لهجوم ابن رشيد، وفي أثناء ذلك أرسل ناصر بن سعود لينقل البشري للشيخ مبارك والإمام عبد الرحمن بفتح الرياض ويحث أسرته للرواح إلى بلادهم.

بعد أيام اجتمع عبد العزيز بأهل الرياض صباحاً بعد استتمام بناء السور في ساحة القصر، وقد قيد الأسرى عن يمينه، ورجاله حوله حاملين السلاح وقد شددت الحراسة على بوابات الرياض، وكذلك انضم إليه الكثير من أولياء آل سعود بعدما سمعوا بسيطرته على الرياض، فقام وقال:

بسم الله والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله المصطفى خير البشر وعلى آله وصحبه الكرام البررة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يا قوم...

إن الأيام دول والملك لمن غلب، لقد علمتم ما جرى لنا لما طمع بعضنا بالملك وما آلت إليه حالنا من تفرُّق، تمكن على إثرها ربيب نعمتنا من استغلال هذا الشقاق وسلبنا حقنا، وهذا مما قدره الله (ﷻ) علينا، فربما ليلقننا درساً عندما حاد بعض آل سعود عما نهجه لنا سلفنا بالقيام بأمر الدين وواجباته، كذلك لم يقم أي رجل من آل رشيد بالدعوة والإصلاح في جزيرة العرب كما أصلحها سلفنا، بل كان همهم جبي الأموال وتعمير المدن لمصالحهم وأهملوا أمر الأعراب الذين ساءت حالهم وخيم الجهل عليهم وقطعوا الطريق ونهبوا القريب والبعيد.

ثم قطع حديثه وأخذ يتطلع في وجوه الناس فأردف قائلاً...

وإنني بعون الله (ﷻ) سأقوم بما قام به سلفنا من إصلاح حال أهل الجزيرة وترسيخ أصول الدين وقمع الفتنة وقطع أطناب خيمة الجهل ليعم النور وتحیی النفوس وتأمين الديار وترفف راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) قولاً وعملاً.

فلما أنهى خطبته أخذ الرجال بإطلاق النار ودعا الناس له بخير وصاح بعضهم يردد اسمه، فأمر بإطلاق الأسرى وتزويدهم بالمؤونة اللازمة التي توصلهم إلى بلادهم.

الفصل الثاني



٢٥ خريفاً

شكراً لله

خَرَّ الإمام عبد الرحمن ساجداً لله عندما زَفَّ الرسول له البشرى، ثم قام يخبر أهله ودموع الفرحة تقطر من عينيه، عمَّت الفرحة في البيت السعودي فقد أهل هلال الفرحة وزالت الغمة والكربة...

لبس الإمام أجمل حلَّة لديه وسار إلى قصر الشيخ مبارك يصحبه أبناءؤه فيهم تركي ابن عبد العزيز، فما إن دخل على الشيخ وحوله رجاله وأعيان الكويت حتى علت على وجهه البهجة.

■ الشيخ بتوتر: هل فعلها ابني يا أبا فيصل؟

■ الإمام بفرح: نعم لقد استرد ابنك الرياض وقتل عامله.

قام الشيخ واحتضن الإمام وهنأه وأخذ الجميع يهنئونه بالنصر. أمر الشيخ مبارك بإعداد الولائم بهذه المناسبة، وقد أخذ الإمام يقص له القصة وسط دهشة الجميع وإعجابهم.

■ الشيخ بدهشة: لم يخب ظني به أبداً، فقد رأيت تميزه دون غيره من الغلمان لما وطئت قدماه أرض الكويت، وخلال نشأته لم يله بما يلهو به الشبان، بل أقبل على العلم وتعلم الفروسية.

■ الإمام: صدقت يا أبا جابر... لكن! كيف علمت بأن عبد العزيز استرد الرياض قبل أن أنطق بذلك؟

■ الشيخ: لم أرك منذ حطت قدماك أرض الكويت أسعد وأنصر وجهاً منك

الآن، فقد علت همتك وأشرق وجهك يا أبا فيصل فعلمت بأن أبناء سارة مفرحة وصلتك.

■ الإمام: صدقت يا شيخ لم أكن أسعد حالاً مني الآن، كما أستأذنك في العودة إلى الرياض.

■ الشيخ: طبعاً وسأزودكم بالمال والمركب الذي يوصلكم، وكذلك سأرسل معكم دليلي الخاص مشلح بن هدبة الرشيدي، مع أنه يشق علينا فراقكم.

■ الإمام: أبا جابر لقد كنت نعم الجار ونعم الصديق لنا، فأهل هذا البلد أهلنا ونحن أهلهم كذلك.

أطلقت الأعميرة النارية في سماء الكويت فرحاً بالنصر الذي حققه عبد العزيز، ووزعت الأطعمة على أهلها. وبعد أيام غادر الإمام فيصل وعائلته وأعوانهم عائدين إلى الرياض التي طالما تاقت قلوبهم إليها بعد عشرة سنوات من فراقها.

أتى أحد قادة عبد العزيز ابن رشيد إليه في خيمته المشرفة على معسكرهم المتمركز في حفر الباطن.

■ القائد: إلى متى ونحن مرابطون هنا أيها الأمير؟

■ ابن رشيد: إلى أن أسترجع الرياض.

■ القائد: والله إنني أعتقد أن الرجل الذي أتى ليخبرنا بأن احتلال الرياض ما هو إلا خدعة من مبارك، لكي يجبرنا على المسير إلى الرياض، بينما يسير هو إلى حائل بقوة كبيرة، قد خطط لها الفرنجة وسلّحها بأحدث الأسلحة.

فصمت قليلاً... حتى أنطقه ابن رشيد.. .

- قل ما عندك ماذا تعتقد؟

■ **القائد:** أعتقد أنها خدعة نكراء من ابن سعود، ليشغلك عنه بينما يقدم عليه والده ويهيئ نفسه لملاقاتك.

غضب ابن رشيد مما سمع وقد أحسّ بأنه قد خدع.

- كيف هذا وما زال الرجل ينعم بيننا وقد أحسنت له العطاء بما نقل لي من معلومات هامة؟

- لقد هرب خفية منذ البارحة وهذا ما أكد ظني بأننا قد خدعنا.

لاح الغضب على ابن رشيد وحاول كظم غيظه.

- ألم أمركم بتشديد الحراسة عليه.

- لقد شددنا عليه الحراسة في بادئ الأمر، ولكن مكوثه عندنا عدة أسابيع أبعد الشك في أمره حتى هرب منا فجأة.

■ **ابن رشيد بغضب:**

والله لن أدخل حائل أو أمس النساء حتى أستعيد الرياض وأنهى أمر آل سعود، هيا أعد الجيش للمسير نحو الرياض في الحال.

خرج القائد ليهيئ الجيش للمسير نحو الرياض الذي فرح أهله بعودة الإمام عبد الرحمن إليه.

وقف الناس يهنتون الإمام وكان على رأسهم عبد العزيز، الذي أمر بإعداد الولايم وبتشديد الحراسة، ولما دخل القصر هو وآل سعود قدم والده للجلوس على تخت الحكم إلا أنه رفض.

■ **الإمام:** ما كنت لأخذ حقاك يا بني.

■ **عبد العزيز:** لا حق للابن على والده وهذا حقاك وقد استعدته لك.

■ **الإمام:** أنت من تكبد العناء وخاطر بنفسه لتحقيق ذلك فلن تطيب نفسي بذلك.

- عبد العزيز: وأنا لن تطيب نفسي يا أبي حتى تقعد على كرسي الحكم وأصر على توليتك.
 - الإمام: حسناً لن نختلف يا بني.
- فتقدم وقعد على التخت وسط تهلُّ أسارير عبد العزيز وسعادته، ثم قام من الكرسي.
- الإمام: لقد تقلدت مقاليد الحكم ولي عليكم السمع والطاعة.
 - آل سعود بصوت واحد: نعاهدك على السمع والطاعة يا إمام.
 - الإمام مبتسماً: أشهدكم بأنني قد تنازلت عن الحكم لابني عبد العزيز بنفس راضية، فلا أريد سماع معارضة وهذه يدي تبايعه أولاً.
- فوضع يده بيد عبد العزيز يبايعه ثم بايعه آل سعود جميعاً.
- في الغد بعد صلاة الجمعة في المسجد الكبير، أعلن الإمام عبد الرحمن تنازله عن الحكم لابنه عبد العزيز، وقلده سيف الإمام سعود الكبير، وبايعه آل سعود ثم كبار العلماء والأعيان وأهل الرياض ومن حولها.

* * *

كوكسي وشكسبير



الملك عبد العزيز آل سعود وبييرسي كوكس .

رست بارجة حربية قبالة ساحل العقير الذي اكتسى باللون المائل للحمرة
قبيل غروب الشمس، وفي أعلاها رفر ف علم الإمبراطورية البريطانية، وعلى
مقدمتها وقف رجلان يلحظان الغروب.

- جميل هو غروب الشمس في هذه المنطقة، أليس كذلك يا نقيب
شكسبير؟

- إن لكل بلد سحرها يا عقيد كوكس، ولو قُدِّرَ لأحد سكان هذه البلاد
زيارة بلادنا لقال مثل قولك.

- إنني أشم عقب تاريخ وحضارة بلاد الجزيرة التي كانت يوماً ما مهيمنة على جزء كبير من العالم.
- وقد أتى دور البلاد التي لا تغيب عنها عين الشمس يا حضرة العقيد لتهيمن على بلادهم، وتدع لهم الصحراء يتنازعون عليها.
- هل هناك أخبار جديدة عن عبد العزيز؟
- نعم لقد وصلتني أخبار جديدة تفيد بأن عبد العزيز قد شن حرباً على القبائل الموالية لحاكم حائل والتي تقطن حول الرياض، مما أزعج الأخير واستمر بالزحف إليه، أما عن أخبار القبائل فلا تزال على حالها من تنافر وتخاذل.
- لقد خدمتنا الدولة العثمانية حين أهملت جزيرة العرب مهد رسالتهم عدّة قرون، مما جعلهم فريسة سهلة لجهلهم، وهم لا يزالون يقتتلون على إمارات صغيرة، والأعراب ما زال يحارب بعضهم بعضاً من الكويت إلى عدن، ومن مسقط إلى سيناء، معتقدين أنهم ينتقمون لأنفسهم ممن ظلمهم أو ربما للحصول على أود معيشتهم، ولا يعلمون بأن عملهم هذا إنما يخدم أهدافاً سياسية لا يعونها، بينما يقبلون على حياتهم هذه، غير مدركين أنهم مثل حجارة شطرنج يحرّكون حسب القاعدة القديمة التي تقول:
«فَرَّقْ تَسُدَّ».



وجهاً لوجه

أحكم عبد العزيز خطته ودعا العلي الجليل بأن يوفقه ويسدده، فخرج من الرياض وصحبته أربعمائة فارس وقد ترك فيها ألف رجل لحمايتها من هجوم ابن رشيد، وقد أشيع بأن خلافاً وقع بينه وبين والده الذي يريد السلم مع ابن رشيد، بينما عبد العزيز خلاف ذلك، وكانت الغاية من ذلك تجنب الرياض الحرب التي أراد خوضها جنوباً بعد أن يجمع الأنصار حوله، فقد أرسل أخاه محمداً وعبدالله بن جلوي إلى قبيلتي الدواسر والمرة لطلب العون، كما أرسل شقيقه سعداً إلى أهل الحريق، بينما سار جنوباً إلى الخرج ثم إلى حوطة بني تميم، فلما اجتمع برؤسائهم خطبهم قائلاً:

- لقد علمتم كيف كان حالكم أيام حكم أسلافي، والأمان الذي كنتم تنعمون فيه بعد أن هدمنا سد الجهل لترتووا من نهر العلم، الذي انعكس عليكم بالرخاء في بلادكم، ونحن نطلب منكم اليوم مساندتكم لنا بالرجال والعتاد.

■ فقال أحدهم: لا نريد أن نخوض حرباً لا صلة لنا فيها، بل هي حربك أنت وابن رشيد.

■ عبد العزيز: إن لم تساندوني فسوف أبدأ بكم حتى تدخلوا طائعين في حكمنا.

فأخبروه بأنهم على استعداد لقتاله، بيد أنه ارتأى بالألا يفتح عليه جبهة أخرى للقتال، قد تمكن عدوه من كسب تلك الفرصة، فاستعمل معهم مروض

النفوس الذي يشقي ويسعد، ففرق الذهب بين كبارهم ليلاً لتفترق كلمتهم وتتوحد عليه ويساندوه برجالهم، وسار تحت لوائه منهم ثمانمائة مقاتل وقد اجتمعوا مع أهل الحريق فكانوا ألفاً وخمسمائة ما بين فارس وراجل.

* * *

سارت جموع ابن رشيد التي تفوق جيش عبد العزيز عدداً وعدة حتى نزلت بقرب قرية نعجان^(١) ليلاً، بينما نزل عبد العزيز ورجاله في الوقت ذاته في قرية الدلم^(٢) للراحة بعد أن تكبد السهر ثلاثة ليال فنشر الأعين للاستطلاع.

لما حل الصباح رأت الأعين جيش ابن رشيد الذي لم يعلم بمكان عبد العزيز، فأتت تخبره بقرب العدو وذهب ليستوثق بنفسه من مكانهم، ورآهم نازلون قارون فرجع وحشد رجاله وشن الهجوم.

كانت مفاجأة لابن رشيد وجنوده الذين دافعوا عن أنفسهم حتى حجز بينهم رداء الليل، وقد فرت جموعه ونزلت قرية السلمية.

شدد عبد العزيز الحراسة تلك الليلة ولم تغمض عينه وشرع يستنصر الله، فلما تنفس الصباح سار برجاله ببطء على مرأى من العدو الذي اصطف للقتال وكان هدفه من ذلك إرهاب العدو أكثر، فثارت التار واصطدم الجيشان واقتتلا بشدة وقد أبلى عبد العزيز أشد البلاء وأخذ بحماية رايته وشحن الهمم، حتى فر العدو من أمامه فنهى عن ملاحقتهم، وقد غنم الكثير من الغنائم وأخذ يفرقها بين جيشه مما زادهم رغبة به وحباً، ثم توجه قافلاً نحو الرياض وقد علا صيته ويمنه، بينما انخزل يمن عبد العزيز آل رشيد بعد تلك الهزيمة النكراء وذهب صيته أدراج الرياح، وعاد إلى حفر الباطن وقد اتخذته الهزيمة خلاً لها.

* * *

(١) قرية نعجان: إحدى قرى الخرج.

(٢) قرية الدلم: إحدى قرى الخرج.

دخل عبد العزيز الرياض مصحوباً بالنصر الذي اقترن بالفلاح، واستقبل بمباركة الرجال وسط زغاريد النساء، وكان الإمام عبد الرحمن في مقدمة المستقبليين، وأقيمت الولائم بهذه المناسبة وقدم بعض من وفود القبائل تبارك وتقر بطاعته، بعد أن رأوا يمنه وظفره وقد تفاءلوا به خيراً.

* * *

جولدين ١٩٠٢م

بعد عدّة أسابيع أتاه رسول من الشيخ مبارك يستنصره على بعض القبائل الموالية لابن رشيد، والتي أخذت بغزو ونهب أنعام أهل الكويت.

أمر عبد العزيز الرجال بالتجهّز على الفور وسار بصحبة جموع من أهل العارض ومشلح ابن هدبا يرشدهم الطريق ويجنبهم مكامن العدو، وبينما عبد العزيز سائراً أتاه الكثير من الرجال يطلبون الغزو معه فلم يمنعهم، وكان أغلبهم من العوازم والهواجر والعجمان والمرّة والخوالد المناصير وسبيع والسهول، ولما وصل إلى الكويت أمر رجاله بالتوقف خارج السور حتى يأتيهم أمره.

استقبله الشيخ مبارك بكل فرح وسرور بعد غياب دام قرابة العامين عنه، وبادله عبد العزيز الترحيب واستخبره عن الأمر، فأخبره بأن بعضاً من قبائل مطير قد سلبت أهل الكويت أنعامهم ويريد فرض الأمن في بلاده، وقد جهز جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل عليهم ابنه جابر.

بعد يومين توجه مع جابر المبارك قاصدين قبيلة مطير، ودليلهم مشلح بن هدبه، وبينما الجيش في طريقة صادف راكبين وقد شارفت الشمس على المغيب، فاقتيدا إلى القائدين وسألهما جابر عن أماكن قبيلة مطير وخاصة الدوشان فأخبراه بأن لا علم لهما بهم. ثم رحلا..

لم يصدق عبد العزيز قولهما وشك بهما.

■ عبد العزيز: لم يقلوا الحقيقة وقد كذبا علينا.

■ جابر: إنهما من رجالي وأصدقائي الخاصين من الرشايدة فلا أعتقد أنهما كذبا علينا.

■ عبد العزيز: سوف أثبت لك كذبهما.

■ جابر: حسناً ولكن لا تؤذهما بسوء.

■ عبد العزيز: لا تقلق.

شد عبد العزيز عنان فرسه ولحق بالراكبين، فلما استوقفهما استخبر عن القوم، فأصراً على قولهما، فأخذ أحدهما حتى وراه عن صاحبه، وبينما هو ينتظر رفيقه على قلق تحول إلى فزع ساعة سماعه لصوت إطلاق النار!!!

ثم رأى عبد العزيز يقدم عليه فارتعدت فرائصه.

■ عبد العزيز: أين القوم وإلا ألحقتك بابن عمك؟

ارتعب الرجل وأخبره عن مكان القوم.

لما عاد عبد العزيز إلى جابر لاحظ عليه القلق مما جعله يتسم.

■ عبد العزيز: أخبرتك أنهما كاذبان وقد أخبرني أحدهما عن مكان القوم.

■ جابر: هل قتلت أحدهما؟

■ عبد العزيز: لا تقلق لم أقتل أحدهما، بل أردت أن أرب أحدهما حتى

ينطق الآخر.

ابتسم جابر المبارك ثم سار الجيش نحو وجهته.

علم ابن رشيد بخروج عبد العزيز وجابر المبارك من الكويت لتأديب حلفائه، فقال لجلساته الذين حوله:

- لقد وقع ابن سعود بالفخ الذي نصبته.

■ أحد الرجال: أخبرنا أيها الأمير عن هذا الفخ؟

- لقد أمرت حلفائي بغزو الكويت وسلب ما طالت أيديهم من أنعامهم،

وعندها سوف يستنجد مبارك بعبد العزيز الذي سيهب لنجدة أبيه، ويحين دوري فأهجم على الرياض وأستعيدها، مما يفقد عبد العزيز سلطته ويفقد أعوانه.

■ **أحد الرجال:** ولكن أسوار الرياض عالية جداً وقد أحصنت؟

- لقد أمرت منذ أيام الصنعة في بريدة بصناعة ثمانون سلماً طويلاً وقد جهزت الآن، وسنسير بالخفاء حتى نفاجئهم بدخولنا للرياض ليلاً.

لما حلَّ الغد سار الجيش نحو الرياض فخرجوا على بريدة وحملوا السلالم على الجمال وقد كان طول السلم يقرب من سبعة أمتار، وكانوا يدلجون ويقيمون صباحاً، وبينما الجيش يسير ليلاً وقد اقترب من الرياض رأهم رجلٌ من قبيلة السهول فانطلق لينذر أهل الرياض، ولما وصل وجد الأبواب مغلقة فأخذ يطرقها بشدة حتى استوقفه الحرس من أعلى واستخبروه عن أمره فأنذرهم أمر الجيش، فأدخلوه ثم أخبروا الإمام عبد الرحمن بالأمر فأمر بإشعال النار على البروج وعلى السطوح وفي الطرقات داخل الرياض وأمر بتشديد الحراسة.

رأى ابن رشيد الضوء ينير سماء الرياض فأسقط في يده وشعر بضياح الرياض من يده للأبد، إلا أنه أصرَّ على محاصرتها.

أرشد مثعي ابن هدبا جيش عبد العزيز وجابر وقد حل الليل، وسار حتى توقف وأخذ يتطلع في كل جهة كالتائه مما دعا جابراً ليسأله:

■ **جابر:** ما الأمر يا مشلح؟

■ **مشلح:** لقد تهت يا شيخ واشتبهت عليَّ الأماكن.

لم يرق قول مشلح لعبد العزيز وشعر بأنه يتعمد ذلك.

■ **عبد العزيز:** مشلح! لم أتكبد هذا العناء حتى ننخدع لك، أقسم بالله إن لم تدلنا على القوم قبل الفجر لأقتلنك بيدي.

فزع مشلح من قول عبد العزيز، فقال: يا شيخ والله لم أرد أن أخدعكم ولكن قومي مع مطير وأخاف أن يصيبهم مكروه.

■ عبد العزيز: لا تخشَ عليهم فقط أرشدنا إلى مكان القوم وسوف نتجنب قومك.

سار الجيش حتى وصل قبيلة مطير ممن حالف ابن رشيد فاجتاحهم وانتصر، وغنموا منهم الكثير من الأنعام ثم رجعوا إلى الكويت.

لما وصل عبد العزيز إلى الكويت أتته الأخبار بأن ابن رشيد يحاصر الرياض، فتوجه على الفور بجيشه نحو الرياض وعلم أن ابن رشيد قد نصب له الفخ.

* * *

سلام الموت

أحاط جيش ابن رشيد الرياض، وقد أمر بنصب السلالم على أسوارها، إلا أن من أراد تسلقها لم يسلم من الموت فأصبحت سلالم للموت، كما أن فرسان الرياض وعلى رأسهم عبد الملك بن عبدالله آل شيخ أخذوا يغيرون على جموع ابن رشيد حين غفلته ويقتلون ويغنمون منهم ثم يكرون سريعاً إلى الرياض، وكذلك استضعفته القبائل المحيطة بالرياض فأخذت بالغارة عليه، ولم يسلم أيضاً من اللصوص الذين أخذوا بسلب أمتعته. أصاب الملل واليأس ابن رشيد من مقامه بعد أن أصبح فريسة سهلة لأهل الرياض والقبائل، كما أتته الأخبار بدنو عبد العزيز منه فقرر الرحيل لكن!

قبل أن يرحل أغار على القبائل التي حول الرياض ليؤدبها ويرعبها حتى لا يفقد هيئته، وقد أدى ذلك التصرف لحمل هذه القبائل على مساندة عبد العزيز ضده وتكاتفها عليه أكثر.

* * *

وقعت الواقعة

عندما عاد عبد العزيز إلى الرياض وأخبر بما حصل ساعة مغيبه، وبأن قوات ابن رشيد اندحرت مخذولة منذ عدة أسابيع، أخذ يحمد الله ويشكره ثم شكر حماة الرياض على فعلهم البطولي. اختلى الإمام بعبد العزيز وقال له:

- إن أهل الوشم بعثوا رسائل سرية إلينا تفيد بولائهم التام لنا، وكرههم لابن رشيد وعامله، كما أن أهل شقراء طردوا عامل ابن رشيد محمد الصويغ منها ويطلبون أميراً نوليه عليهم من قبلنا.
- متى حدث ذلك؟
- ساعة انسحاب ابن رشيد عن الرياض.
- هل أرسلتم أحداً إليهم؟
- لا لم أرسل أحداً إليهم!
- لِمَ متعنا الله بكم؟
- لأن أمير قرية ثرمدا مشاري العنقري قد أجار محمد الصويغ ووعدته بالنصر، إلا أن أهلها راغبين في حكمك، وسوف يسهلون دخول قواتنا بعد أن اتفقوا مع القاضي عبدالله بن عبد العزيز العنقري على أن يطيل في صلاة الفجر حتى يتسنى لقواتنا الدخول، وقد أرسلت مساعد بن سويلم على رأس قوة لنجدتهم منذ يومين، وفي هذه الليلة سينفذون الخطة إن شاء الله.

* * *

اجتمع الناس لصلاة الفجر في قبو مسجد ثرمدا تحاشياً للصقيع وقد أمّمهم القاضي عبدالله العنقري وفيهم أميرها مشاري العنقري، فكبر الإمام ثم كبر المصلّون واستفتح بالفاتحة ثم الواقعة.

كان مساعد بن سويلم قريباً من أسوار القرية فرأى الأبواب تفتح، فانطلق بسرعة هو والفرسان فدخلوا البلد وتبادلوا إطلاق النار مع حاميته التي استسلمت سريعاً.

سمع المصلّون أصوات إطلاق النار فاضطربوا، فقال أحد المصلّين ويدعى البعاوي مخاطباً الإمام:

- والله يا خائن إنك لعلی علم بالواقعة قبل أن تقع!!

ثم دهم الفرسان المسجد وقتل محمد الصويغ وهو يحاول الهرب، ووقع مشاري العنقري أسيراً واقتيد إلى الرياض ثم إلى السجن، وأصبحت بلاد الوشم تحت حكم عبد العزيز.

* * *

بعد أيام وصل خبر سقوط الوشم لمسامع ابن رشيد فسار بقوة إليها، وعلم عبد العزيز بتحركه وسار لحمايتها، فدخل شقراء وولى عليها أحمد السديري وأخذ يرتب شؤون أهل الوشم، وبينما هو كذلك علم أن ابن رشيد يحاصر قرية التويم، فتوجه إليها وقد رافقه أهل الوشم نصرته له على خصمهم.

سمع ابن رشيد بذلك المسير فقرر الزحف عنها متوجهاً نحو القصيم، ونزل في بريدة بينما نزل عبد العزيز الزلفي يعدّ العدة لاستعادة القصيم، وبينما هو مقيم في الزلفي أرسل عدة رسل إلى أهل عنيزة، يأمرهم بالدخول في طاعته وأن معه جماعتهم وأمراءهم آل سليم فكان جوابهم على الرسل بالرفض والاعتلال بأن في أعناقهم بيعة لابن رشيد، فإن هو انتصر عليه دخلوا في بيعته. لم يرق لعبد العزيز عذرهم فأرسل من فوره رسولاً إلى أبيه الشيخ مبارك، ثم عاد أدراجه إلى الرياض.

* * *

وصل رسول عبد العزيز إلى الشيخ مبارك الذي رحب به وأخذ يستخبره عن ولده عبد العزيز والرسول يخبره بما يسأله، ثم قرأ رسالة عبد العزيز التي جاء فيها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

والذي مبارك آمل من الله أن تكون بخير حال، أبشرك بأن الله قد منّ علي بالنصر على عدوي وعدوك ابن رشيد، وقد دخل أهل الوشم في طاعتنا، أما عن بلاد القصيم فقد أرسلت لأهل عنيزة أن يدخلوا في طاعتي وإني سأولي عليهم أمراءهم آل سليم فأبوا ذلك، فأطلب منك يا والدي أن تقبض على من لديك منهم، وكذلك بأن تصادر أملاكهم وتمنع الميرة عنهم حتى يدخلوا طائعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

ابنك عبد العزيز

لما انتهى الشيخ مبارك من قراءة الرسالة أخبر الرسول بإخبار عبد العزيز بالإيجاب على طلبه.

غادر الرسول بعد أيام الكويت، بينما أخذ الشيخ مبارك يزج من قبض عليه من أهل عنيزة في السجن، كما صادر أموالهم ومنع الميرة عنهم.

بعد أشهر...

في إحدى بلاد نجد في خيرا البرزات امتلأ بيت الشيخ هذال بن فهيد الشيباني بالرجال الذين أخذوا بالتحدث عن عبد العزيز الذين ملأ صيته نجد، وبينما هم كذلك أتاهم رجل غريب فقام الشيخ ورحب به، ولما قعد ناوله العبد فنجالاً من القهوة.

■ **الضيف:** أدعى شداد الدغيلي رسول الإمام عبد العزيز، وقد أعطاني هذه الرسالة لأوصلها إليك.

أخرج شداد من جيبه رسالة ناولها لهذا الذي قام من المجلس ومعه رجل يدعى محمد بن علي العبيد، وابتعدا عن البيت.

■ هذال: اقرأ هذه الرسالة يا محمد؟

أخذ محمد الرسالة وقرأها:

بسم الله الرحمن الرحيم...

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الأمير هذال بن فهد...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد..

لقد علمنا باجتماع عرب مطير والعجمان فإن كان لك أن ترافقنا للغزو فمعدنا موضع البرة بعد قراءتك هذه الرسالة بثلاثة أيام، وسوف تجدنا فيها فأرسل الرسول على عجل بجوابك فنحن بانتظاره، ودم سالماً لنا والسلام.

لما انتهى محمد من قراءة الرسالة صاح الشيخ هذال بأحد عبيده وأمره بذبح ذبيحة للرسول، ثم أخذ يفكر في أمره وكيف يجيب الإمام، فأمر محمد بالكتابة.

- اكتب يا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم...

من هذال بن فهيد الشيباني إلى حضرة المكرم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام...

لقد وصلني كتابكم الشريف وعلمت ما فيه، لقد دعوتني للغزو معكم، وأنا أعتذر إليكم فإنني أرغب بالغزو وحدي، فبعد ثلاثة أيام إن شاء الله سوف أغزو قحطان بقرب حصاة بن حويل، ودم سالماً والسلام.

فلما انتهى من إكرام الرسول أعطاه الجواب، فركب والتفت للشيخ:

■ شداد: لا أعلم يا شيخ ما هو ردك ولكن هل أبشر بالإمام؟

- هذال: لا تبشره، فقط سلّمه الكتاب.
- سمع هذا الرد أوديد الجلاوي ابن عم هذال، فعلم أنه لن يغزو معه فأتاه وقبّل رأسه.
- أوديد: اسمح لي يا عم بالغزو مع ابن سعود.
- هذال: قد سمحت لك.
- تجهز أوديد وسار من الغد إلى عبد العزيز فوافاه بعد يومين في البرة، وأخبر به عبد العزيز فلما قدم أوديد عليه وسلم.
- عبد العزيز: أين ابن عمك هذال لم يأت؟
- أوديد: لقد شغل بغزو قحطان.
- عبد العزيز: أسأل الله ألا يرجعه من غزوته.
- ثم أدلج عبد العزيز بجيشه حتى صبح جيشاً لابن رشيد عليهم حسين بن جراد ومعه بني سالم من قبيلة حرب عليهم أميرهم ماجد بن مضيان، فاقتتلوا وكان الظفر لعبد العزيز فغنم الشيء الكثير، وقتل أكثر رجال حسين بن جراد وهو من ضمنهم وقد نجا القليل.
- عاد عبد العزيز إلى الرياض وعاد أوديد إلى قومه فلما وصلهم نعوأ له عمه هذال الذي قتل في غزوته تلك، فعلم أن دعوة عبد العزيز لم تخطه.

القصيم ١٩٠٤م



قصر عنيزة - القصيم.

قضى عبد العزيز عيد الأضحى في الرياض، ثم خرج قاصداً بلاد القصيم في جيش من أهل الرياض والوشم وبعض القبائل، التي انسحب بعضها عنه عندما علموا بأنه سيصطدم بجيش ابن رشيد، ولما اقترب من عنيزة نزل في قصر الحميدية، وأرسل آل سليم ومعهم سرية إلى عنيزة فاصطدموا بسرية لابن رشيد عليها فهد السبهان الذي لم يلبث حتى هزم، ففر وتحصن بقصر عنيزة، عندها أرسل عبد العزيز عبدالله بن جلوي على رأس سرية أخرى إلى عنيزة، فاستسلم أهلها عندما رأوا ضعف حاميتهم وقوة عبد العزيز، كما أحبوا أن يفرج ابن صباح عن أملاكهم ورجالهم، ودخلها وعفا عن رجال ابن رشيد وأطلق سراحهم، وولى آل سليم عليها.

كان ماجد الحمود قد أرسل على رأس أربعمائة مقاتل لتعزيز قوات عزيزة، وعندما علم بسقوطها أصابه الحنق فقرر استردادها ولم يمض عليها سوى ليلة، ثم علم بمسير عبد العزيز إليه فقال:

- سوف أجعلك تتردد في القتال يا ابن سعود عندما أجعل أبناء عمك في مقدمة المقاتلين فتتسمر عن القتال وأقتنص أنا الفرصة لسحقك.

كان مع ماجد الحمود أبناء عمومة عبد العزيز من الذين سكنوا حائل أيام الفتنة، ولما أخذ في صف المقاتلين جعل في مقدمتهم آل سعود وكانوا تسعة أنفس.

* * *

وصل عبد العزيز ورأى المقاتلين قد صفوا للقتال فأخذ يصف رجاله ويأمرهم وينهاهم فأتاه عبدالله بن جلوي.

- إن أبناء عمنا سعود الفيصل في مقدمة المقاتلين؟
- لقد أكرهوا على القتال يا عبدالله وأراد ماجد أن نلين في القتال عندما نراهم وينتهز الفرصة لهزيمتنا.
- ما العمل إذن؟
- لن نرحم أحداً حاملاً السلاح علينا يا عبدالله.
- وماذا عن أبناء سعود؟
- تتولاهم أنت ومن معك من آل سعود فتعقرون خيلهم.

عندما انتهى عبد العزيز من صف رجاله هجم على ماجد الحمود الذي تفاجأ بهذا الهجوم واحتدم القتال واشتد الوطيس، فعقرت خيل أبناء سعود كما أمر عبد العزيز فنجوا من الموت. لامست أنامل الموت ماجد الحمود ففر بمن معه وقتل أغلب رجاله وغنم عبد العزيز ورجاله جيشهم ومتاعهم.

ثم أكمل عبد العزيز مسيره نحو بريدة وضرب الحصار حولها.

* * *

حَثَّ رجل فرسه على العَدُوِّ وقد لاح له سور مدينة حائل وكان المدينة تهرب منه من عجلته، فلما وصل باب المدينة أخبر الحرس بأنه رسول من أمير بريدة، فاقتادوه إلى قصر الإمارة وأدخلوه على نائب الأمير حمود العبيد، الذي أخبره أن الأمير عبد العزيز في العراق لحشد القوات والتزود بالسلاح، وقد آن أو ان إياه.

استأذنه الرسول في الخروج لعله يجده في الطريق فيسلمه الرسالة.

- انتظره هنا حتى يقدم.
- أيها الأمير إن أهالي بريدة لهم قرابة الشهرين محاصرون ويتوقون إلى عودتي بالفرج.
- حسناً أقم الليلة وغداً أرحل لملاقاته.
- وكيف أذوق طعم الراحة وأهلي محصورين وقد قلت مؤونتهم ومسهم الجوع، بل سأرحل الآن.

غادر الرسول مدينة حائل متجهاً نحو العراق، فلما أوشكت الشمس على المغيب رأى جيشاً عظيماً فعلم أنه جيش ابن رشيد، فحث السير حتى قدم عليه وأخذ يسرد له قصة الحصار، وأن مؤونتهم قد نفذت وأخذوا يغيرون على بعض جيش ابن سعود ويصيبوا منهم إلا أن الحراسة قد شددت، ثم إن ابن سعود حاول خديعتهم وأرسل لهم في وضح النهار فرساناً في هيئة فرسان حائل وكادوا أن يخذعوا، إلا أن رجلاً تنبه لهم وأخذنا بإطلاق النار عليهم، كما أنهم رفضوا تسليم المدينة لابن سعود الذي عرض عليهم الأمان.

■ ابن رشيد: اكتب ما أقول.

أخرج الرسول الورقة واستعد للكتابة.

السلام عليكم...

يا رجالي الأوفياء لقد صدقتم وبررتم بإيمانكم، وإنني عبد العزيز بن متعب الرشيد أشكركم على حسن بلائكم وثباتكم ضد عدونا ابن سعود،

فاصبروا ورابطوا فإنني آتيكم بعد أسبوع من استلامكم لهذا المكتوب، وسوف ترون خيلي وقد أحاطت عن أيمانكم وشمالكم، وقد هرب ابن سعود وأتباعه الذين سيطالهم غضبي وانتقامي، وإن لم يصدق قولي فعلي فأنتم في عذر مني، فسلموا المدينة لابن سعود وخذوا الأمان منه.

طوى الرسول الكتاب ثم وضعه في الخرج وانطلق عائداً إلى بريدة، فوصلها بعد يومين ولم يستطع الاقتراب من المدينة ليلاً لشدة الحراسة عليها، ولما حل الصباح شد على فرسه وأخذ يصرخ بالحرص ليدخلوه، فظنوا أنه من رجال عبد العزيز وأخذوا يطلقون عليه النار فكررّ راجعاً، ثم شد على فرسه وانطلق نحوهم وسط الطلقات المترامية حوله فلما اقترب من السور رمى الرسالة ثم كرّ راجعاً إلى حائل، لم ينتبه الحرس للرسالة التي سقطت وسط الحشائش.

بعد ثلاثة أيام نادى عبد العزيز بالأمان لمن في المدينة إن هم استسلموا، فما لبثوا ساعات حتى فتحو أبواب المدينة وسلموها له، وسمح لرجال ابن رشيد بالرحيل، وخرج الناس للحصاد ووجد أحدهم كتاب ابن رشيد فسلمه لعبد العزيز فعلم بدنو خصمه منه.

البكيرية

استبطناً عبد العزيز وصول خصمه بيد أن عجبه زال لما علم بجيشه الجرار والذي يبلغ عدده قرابة (١٣) ألف مقاتل، والمكُون من (١١) طابوراً زوّدته به الدولة، وكان خليط من الترك وأهل العراق والشام وقد زوّدوا بأربعة عشر مدفعاً وأسلحة حديثة فكان الزحف يثقلهم. استنفر عبد العزيز رجاله ومن حوله من رجال القرى والقبائل الذين استجابوا له على عجل، وأتت الأعين تخبره بأن ابن رشيد على مقربه من البكيرية، فسار إليه وقد قسم جيشه إلى قسمين، قسم أهل الرياض وما حولها وهو عليهم، والقسم الآخر أهل القصيم والأعراب وعليهم عبد الله بن جلوي.

لما حل الغد كان الجيشان يقتربا من بعضهما وقد انتصفت الشمس الحارقة في كبد السماء، وقسم ابن رشيد جيشه قسمين، قسم أهل حائل وما جاورها وهو عليهم، وقسم الجيش العثماني وعليهم حميد باشا. كان جيش الدولة قد أكره على القتال وضجر من سخونة الأرض والهواء وملاّت مآقيه ذرات الرمال، فزاد سخطهم على الدولة التي زجتهم في هذا القتال، كما أنهم لم يستلموا مقدراتهم المالية منذ أشهر، ففشا الإحباط بينهم وحنوا إلى أوطانهم. قابل أهل القصيم كتائب الدولة بينما تكفل عبد العزيز بابن رشيد، كان الجو يزداد حرارة والرياح تتقلّب بين الفريقين حاملة حبيبات الرمال معها، وقف عبد العزيز فوق ربوة عالية فرأى الفرسان تهجم عليه فأشار بمنديل معه معلناً الهجوم وقال بصوت عال: توكلوا على الله. فاصطدم الجيشان واشتبكوا بالحديد والنار.

عزل تل كبير من الرمال عبدالله بن جلوي وجنوده عن جيش الأتراك، فارتأى أن يلتف حوله ويفاجئهم عن شمالهم، وقد حصل له ذلك واشتبك فرسانه بالترك الأمر الذي أدى إلى تدافعهم ودخولهم مع جيش حائل فاختلف الحابل بالنابل.

رأى عبد العزيز جيش الترك يساند جيش حائل ورأى رجاله ذلك فظنوا أن أهل القصيم قد هربوا وتركوهم لوحدهم، وأخذ بعضهم بالفرار بينما عبد العزيز يأمرهم بالثبات ويرفع يده مشيراً لهم، إلا أن نداءه ذهب أدراج الرياح، كما أن قذيفة وقعت بمقربة منه وانفجرت وتطايرت الشظايا منها فأصابت شظية يده، فكر منسحباً بجيشه عندما تخلخلته وسادته الفوضى.

هرب الترك من كل صوب تاركين أسلحتهم وقاتل ابن رشيد بكل شجاعة وضراوة، وقد قتلت تحته أربعة من الخيل، وقتل ماجد الحمود الرشيد وعبد العزيز بن جبر الرشيد، وظن ابن رشيد أن ابن سعود قد أوقعه في كمين حينما رأى قواته تباغته من الخلف فقرر الانسحاب، ولحقه فرسان القصيم يقتلون الفارين ثم عادوا وأخذوا ينشدون الأناشيد بهذا النصر.

لحق رجال من أهل القصيم عبد العزيز يبشرونه بالنصر، إلا أنه استغرب الأمر ورايه ولم يصدقهم، حتى أتاه عبدالله بن جلوي وخادمه، شلهوب، وأخبراه بالقصة، عندها شكر الله ثم توجه إلى عنيزة وقد إلتَمَّ شمل جيشه، وقد توافد إليه الكثير من الناس للانضمام معه وطمعاً في سخائه.



لم تسع الأرض ابن رشيد الذي اعتراه الغضب، وقد خاف أن تخذله الدولة وتصفح بيد من ود عبد العزيز، فجمع جيوشه المتناثرة ثم هجم على الخبراء، فصمد له أهلها وقد صبَّ عليهم نيران مدافعه، فكلما ثلم شيئاً في سور سدوا على عجالة ذلك الثلم، فلما يئس منها اتجه إلى البكيرية ودخلها قسراً وأخذ يسوم أهلها بألوان الذل والمهانة وضمّخت أسوارها بالدماء، ثم أرسل سرايا لتأديب بعض القبائل التي ساندت ابن سعود ليظهر قوته وهيبته، فلم يدم

بقاؤه طويلاً في البكيرية فعزز حاميتها ثم غادرها ليكمل استرداد بلاد القيصم ويهاجم القبائل التي حولها.

* * *

علم عبد العزيز برحيل ابن رشيد من البكيرية فأرسل سرية إليها، وعندما وصلتها اشتبكت بإحدى سرايا ابن رشيد فانهزمت من فورها، رأت حامية البكيرية انهزام سريرتهم فانهزموا إثرها، ودخل رجال عبد العزيز البكيرية وسط فرحة أهلها بهم وزوال الشر عنهم.

* * *

فشا ما حل بأهل البكيرية في البلاد فخافوا من ابن رشيد وأصروا على التمسك بحكم عبد العزيز ومؤازرته ونصره، وأعياى ابن رشيد من السيطرة على المنطقة وقد تمركز في منطقة الشنانة، وأخذ في بث السرايا ليرعب الناس، إلا أن عبد العزيز كان له بالمرصاد فصد سراياه، ولم يسلم هو ومن معه من رجال عبد العزيز الذين أخذوا يغيرون على جيشه المكشوف في منطقة الشنانة، ويكسبون منه الغنائم ويرجعون إلى الحصون. ملّ الجيش وتضجر من هذه الغارات، إلا أنه وقد بقي في مكانه ذلك وقد أصلاه لهيب الشمس وقلّة مؤونته.

ضجر حميد باشا من هذه الإقامة واتجه نحو خيمة ابن رشيد في الصباح الباكر، ولما ولجها وجد عنده بعض خاصته يحدثونه.

- أهلاً حميد باشا تفضل.

فأفسحوا له المجال ليقعد بقرب ابن رشيد، وقد لاح على وجه حميد باشا التوتر والاضطراب.

- خير حميد باشا ما لك مضطرب هكذا؟

التفت حميد باشا بمن حوله مما دعا ابن رشيد ليقول:

- تحدث بكل حرية فهؤلاء خاصتي.

- لقد مضى لنا في هذا الموضع شهرين، وقد حوصرنا من قبل ابن سعود وأخذ رجاله بالغارة علينا وسلبونا ما طالته أيديهم، كما أننا في كل يوم نفقد بعض الرجال إما قتلى وإما فارين، لم نعد قادرين على السيطرة على جيشنا، وأنت كل يوم توهمنا بأنك قادر على السيطرة على الوضع، وأنا أراه قد أفلت من يديك، وأصبح في يدي ابن سعود.
- ابن رشيد مبتسماً:
- لقد أتتني رسالة من ابن سعود.
- حميد باشا مقاطعاً:
- وماذا فيها أهو يتوعدنا بالقتال؟
- ابن رشيد يضحك:
- لا لقد خاف مني بعد أن صحا قلبه من سكرته، وعلم أنه عاجز عن السيطرة على المنطقة وهو يطلب مني الهدنة.
- حميد باشا:
- وبِمَ أجبته؟
- ابن رشيد:
- لقد توعدته بالمعاقبة وقتله شر قتلة.
- قام حميد باشا غضباً:
- وكيف تفعل ذلك من غير استشارتي؟
- ابن رشيد وهو يكظم غيظه:
- لا تنسَ من تخاطب يا هذا.
- حميد باشا وهو يهْمُّ بالخروج:
- نعم أعلم من أخاطب... أنا أخاطب رجلاً هالكاً ومهلكنا إن لم نبادر بالرحيل على الفور.

- قام ابن رشيد وقد فقد زمام صبره:
- لن تغادر هذا المكان ولم تؤمر بذلك بعد؟
- التفت إليه حميد باشا وهو عند باب الخيمة:
- لقد أتتني رسالة تأمرني بالعودة إلى العراق على الفور.
- ابن رشيد بسخط:
- ماذا تقول؟
- حميد باشا بهدوء:
- ما قد سمعت، كما تناهى إليّ خبر بأن الدولة سوف تقر ابن سعود على ما تحت يديه.
- ترنح ابن رشيد ودارت الأمور والأحداث في رأسه بسرعة متناهية:
- ها هو يفقد ما قد كافح من أجله، لقد أراد غزو الكويت لتصبح ميناء مملكته، وناضل من أجل ذلك والآن ها هي مملكته تتهاوى، ويتذكر مقولة عمه محمد الرشيد وهو على فراش الموت:
- إياك يا عبد العزيز غزو الكويت إياك من ذلك يا بني.
- لقد تقلصت مملكته التي حاول مدها وبسط نفوذها، وقد رأى في نفسه ما لم يره في آباءه، إذًا ما الأمر؟ ما هو الفارق بينه وبين ابن سعود؟
- دارت هذه التساؤلات في فكره قبل أن يخرج حميد باشا من الخيمة وصرخ فيه:
- حميد باشا ماذا وجدتم في ابن سعود حتى تتفقوا معه!
- حميد باشا مبتسمًا:
- وجدنا صفات الحاكم القوي، وجدنا الحكمة فيه.
- ثم غادر الخيمة وأمر قواته بالاستعداد للرحيل، وعلى أثر ذلك انفضت القبائل من حوله.

العثمانية

حلقت الأعين بسرعة لتحط عند عبد العزيز وتخبره برحيل ابن رشيد وانفضاض أعوانه من حوله، فحشد جيشه وسار بهم على عجل فدهم قوات ابن رشيد ليلاً وهم على رحالهم، فاشتبكوا إلا أن قوات ابن رشيد قد شلَّتْهم المفاجأة المباغتة وجعلتهم يفرون ويتركون ما في أيديهم، كلُّ همّة نفسه، وكسب عبد العزيز أسلحتهم وخيامهم وماشييتهم وما عليها ووجدتها محملة بالليرات الذهبية، فأخذ يقسمها بين جيشه ويكرمهم بسخاء ولا ينسى من قتل فيضاعف لأهله العطاء، فقد حصل كل فرد على عشرة جمال وبعضهم حصل على (١٢) ليرة ذهبية.

استمرت المناورات بين عبد العزيز وابن رشيد عدّة أشهر، بينما أخذ الأول ينظم ويعزز البلاد التي تحت حكمه ويدفع الشر عن ساكنيها، وبدأ يرسل الدولة العثمانية بخطابات الود محاولاً بذلك كسبهم وليثبت لهم أنه صديقاً لهم لا خصماً.

إسلام بول ١٩٠٦م

كان العقيد كوكس والقيب شكسبير جالسين في إحدى باحات قصر كبير مطل على بحر مرمرة، وقد أخذ النادل بسكب القهوة الساخنة بقدهيهما، وتناول كوكس رشفة من القهوة ثم قال وهو ينظر للسفن الحربية البريطانية.

- يوم مشمس رائع أليس كذلك؟
- نوعاً ما رغم برودة الجو حتى أن قدح القهوة يكاد يبرد.
- لا بأس نحن في شهر كانون الثاني/ يناير ولو كنا بإنجلترا لما جلسنا هكذا.
- درجة الحرارة تتراوح بين العشرين والخمسة وعشرين مئوية اليوم، ومنذ أيام كانت سبعة مئوية وقد تساقطت الثلوج والآن لا أثر لها.
- هذا هو جمال الشرق لا ثلوج دائماً بل مناخه معتدل.. ما أخبار جزيرة العرب؟
- أي موضع تقصد؟
- أقصد مهد دينهم.
- ولي الشريف حسين بن علي على مكة، بعد وفاة عمه الشريف عبد الإله ابن محمد، الذي توفي وهو في طريقه من إستانبول إلى مكة لاستلام السلطة.
- وهل ستتعاطى معه إدارتنا؟

- لا بد من ذلك فقد تعاطت معه وهو هنا ووجدوا منه تقبلاً لهم.
- وماذا عن عبد العزيز؟
- أيهما تقصد؟
- عبد العزيز ابن سعود.
- لقد وجد فيه الترك مثال القائد المتمكن وأخذوا بالتودد له، واعترفوا به حاكماً على نجد باستثناء مدينة حائل، كما وضع الترك أعلامهم على مدن القصيم.
- وهل رضي حاكم حائل بهذا التطور؟
- لا لم يرضه ذلك وأخذ بإرسال الخطابات للآستانة^(١) لعلهم يمدونه بالسلاح والرجال لكي يهزم خصمه، الذي سيطر على معظم قبائل الجزيرة ودانوا له.
- وهل ستستجيب حكومة عبد الحميد له؟
- ربما نعم وربما لا! فهي متخبطة في أمرها كما تعلم ولكن لا أعتقد.
- لَمَا؟
- لقد كره عرب الجزيرة حاكم حائل، بعدما أخذ يغزوهم ليثبت للترك مدى قوته، مما أتاح الفرصة المناسبة لعبد العزيز، الذي مال العرب إليه وساندوه بلا مقابل، بل من أجل إنهاء أمر حاكم حائل الجائر، وكذلك وجدوا في شخص عبد العزيز مثال الحاكم الحنون على رعيته المتغافل عن عثراتهم المجزل العطاء لمحسنهم.
- صمت شكسبير وأخذ يرمق العقيد كوكس وقد ارتسمت على وجهه شبح ابتسامة.
- ما سبب هذه الابتسامة الخفية؟

(١) إستانبول.

- رغم غيابك عن المنطقة هذه الأشهر، إلا أنني متأكد بأنه لم تغب عنك هذه الأحداث فلم تسألني؟
- ابتسم كوكس وأخرج غليونه من جيبه ثم ملاه بالتبغ، وأشعل عوداً من الثقب ووضعه في التبغ ثم أخذ ينفث الدخان.
- كوكس وهو يتطلع إلى شكسبير:
- نعم أعلم ما قد قلته لي ولكن تحليك للأمر يعجبني.
- صمت برهة وأخذ يملأ رئتيه من الدخن وينفثه ثم قال:
- لم نضع عبد العزيز في حساباتنا وها هو يبعثر حجارتنا، ويجعلنا نعيد رسم الخطة من جديد لكن!
- صمت قليلاً وأخذ ينفث الدخان وهو يتطلع للمراكب الحربية البرطانية الراسية ببحر مرمرة قبالة قصر الحكم.
- ولكن ماذا؟
- لقد قسم الترك جزيرة العرب بفعلهم هذا وأضعفوها، توجد بها الآن عدة إمارات، عبد العزيز على نجد وابن رشيد على حائل والمناطق التي شمالها، والحجاز يحكمها الشريد وجازان للإدريسي، وهناك ابن عائض، وهذه التقسيمات ضعفاً لهم وقوة لنا.
- هل سنقرهم على ما تحت أيديهم؟
- لا ضير ما دمنا سنحتل الساحل الشرقي والمناطق المائية المهمة، ونترك لهم هذا الصحراء الجرداء.
- قال كلما الأخيرة وهو ينظر إلى السماء التي لبدت بالغمام مما دعاهما للقيام ودخول القصر.



نرجس

قرر ابن رشيد ضرب منطقة القصيم، فهاجم عليها وأخذ يقتل من يجده في طريقه، وبينما هو يسير في جيشه رأى مزارعين من أهالي بريدة خرجوا لجز بعض الحشائش في روضة مهنا، فهاجم عليهم وأسرههم وكانوا قرابة المائة، ثم أمر بقتلهم نحرًا، وبينما الجنود ينحرون الأسرى على مرأى من ابن رشيد صاح به أحد المسنين:

- يا ابن رشيد...
- ماذا تريد؟
- اتق الله وأطلق ابني هذا فإن لي ثمانية بنات لا عائل لهن إن قتلتنا.
- هذا ما جره عليكم ابن سعود ولن أكف سيفي عنكم ما دمتم تنصرونه، وسوف أبدأ بولدك قبلك لترى ضياع بناتك بمقتلكما.
- فجروا الابن ونحروه أمام أبيه، ولما قيد ووضع الخنجر على رقبته قال:
- اللهم عجل بمقتله في هذا الموضع.
- ثم نحر وسقط فوق ابنه.

* * *

كان عبد العزيز يترصد بخصمه الذي كلما أغار على منطقة رحل إلى الأخرى. وبينما عبد العزيز يتتبعه ليوقع به، علم بموضعه ولم يكن معه من الرجال سوى أربعمئة فارس وقرابة ستمائة راجل، إلا أنه قرر إنهاء أمر خصمه

بعد أن نزع من بلاده الأمن وطال عبثه، وأمّ رجاله في المسير لمناجزة عدوهم، وسار بهم شمالاً مما دعا أخاه محمد ليسأله:

- ما سبب مسيرك شمالاً؟
 - أريد أن أهجم على جيش ابن رشيد من الشمال.
 - ولِمَ هذه الجهة بالذات؟
 - حتى يظنوا أن مدداً لهم أتاها من الشمال.
 - فتأخذهم المفاجأة عندما نهجم عليهم وتعمل بهم أسلحتنا.
 - بل سنسير على تأنّ حتى نخالطهم ليلاً وهم لا يعلمون من نحن فنباغتهم في القتال.
- فساروا وقد حجبت الغيوم نور الشمس وبدأت ترسل عليهم زخات الغيث.

* * *

- أتى الحرس برجل من قبيلة مطير إلى ابن رشيد وكان بقربه ابن عم له.
- ابن رشيد بصرامة:
- ماذا لديك؟
 - إن ابن سعود على مقربة منكم.
 - وكم عدد رجاله؟
 - قرابة ألف رجل أغلبهم راجلون.
- وضع ابن رشيد يده في جيبه ففرح الرجل واعتقد أنه سيكافئه بهذا الخبر، غير أنه استل مسدسه وسدده إلى رأسه فأطلق النار فخرّ الرجل صريعاً، مما دعا ابن عمه ليقول بغضب:
- لماذا قتلته؟
 - ألم نهجم على جماعته منذ قليل وقتلنا فيهم وسلبنا؟

- نعم فعلنا ذلك!
- إذاً فكيف له أن يساعدنا ويخبرنا وهو موتور، فلربما بعثه ابن سعود وأراد أن يخدعني، أعتقد أن ابن سعود يتجرأ ويأتيني بألف مقاتل أغلبهم ليس لديه مطية يركبها، كما أن جندي ضعف جيشه الذي يزعم.
- ثم نادى الحرس وأخذوا جثة الرجل، وقد حلَّ المساء.

* * *

سمعت جهة من معسكر ابن رشيد صوت زحف قادم بتأنٍ وسط ظلام الليل الحالِك.

- فقال قائلهم: أسمعون يا رجال... هذا صوت خيل تقترب فلتستعدوا.
- فقال آخر: ربما كان مدد أهل العراق قادمًا إلينا، ولو كان عدوًّا لهجم علينا ولم يمشِ بتأنٍ هكذا.
- فأشعلوا المشاعل وأخذوا ينتظرون ما تسفر عنه الأمور.

رأى عبد العزيز ورجاله المشاعل التي أنارت ما حولها وكشفت الرجال الذين أخذوا بالتزايد، واستعد رجاله لإطلاق النار إلا أنه أمهلهم، فلما لاح لهم وجوههم أمرهم بإطلاق النار، فثارت النيران وكأنها طلقة رجل واحد فتساقط العدو ما بين قتيل وجريح.

حافظ عبد العزيز على مسير رجاله بتأنٍ وسط الهلع الذي عم العدو وأخذ بعضهم يفر، وقد اعتقدوا أن معسكرهم قد أخذ، فخالطهم جيش عبد العزيز وأخذوا يقتلون فيهم وهم على تأنيبهم، فأى شخص يحمل مشعلاً يقتل وأي شخص يقبل ويقول:

- ما الأمر ماذا حدث!

يجد نفسه وقد سأله منكر ونكير؟؟؟

* * *

كان الظلام قد خيم على ابن رشيد فأخذ يمشي وأذناه تلتقط صراخاً، فلمحت عيناه بصيص ضوء فاتجه نحوه، فوجد عند الضوء الذي لا مصدر له مجموعة رجال، فسألهم:

- من أنتم وما هذا المكان؟

فجأة، قبضت يدان على رقبته بقوة شديدة، فانتزع نفسه منها بصعوبة وقال:

- من أنت؟ أين أنا!؟

فأجابه صاحب اليدان:

- أنا خصمك عند الملك الديان، فاذهب لقضاء عدة دقائق في دنيك.

تبين ابن رشيد وجه الرجل فعرف أنه الرجل المسن الذي قتله!

فقام فرعاً من نومه وقد بلل العرق جسده، وسمع صوت إطلاق النار وجلبة الجيش فخرج وقد تقلد سيفه، ورأى في عتمة الليل أشباح رجال يتخبطون وصوت إطلاق النار، فركب فرسه وأخذ يجول بين الرجال الهاربين والمضطربون ويسأل:

- ما الأمر يا رجال ما بالكم!!! هل دهمكم اللصوص؟

بيد أن لا مجيباً يجيبه!

فرأى رايته ترفرف فتوجه لها وهو يصيح.

- ما الأمر يا فريخ^(١) من أمرك بحمل الراية؟

ما إن نطق بهذه العبارة والتقطتها أذان الرجال الذين حوله، حتى تحولت فوهات بنادقهم نحوه وأطلقوا النار عليه فأردوه قتيلاً في الموضع الذي نحر فيه المسن وقد هربت فرسه، ولما رآها جنده أيقنوا بمقتله ولاذوا بالفرار، وأخذ خاتمه إلى عبد العزيز ثم جز رأسه وداروا به في البلاد، ودانت نجد لعبد العزيز.

* * *

(١) فريخ: حامل راية ابن رشيد.

لم يكتف عبد العزيز بهذا النصر بل قرّر مهاجمة المناطق التي حول حائل، والتي تدين بالولاء لآل رشيد وبث الرعب فيها، وخضعت له بعد أن رأوا قلة حيلة حاكمهم الجديد. وأقام في منطقة السبعان ينتظر خروج متعب بن عبد العزيز ابن رشيد، إلا أن الأخير لم يحرك ساكنًا، واستمر مقيمًا ثلاثة أيام ثم عاد إلى بريدة فدلف إلى قصرها، وعزل أميرها صالح المهنا بعدما اكتشف أنه يريد الاستقلال ببريدة عنه، وقد أخذ بمراسلة العثمانيين الذي سهلوا أمره ولم يردعوه رغم ولاء عبد العزيز لهم، كما أن صالحًا قد بايعه بيعتين لم تردعاه للرشد والوفاء بيمينه، وقرر سجنه في الرياض وولى على بريدة محمد بن عبدالله أبا الخيل آل مهنا.

* * *

امتعضت القيادة العثمانية بعد أن علمت بمقتل عبد العزيز بن متعب الرشيد، وحنقت أكثر عندما غزى عبد العزيز ضواحي حائل، وخافت أن تسقط بيده فيستتب الأمر له حيث لا ند له، وحاولت جاهدة خلق المشاكل في جزيرة العرب، فأرسلت إلى أحد قادتها المرابطين في المدينة المنورة ويدعى سامي باشا الفاروقي وجعلته قائد القوات في الجزيرة، وأمرته بأن يتصرف على وجه السرعة مع ابن سعود ويحجم أمره. سار سامي باشا بجيشه وقد أرسل خطابًا إلى متعب بن عبد العزيز الرشيد، يأمره بأن يوافيه في قرية سميراء^(١)، فلما التقيا أمره بأن يتدبر أمر بلاد القصيم^(٢) ويكون تابعًا للدولة العثمانية، ثم سار سامي باشا إلى قرية الشبحية فعقد اجتماعًا مع عبد العزيز، وقد نصبت الخيام ورُفرف علم الدولة واصطف الجنود يحملون الأسلحة الحديثة، ليرعبوا بها عبد العزيز وقومه.

وعندما حان الاجتماع الذي تقرر وقت الضحى، أتاهم عبد العزيز وقد

(١) قرية سميراء: إحدى قرى حائل.

(٢) القصيم: غربي مدينة بريدة.

صحبه الكثير من الرجال على الخيل، وكان في استقباله سامي باشا وبعض الضباط فرحب بعبد العزيز الذي ترجل عن حصانه ثم سلم عليهم وصافحهم، ودخل خيمة الاجتماع مع بعض أفراد آل سعود ووجهاء القصيم، وبعد أن تبادلوا الأحاديث الودية دخل سامي باشا في صلب الموضوع:

- لقد دارت في الأيام الأخيرة معركة بينكم وبين حاكم حائل عبد العزيز الرشيد أدت إلى مقتله، وقد آلمنا ذلك كثيراً، ثم تماديتم وهجمتم على حائل وهذا يخالف أنظمتنا، فلا يجوز لك مهاجمة حاكم آخر بغير إذن منا، نظراً لذلك قد تعين أن تبعية منطقة القصيم لناثبا في حائل. ثم صمت سامي باشا ينتظر رد عبد العزيز.

- هل أنهيت حديثك؟

- نعم تفضل بالرد.

- لقد جر تابعتكم أرجله للموت واعتدى علينا وسفك دماء الآمنين وأنتم لم تحركوا ساكناً، وهذه علامة الرضا منكم أو عدم المبالاة بما يحدث في جزيرة العرب، فقط أردتم تملك الأرض وجني الضريبة ولم تبالوا بأرواح البشر ومقدراتهم، وهذا فعل العصابات لا الحكومات التي يجب عليها حماية رعاياها...

قاطعته سامي باشا بغضب إلا أن عبد العزيز أجمه..

■ عبد العزيز بحدة: دعني أنهي قولي..

لقد تركتم أو بمعنى أصح أهملتم جزيرة العرب عقوداً عدة، والآن بعد أن استعدت ملك آبائي تريدون أن تقسموا المنطقة حسب أهوائكم، حتى أنكم لم تراعوا وضعكم الحرج وتزعزع الدولة، ولم تسندونا لكي نقف في صفكم أمام هذه القوى التي تريد اقتسام أراضيكم.

■ ثم صمت برهة وقال:

إنني لم أرشح لكم خوفاً منكم ولكن حباً في الوحدة، وأن نكون يداً

واحدة ضد هذه القوى المتحدة التي أخذت بإضعافكم واستولت على البلاد بتفريطكم ولم يبق سوى سقوطها، وأنا بدوري أريد أن أستقل بجزيرة العرب حتى لا يظنوا أنها تبعاً لكم فنخوض بذلك حرباً لا طاقة لنا بها.

- سامي باشا بغضب: إنك مغتصب للبلاد رغماً عن أهلها.
- عبد العزيز مبتسماً: وكيف أغتصب البلاد وأهلها هم من عاونني على دحر الظلم عنهم فهم من رضوا بي.
- سامي باشا بحق: إن أهل القصيم يريدون أن يكونوا تابعين لنا.
- عبد العزيز بثقة: هؤلاء وجهاء القصيم معي فاسألوهم؟
- فقالوا بصوت واحد:

- لقد رضينا بسلفكم وحل بنا الخير وأمنا، ونحن رضينا بك حاكماً علينا وقد دحر الله بك الفتنة والشر.

- سامي باشا بغضب: إنكم تجهلون مصلحتكم، لم نأت هنا لنسترضيكم، بل لنعلمكم بأنكم تابعون للدولة ويجب عليكم الإخلاص والطاعة لها وإلا سوف نجبركم بالقوة.

قام عبد العزيز وقام القوم معه وكذلك سامي باشا وأعوانه.

- عبد العزيز بغضب: يؤسفني أن توكل الدولة أمورها إلى شخص مثلك، ما كان العرب ليطيعوا صاغرين لا.. والله...

ولو لا أنك ضيف في بلادي ما تركتك تقوم من مكانك.

ثم خرج من عندهم ورحل وسط تسخط سامي باشا وخيبة آماله التي فشلت في السيطرة على الوضع فما عساه أن يخاطب قيادته التي أوكلت هذا العمل إليه.



لما حل المساء أتاه تأكيد فشله وخيبة أمل قيادته به، فقد أته رسل من

عبد العزيز تعلمه بأن يستعد للقتال فجراً، فطار صوابه وأرسل إليه يسترضيه ويعلمه بأنه سيعود بجنوده إلى حائل، إلا أن عبد العزيز رفض عودتهم إلى حائل حتى لا يساندوا حاكمها، وأمره بأن يقسم جيشه إلى قسمين قسم يغادروا إلى العراق وآخر إلى المدينة فامثلوا لأمره صاغرين، وعاد سامي باشا بجنوده وهو يجر خيبة الأمل إلى المدينة، وبعد أشهر أتت عبد العزيز رسالة من الدولة تشكر صنيعه وتدعوه لزيارة الآستانة، فأرسل مندوباً عنه حيث احتفي به وأعطي وسام الدولة لعبد العزيز.

* * *

اغتيال

اغتيال متعب بن عبد العزيز الرشيد وشقيقه مشعل ومحمد على أيدي سلطان وسعود وفيصل أبناء حمود الرشيد، كما حاولوا قتل سعود بن عبد العزيز الذي فرّ به أخواله السبهان من حائل، ولما استوى الملك لسلطان الرشيد بدأ بحشد الحشود والتحرك لاستعادة بلاد القصيم فراسل أمير بريدة محمد أبا الخيل الذي استحسن الأمر وأيده على ذلك ولم يُبالِ باليمين التي عليه لعبد العزيز.

ثم أخذ سلطان بشن الغارات على القبائل الموالية لعبد العزيز، الذي أرسل له من يصده ويردعه فقرر بأن يرسل رسولاً إلى أمير بريدة يعلمه بقدمه إليه، وكذلك يرسل رسولاً إلى فيصل الدويش سانده.

* * *

تأكد عبد العزيز من خروج أمير بريدة عن طاعته، وكذلك دخول سلطان الرشيد البلد، ومحاولتهما استمالة أمير عنيزة صالح الزامل الذي أبى عليهما، وأخبرهما أنه مع عبد العزيز في السراء والضراء ولن يخون اليمين التي قطعها، وسوف يفشل الله أمرك بخيانة عبد العزيز.

وكذلك علم عبد العزيز بأن فيصل الدويش سينضم إليهما ويساندهما، وأرسل يطلب المدد من قبيلتي عتيبة وقحطان فلبوا النداء على عجل.

* * *

بعد أيام سار عبد العزيز إلى فيصل الدويش ومن معه من قبائل مطير وقد تمركزوا قرب المجمععة، وهجم عليهم ودار القتال، والتحم فاجر بن شليويح العتيبي مع فيصل الدويش وتصاولا بالسيف، حتى استطاع فاجر طرحه عن فرسه وجرحه جرحاً بليغاً، ولاذ بالفرار هو ومن معه وتحصن في المجمععة، ثم ضرب الحصار عليها حتى طلب فيصل الدويش من عبد العزيز الأمان فأمنه، وأكمل طريقه نحو بريدة وقد ساندته أهل عنيزة بقيادة صالح الزامل السليم، وحاصرها حصاراً شديداً وأخذ في إرهاب القرى التي حولها، ممن أيد أميرها حتى طلبوا منه الأمان ورضخوا لسلطانه فأمنهم وكف رجاله عنهم، واستمر الحصار على بريدة عدة أشهر.

* * *

اجتمع وجهاء بريدة مع أقرباء الأمير في إحدى القصور ليلاً، وأخذوا يلومونهم على نقض يمين عبد العزيز ويقولوا:

- لقد خربتم ديارنا وسيجليننا عبد العزيز منها أيضاً.

■ أحد أقارب الأمير:

- لقد خسرتنا تجارتنا بعد أن حكمنا عبد العزيز ومنعت عنا ميرة الشام، فقد ضيقت الدولة الخناق على عبد العزيز ونحن معه، وهذا ما دفع الأمير لإبرام اتفاقية مع ابن رشيد الذي سيفتح لنا الأسواق، وتدر علينا الأموال أكثر ونأمن الحرب.

■ أحد كبار السن:

- والله لن يأمن الحرب من خان اليمين، لقد نشر عبد العزيز الدعاة في أهل الوبر والمدر، وأمنت البلاد التي تحت يديه، وأرى الخير مقبل بإذن الله على حكمه وعلى من ناصره، على عكس من لذتم به وها هو محصور معنا الآن فليدفع عنا الحصار إن استطاع.

■ قريب الأمير: لن يستطيع عبد العزيز دخول بريدة عنوة وسوف يمل ويرحل.

واستمر جدالهم حتى عاد كلُّ إلى داره..

* * *

الطرفية ١٩٠٧م



فيصل الدويش.

أغار فيصل الدويش ليلاً على جيش عبد العزيز المرابط حول بريدة محاولاً مفاجأتهم، إلا أن الجيش هزمه ولحقه إلى مخيمه في الطرفية، وبينما عبد العزيز في مقدمة الرجال كبا فرسه ووقع منه وكسر كتفه من أثر ذلك الارتطام فأغمي عليه، ترجل أخاه محمد بسرعة والتزمه بين ذراعيه، وأمر فهد بن جلوي بقيادة الرجال ومطاردة العدو فامتلأ أمره ولحقهم. هرب فيصل الدويش وقد قتل الكثير من رجاله وغنمت أسلحتهم وركابهم.

ولما عاد فهد بن جلوي وجد عبد العزيز قد ربط ذراعه إلى عنقه فشكر الرجال على حسن بلائهم، وأمرهم بأن يحترسوا ويتجهزوا الليلة، فسوف يهجم عليهم سلطان الرشيد وأبا الخيل معتقدين أننا سنخلد للراحة بعد هذه الغارة. لما انتصف الليل هجم عليهم سلطان ابن رشيد وأبا الخيل، إلا أن

المفاجأة كانت من نصيبه فاشتد القتال إلى الفجر وانهزم جيش سلطان وقتل الكثير من رجاله والقليل من رجال عبد العزيز من بينهم ابن عمه سعود بن غزلان. احتفى سلطان وجيشه خلف أسوار بريدة التي طوقتها قوات عبد العزيز وحاصرتها.

استمرت المحاصرة أشهراً حتى أمر عبد العزيز قواته بالابتعاد عن بريدة، لكي يخرج المحاصرون للهجوم أو الرحيل. وفي إحدى الأيام خرج سلطان ابن رشيد بعد أن سئم من الإقامة في بريدة و تآقت نفسه إلى حائل، فاشتبك مع قوات عبد العزيز في منطقة الأشعالي فهزم هزيمة نكراء أدت إلى عودته إلى حائل، وترك بريدة وفيها سرية من رجاله لحماية أميرها وبسط سطوته عليهم.

وبينما هو عائد إلى حائل رأى قافلة محملة بالمؤن فاقترب منها، وعرف أنها لتجار بريدة فاستولى عليها وأطلق رجالها، فلما وصل الخبر لأهل بريدة نقموا عليه وعلى أبا الخيل إلا أنهم لا يستطيعون شيئاً مع وجود رجال ابن رشيد، فراسلوا عبد العزيز الذي عاد إلى الرياض وترك رجاله حول بريدة، لما وصلت الرسالة سار من فوره إليها، وقد اتفق مع أهلها بأن يفتحوا أبوابها وقت صلاة العشاء، فتم له ذلك وقتل الحرس وحوَصر أبا الخيل في قصره، حتى طلب الأمان من عبد العزيز الذي أمنه وخيره بالمغادرة حيث يشاء، فاختار المضي إلى العراق، ونصب أحمد السديري أميراً على بريدة واستتب له الأمور في القصيم.

* * *

ساءت العلاقة بين سلطان ابن رشيد وشقيقه سعود الذي تمكن من تقييده وقتله، وأخذ يدير شؤون البلد فلم يتمكن من إدارتها جيداً فنقمت عليه رعيته، مما جعل الوجهاء يرسلون خلصة إلى حمود السبهان، طالبين منه العودة وتولية سعود بن عبد العزيز بن متعب ابن رشيد ويكون وصياً على الحكم حتى يشتد عوده، فخرج من المدينة المنورة متجهاً إلى حائل، وسهل له الوجهاء الدخول وولوه السلطة، فلما تم له الأمر خرج لفرض هيئته على القرى والبوادي، إلا أن ساعته عاجلته واستلم مكانه زامل السبهان الذي أخذ بغزو أنصار عبد العزيز.

علم عبد العزيز وهو في الرياض بما جرى في حائل، فقرر أخذ قوة على الفور والتوجه إليها، وأخذ يجوب أطرافها والقبائل تبايعه، ووصل إلى زامل خبره وكان مخيماً في براري حائل لنشر وبسط قوته، فحشد جيشاً يفوق جيش عبد العزيز ثم اتجه نحو المكان الذي يتمركز فيه وقد تدثر النهار بردائه.

وصل زامل بجيشه ورأى خيام عبد العزيز ورجاله وقد أضاءتها المشاعل فابتسم وأمر الرجال بالهجوم، سمع رجال عبد العزيز صوت الخيل تدك الأرض وكأنها طبول الموت ففروا على الخيل وتركوا أمتعتهم وإبلهم التي غنمها زامل وقد حال الليل دون أن ينالوا من رجال عبد العزيز، كانت فرحة زامل لا تضاهيها فرحة فهذا أول اصطدام بعبد العزيز وقد ربح هذه الجولة، وعاد بالغنائم وفيها ناقة عبد العزيز الملقبة بمصيحة إلى مخيمه.

وقف رجل على كثيب والرمال حوله تراقصها الرياح من تارة أخرى، في منتصف الليل وهو يبتهل إلى الله ويقول:

اللهم إن كنت لست أهلاً للذود عن دينك وحماية أهله وإصلاح البلاد فلا توفقني ولا توليني، وإن كنت أهلاً لهذا الأمر فأتمم أمرك وأصلح حال البلاد والعباد.

ولما أنهى صلاته أتاه رجل يخبره بعودة الفرسان فالتفت خلفه ورأى الرجال والفرسان غير بعيدين عنه.

- فهد بن جلوي: إن الفرسان نفذوا خطتك ووقع حاكم حائل في الشرك، إلا أنه لم يقم في المخيم بل رحل بمتاعنا إلى حيث يقيم.
- عبد العزيز: على بركة الله سوف نسير إليه وإذا بزغت عين الشمس نصبّحهم وهم تائقون للنوم وقد أمنوا الهجوم. ثم ركبوا واتجهوا إلى مقصدهم.



أت إحدى سرايا زامل السبهان إلى مخيمه ظهراً، ومعها الكثير من الإبل التي نهبتها من إحدى القبائل المجاورة، وكانوا فرحين بهذا المغنم ويهزجون الأهازيج، ودخلوا بين الخيام حتى وصلوا إلى خيمته وأناخ القائد ناقته ثم دخل الخيمة فلما رأى الجالس فيها صعق وحاول سل سيفه فمنعه الحرس وطرحوه أرضاً فقال:

- الأمان يا أخا نورة الأمان.

كان الجالس عبد العزيز وقد تم له الأمر، فقد هجم على مخيم زامل الذي أخذته المفاجأة هو وجيشه فلم يسعهم سوى الهرب والاحتماء خلف أسوار حائل، وكسب ما تركوه خلفهم وساق الله له هذا الكسب أيضاً.

- عبد العزيز: لك الأمان...
- فتركه الرجال فلما قام قال: ولرجالي يا أخا نورة...

■ عبد العزيز مبتسماً: ولرجالك...
فشكره الرجل وعاد برجاله سالماً إلى حائل...
ثم عاد عبد العزيز إلى بريدة ومن ثم الرياض.

* * *

محمّد وبلايا ١٩١٠م



النقيب شكسبير .

مخرت بارجة حربية عباب البحر الأحمر بعد أن نقلت أحد ضباطها من ميناء جدة متجهة إلى باب المندب، كان ذلك الضابط النقيب شكسبير الذي دلف إلى غرفة العقيد كوكس فوجده يقرأ بعض الوثائق السرية واضعاً عدسة على إحدى عينيه وماسكاً غليونه في يده اليسرى، فلم يشعر بدخول شكسبير عليه حتى وضع يده على كتفه مما دعاه للانتباه فقام ورحب به وصافحه بحرارة وقعدا، وبعد تبادلهما الأسئلة عن أحوالهما والاطمئنان، بادر كوكس بالسؤال:

- كيف هي الأمور؟
- أي أمور عنيت؟
- لا بد أن في جعبتك الكثير، أريد أخبار الجزيرة أولاً بأول بعدما خلع حزب الاتحاد والترقي السلطان عبد الحميد؟

- أعلم أن الأخبار لديك سلفاً ولكن سوف أخبرك، حرض حزب الاتحاد والترقي زعيم قبيلة المنتفق سعدون السعدون على الشيخ مبارك الذي استنجد بعبد العزيز فأنجده، ثم جهز جيشاً بقيادة جابر المبارك وقد صحبه التجار لتأكدهم من النصر ولشراء الغنائم، فلما اصطدم الجيشان لم يلبث جيش مبارك أن هزم وترك خلفه أمتعته وكأنها هدية للمنتفق...

■ كوكس مقاطعاً:

- لو امتثلوا لأمر عبد العزيز لما كان هذا حالهم...

■ ضاقت عينا شكسبير الواسعتين ثم علت شفثيه ابتساماً واسعة:

- صدقت.. إطلاعك يذهلني يا حضرة العقيد كوكس، على كل حال سوف أطلعك على ما علمته أو ما قد علمته أنت مسبقاً.



زامل السبهان.

■ ابتسم كوكس وألاح بيده لشكسبير بأن يكمل حديثه:

- هذا عن حال الكويت، أما حال حائل فقد قام بإدارة شؤونها زامل السبهان، وأما عن حال الحجاز فقد تلقى الشريف حسين المال والسلاح منا وهو يظهر الولاء للدولة التي كلفته بلجم قوى عبد العزيز المتنامية، وأرسلت له السلاح والمال أيضاً فوجب عليه إظهار عضلاته للدولة، وبأنه قادر على القيام بذلك بعد أن فشلت حكومة حائل بذلك.

- كوكس وهو ينفث الدخان:
- ألا يجب أن نقلق من ازدواجية عمل الشريف؟
- شكسبير بابتسامه خبيثة:
- لا أعتقد ذلك فقد وُعدَ بالخلافة بعد أن نقسم الدولة مع القوى الأخرى ونرى رأينا في ذلك إن تم الأمر.
- اتسعت ابتسامه كوكس وأخذ يملأ رثتيه من الدخان ثم ينفثه فحقد ملياً بالبحر من نافذة صغيرة:
- وماذا تقترح في حال عبد العزيز الذي لم تتعامل حكومتنا معه ولم نقدره حق قدره؟
- لقد راسلنا عبد العزيز قبل أن يحكم الرياض وطلب عوننا، فلم نُبالِ به لصغر سنه وعدم تقييمنتنا له حق التقييم، والآن الإمبراطورية تدرس حالته ومدى نفعه لمصالحنا في المنطقة.
- دعنا نرى الآن ماذا سيفعل بعد أن فتحت عليه ثلاث جبهات؟ وكيف سيتعامل معها؟
- شكسبير باستغراب:
- وما هي هذه الجبهات غير جبهة الشريف حسين؟
- كوكس وهو يقلب بعض الأوراق ثم ينظر فيها:
- لقد خرج أبناء عمومته، وأقصد أبناء سعود الفيصل، ضده وألبوا أهل قرية الحريق فحالفوهم وأعلنوا عصيانهم، كما أن الشريف أسر سعداً شقيق عبد العزيز والتفت قبائل عتيبة معه ونزلوا في منطقة نفي، كما أن زامل السبهان طمع فيه بعد انكسار جيش الشيخ مبارك، وخرج في الكثير من المقاتلين محاولاً انتهاء الفرصة التي وجدها بتحالفه مع الشريف حسين.
- إذاً سنرى كيف سيتعامل مع هذه الخطوب التي ربما تنقض ما قد بناه.

أوعز عبد العزيز إلى رجاله في كل منطقة بالحضور، فلم تمض أيام معدودة إلّا وقد طوقوا الرياض، ثم سار بهم حتى نزلوا على عين لعلي بن قنور الرشيدى، فقام بإكرام عبد العزيز وجيشه فنحر لهم الإبل والغنم وأطعمهم، ثم أرسل إلى الشريف حسين رسوياً.

* * *

كان زامل السبهان معسكراً بجيشه في الرس وقد أصابه الحنق من رسالة تلقاها من الشريف حسين مما دعا أحد مقربيه ويدعى فهد ليسأله عن فحوى الرسالة فأجابه:

- إن هذا الشريف يعتقد أنه خليفة علينا ويأمرني وكأنني تابع له بأن أهاجم على ابن سعود.
 - أطلب منه أن تهاجموا عليه سوياً، كما أن جيشكما يفوق جيشه بثلاثة أضعاف أو أكثر.
 - لقد أرسلت له بشأن الهجوم ورأيته رجلاً يتقلب ولا رأي له وقد وقعت في مشكلة الآن.
 - وما هي المشكلة؟
 - لا أستطيع التراجع الآن، حتى لا يعتقد أنه ضعفاً من جانبنا.
- ثم أخذ يفكران بحل لهذه المشكلة...

* * *

وصل الرسول إلى خيمة الشريف حسين فسمح له بالدخول عليه، ولما دخل سلمه الرسالة ففتح الختم وأخذ يقرأها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

جناب الشريف حسين بن علي المكرّم وعلى جدكم ألف الصلاة والسلام، إنه ليؤسفني أن نكون في هذا الموضع من الشقاق بدلاً من

التكاتف والاتحاد، فقد وطأتم بلادي وأسرتم أخي وقتلتم من معه فأرجو من فخامتكم إطلاق سراحه مع تفسيركم لما حدث.
الموقع أدناه...

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

طوى الشريف الرسالة ثم أمر الرسول بالعودة إلى مرسله، فغادر الخيمة مما دعا ابن عمه الشريف خالد ابن لؤي ليسأله؟ فأخبره الشريف بما ورد في الرسالة.

- كان الواجب عليك الرد وعدم السكوت هكذا يا سيدي.
- ومن هو حتى يسألني ويتناول عليّ؟
- إنه حاكم نجد ولم يتناول عليك بل سألك بكل الأدب والاحترام.
- إنه ليس سوى أحد رعيتي ولست ملزماً لأجبيه على تساؤلاته، حتى أن الناس سينفرون من أراضيه التي أجديت ويتوافدون إليّ لإطعامهم، ولن يجدوا ملاذاً غيري، كما أنه سيجد نفسه يحكم قطاع طرق ولن يستطيع السيطرة عليهم.
- والله إن البلاد التي حكمها آمنة، وقد علم أهلها تعاليم الدين ونشره بينهم، ونبذوا التعصب الأعمى بينهم وقلّ قطع...
- رمقه الشريف بنظرة جعلته يصمت، فدخل عليهما اثنان من أبناء عمومتهما فأمرهما الحسين بأن يحرسا خيمة سعد وإن هجم عليهم عبد العزيز فليقتلوه من غير تردد.

* * *

إنه لا يعي تصرفاته...

نطق عبد العزيز هذه العبارة عندما أخبره الرسول بما جرى معه، وأرسل رسولاً إلى زامل السبهان يدعوه للصلح والتفاوض معه فليرسل من يثق به إليه ويشترط شروطه...

لما وصل الرسول إلى زامل كان ذلك هو المخرج من مأزقه، فأرسل أحد خدمه ويدعى فائز ومعه رجلان، واستقبلهم عبد العزيز بحفاوة.

- ما هي شروطكم؟

■ فائز:

- إن أميرنا يطلب منكم عدم مساسك بالقبائل الموالية لنا، هي قبيلة حرب وقبيلة الرشادية وقبيلة عبدالله، وزكاة هذه القبائل لنا وإن احتكت ناقة من إبلهم بجدران الرياض فلا تتعرضوا لها.

- لكم ما طلبتم.

ثم أمر بورقة وكتب لهم شروطهم وأمضاها، وأعطى فائزاً ثلاثمائة جنية وأعطى مائة جنية لكلا الرجلين، وأرسل معهم رجلان من قبله إلى زامل حتى يؤكدوا له صدق نيته، ولما تم الاتفاق رحل زامل السبهان إلى حائل وأمر رجاله بعدم التعرض لأحد أو إتلاف ممتلكات من يمرون بهم.

علم الشريف برحيل زامل السبهان فاعتراه الغضب، وحاول أن يكسب المسألة لصالحه فأرسل إلى عبد العزيز خالد بن لؤي، ولما وصل الأخير إلى خيمة ودخلها رأى أهل الصلاح لديه وارتاحت نفسه إليهم، وقام عبد العزيز مرحباً به وأقعده بقربه وبعد تبادل الأحاديث الودية، تحدث خالد بما أرسل من أجله.

- إن الشريف حسين يسألك أن تعترف به أميراً عليكم وتدفع له الضريبة كل عام، عندها سيطلق سراح أخيك ويعود إلى دياره.

- لقد عانيت الأهوال من أجل إصلاح حال هذه البلاد يا خالد...

■ فأطرق قليلاً ثم قال:

- أطلب مني أن أعترف به أميراً علينا وأدفع له ضريبة أيضاً والله إن هذا لهو

الهوان وضياع للأمانة بعد أن فتح الله عليّ وسبب الأسباب على يدي لإصلاح البلاد، فاذهب إليه وأخبره بأن يطلق سراح أخي، فأنا في بلادي وهو في بلاده لا أنازعه ما لم يعترضنا ويسبب القلاقل.

خرج خالد ولم ينطق بشيء حتى انتهى إلى خيمة الشريف، وأخبره بما دار من حديث وطلب منه إطلاق سعد والرجوع للبلاد، فأبى... ألا يرجع حتى يعترف به ويدفع الضريبة.

أرسل خالد إلى عبد العزيز يخبره بالأمر ويعتذر له، فأخذ يفكر بحيلة أو ما قد يضعف أمر الشريف ويجبره على إطلاق سراح شقيقه والعودة إلى دياره.

* * *

دارت أحاديث بعض الرجال عن أمر الشريف والإمام تحت سقف بيت من الشعر وقت الهاجرة، فانقطع حديثهم لما رأوا راكباً يقدم عليهم ويسأل عن محمد بن هندي بن حميد؟

فقام محمد وعرفه بنفسه فسلمه رسالة ورحل، ركب محمد جواده واتجه إلى إمام نفي ليقراً له الرسالة، فلما وصل إلى بيته طرق الباب، فتح الإمام الباب ورحب به وأدخله، ولما قعدا أعطاه الرسالة فأخذ يقرأها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرّم الأمير محمد بن هندي سلمه الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد..

أرسل لك هذه الرسالة من أجل هذه الأفعى التي أتيتم بها يا معشر عتيبة وألقيتموها بحجري، وفعل بنجد ما فعل وحبس أخي سعداً، فوالله الذي رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جماد إن لم يطلق أخي سعد معافى،

لأجعلها عليك أنت وهو ناراً مستعرة تذيب تراب نفي وجبالها، فإن شئت سلمت وسلم أهلك وأنت أعلم بأمر هذه الأفعى.
الموقع أدناه...

سور العوجاء وأنا ابن مقرر

- محمد وقد اكتسته الحيرة: والله إن هذه لمصيبة جمّة... كيف الخلاص من هذا المدري.
- إمام نفي: أنت أعلم بحلها يا شيخ والأفضل لك في دينك ودنياك التزام جانب عبد العزيز.
- محمد: أترى ذلك يا إمام؟
- إمام نفي: هو الرأي.
- ركب محمد جواده وشد عنانه ولم يرخه، حتى وصل إلى خيمة عبد العزيز فلما أدخل عليه.
- ما وراءك؟
- كل خير سوف أجلب لك سعداً ولكن أريد منك شراء حصانين من علي بن قنور.
- لك ذلك.
- أبشر بأخيك يا إمام.
- فلما أخذ الحصانين ذهب بهما إلى الشريف، وأهداهما إليه وأخبرهما أنهما من عبد العزيز، هدية له وهما من الخيل الأصيلة، ثم انكفئ محمد يقبل رأس الشريف ويطلب منه أن يطلق سعداً، فقبل الشريف ذلك وأطلق سعداً ثم عاد إلى دياره.



عندما انتهى عبد العزيز من مشكلة الشريف اتجه إلى قرية الحريق حتى يطفئ فتنة أبناء عمه سعود الذين ساندتهم الهزازنة سكان الحريق، ولما وصل

إليها راسلهم وكتب لكبيرهم سعود بن عبد العزيز بن سعود الفيصل الذي طلب منه منطقة الخرج لتكون ملكاً له فرد عليه :

يا ابن العم يا سعود بن عبد العزيز...

والله لو طلبت من ملك نجد شجرة تختص بها دوني فما أعطيتك، أتريد أن أجلس بقصري فيقول العرب عني يا محظوظ وعنك يا محفوظ؟

لا يجتمع فحلان في ذود..

ولكن أجعلك بمنزلة أخي وأواسيك بنفسي وأنت شريكى بكل خير

يأتيني.

لم يحفل سعود بجوابه وأخذ يبحث أنصاره على القتال ويمنيهم الأمانى، فهجم عليهم عبد العزيز وفرق جمعهم وقتل من قتل وهرب أبناء عمه إلى الإحساء، وفر سعود إلى مكة حيث الشريف حسين بن علي الذي استقبله بحفاوة كبيرة.

* * *

إهداق الخطر وبناء المهجر

شعر عبد العزيز بالتقلبات التي تعصف بالبلاد الإسلامية، ورأى مدى تشتت المسلمين وتفككهم وخاصة أعراب الجزيرة، وأخذ يفكر في أمر يلهم شملهم ويشد من تماسك بلاده فأرشده الله لأمر فيه صلاح العباد والبلاد، وأرسل في طلب الشيخ عبد اللطيف آل شيخ فعندما حضر عنده.

- يا شيخ! لقد صلح حال الأعراب ممن تمسك بتعاليم الدين، وأخذ الآخرون بالاحتذاء بهم.

- الحمد لله على تيسيره وكرمه، وأسأله أن يعز وينصر دينه، وجزاك الله خيراً فأنت من أمر بنشر الوعظ بينهم، وتعليمهم أمور شريعتهم.

- هذا من فضل الله علينا يا شيخ...

لكن! لن تصلح البلاد ما لم نوحّد بنيانها وتماسكها، فقد أهدق الخطر!

■ الشيخ بقلق:

- لقد أفلقتني وما هذا الخطر الذي أهدق؟

- إن صدق حدسي فسوف تشن الإمبراطورية البريطانية وحلفائها الحرب على ألمانيا وحليفاتها الدولة العثمانية، الأمر الذي سيؤدي إلى انهيار الدولة وتفككها.

- ربما تخسر الإمبراطورية الحرب، بل ربما تتوقف ويبقى كل طرف على حاله؟

- ربما... بيد أن الدولة العثمانية قد هرمت وهذا هو وقت فنائها بعد أن تفسى فيها الظلم و الجور، ونحن نعلم ما يلاقيه المسلمين من مهانة جراء تخبطها، كما أن الأعداء قد نخروها وتمكنوا من السيطرة على زمام أمرها حتى أن السلطان لا يملك أمره عوضاً عن إدارته لشؤون البلاد، وقد تمكن حزب الاتحاد والترقي مؤخراً من السيطرة على مقاليد الحكم، ولسوف تنشب الحرب وتتقاسم الإمبراطورية البريطانية البلاد مع حلفائها، وأخشى أن يعتبروا بلادنا قسماً منها، وخاصة منطقة الإحساء وذلك لتمرکز الترك فيها.

كان الشيخ مندهشاً مما يسمع وقلق أيضاً:

- سوف نعلن الجهاد عليهم إن اقتربوا من بلادنا.

■ عبد العزيز مبتمساً:

- إن حالهم وحالنا كحال رجل معه سيف يقابل رجل آخر معه بندقية أيهما سينتصر في رأيك، كما أن أسلحتنا من صنعهم وسيقطعون ذخيرتها عنا، ناهيك عن جيوشهم المدربة وسفنهم التي ترسو في بحرنا، وما على قادتهم إلا إطلاق نيران المدافع لتشتيت جمعنا...

يا شيخ... إن سادتهم قارون هاجعون في بلادهم، يتمتعون وينعمون ويديرون مخططاتهم من مجالسهم، وليست كما عهدناها من الحروب السابقة، وسبب ذلك تخبط القيادة العثمانية التي أسهمت في تغييبنا قروناً عن ركب الحضارة والعلم.

- حقاً إن هذا هو الخطر... ولكن ما العمل؟

- العمل هو إصلاح بلادنا وذلك في إصلاح الفرد، وليس لنا صلاح وقوة إلا بالتمسك بشريعتنا وحمل راية التوحيد، وهذا الأمر هو سلاحنا لمواجهة هذه القوة الرهيبة، فلا بد من إحياء الأعراب بالدين، وحثهم على هجر عادات التنقل إلى الاستقرار وبناء الدور.

- إنه عمل عظيم ولكن كيف السبيل لذلك؟
- لا بد من توفير الماء أولاً وذلك بحفر الآبار لكي تبنى الدور حولها، كما سأجري لهذه القرى مبالغ من المال ومساعدات غذائية، ويحرس كل قرية رجال من أهلها يزودون بالسلاح، وإذا تم هذا الأمر ستمكن من توحيد البلاد بقسوة، كما ستمكن من جمع الجيوش بكل يسر وسهولة. اندهش الشيخ من هذا المشروع العظيم:
- حقاً إنه مشروع عظيم أسأل الله أن يتمه ويبارك فيه، ومتى سنبدأ في تنفيذه؟
- من الآن يا شيخ فيجب إرسال الرسل لدعاتنا ليحثوا ويرغبوا أتباعهم في الأمر، وليمثلوا لأمر إمامهم.

* * *

مَدَّ يَدَ الْعَوْنِ الْكُوَيْتِ



الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود.

أخذ الشريف حسين في تضيق الخناق على تجار نجد، وأمد سعود بن عبد العزيز آل سعود بالمعونة وحثه على غزو المواليين لعبد العزيز ممن هم قرب بلاد الحجاز، كما بدأ تركي بن سعود في التمرد أيضاً وناصره الأعراب أغلبهم من قبيلة العجمان خوولته، فأخذوا بقطع الطريق على القوافل التي تتبع لحماية عبد العزيز، ونشروا الذعر في بلاد الإحساء وقد غضت القيادة العثمانية الطرف عنهم.

استعد عبد العزيز أتم الاستعداد لقمع التمرد في بلاد الإحساء، إلا أن كتاباً أتاه من الشيخ مبارك يطلب منه القدوم إليه لتصفية حسابهم مع السعدون زعيم قبيلة المنتفق، فأجابه على الفور ولما وصل الكويت لم يدخلها بل انضم لجيش الشيخ، وغزوا السعدون الذي نذر بهم وفر عنهم فعادوا أدراجهم، ثم

توجه عبد العزيز إلى الرياض على الفور، وبينما هو يسير في أطراف الإحساء... أتته الأعين تخبره وتؤكد له أن تركي بن عبد العزيز يرصده، ويريد الإيقاع به ويكمن في إحدى ضواحي الإحساء، أكمل عبد العزيز مسيره وقد أرسل الأعين بين يده ليحددوا مكانه ولما عادوا إليه أبلغوه بمكانه، فشد على الجيش وصبح تركي وأعوانه فالتحم القتال واشتد وقتل تركي وفر من بقيت روحه في جسده، وأمر بغسل جثة تركي وتكفينه وصلى عليه.

ثم أرسل سرايا لمطاردة الفارين وتأديبهم، وأقام في الإحساء عدة أيام ليوطد الأمن فيها، مما أقلق ذلك الأمر القائد التركي في الهفوف، الذي أمر بإرسال قافلة محملة بمختلف الأطعمة وقطيعاً من الغنم، وعندما وصلت إلى عبد العزيز فرقها بين رجاله، وسلموه رسالة من والي البصرة سليمان كمال باشا يسأله عن رأيه في زعماء العرب وشقاقهم وخروجهم عن الدولة؟

■ فكتب له :

إنكم لم تحسنوا إلى العرب، ولا عاملتموهم على الأقل بالعدل، وأنا أعلم أن استشارتكم إياي إنما هي وسيلة لاستطلاع أمري ومعرفة خفايا نيتي، على كل حال سوف أعطيكم رأيي، ولكم الخيار فيمن تولون.

إنكم المسؤولون عما جرى للعرب من شقاق، فقد اكتفيتم بأن تحكموا ولم تتمكنوا حتى من ذلك، وقد فاتكم أن الراعي مسؤول عن رعيته، وفاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان، وفاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون إذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم.

إنما أردتم أن تحكموا العرب فتقضوا إربكم منهم، ولم توفقوا إلى شيء بل لم تنفعوهم ولا نفعتم أنفسكم، وعلى كل حال أنتم اليوم في حاجة إلى راحة البال لتتمكنوا من النظر إلى أموركم الجوهرية.

وأرى أن عليكم أن تتفقوا مع العرب ويكون كالاتي :

أن تدعوا رؤساء العرب جميعاً إلى مؤتمر في مكان لا سيادة فيه لكم حتى

يتسنى لهم المذاكرة بكل حرية وكذلك ليتعرفوا على بعضهم البعض ويتألفوا، فكل مجهول منكور وكل معروف مألوف.

ثم يتقرر أحد الأمرين:

إما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد. وإما أن تقسموها إلى ولايات تحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفواً من كل الوجوه، وتربطونها ببعضها البعض، بما هو عام مشترك في المصالح والمؤسسات.

وينبغي أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً إدارياً وتكونوا أنتم المشرفين عليها، وإن تم ذلك فعلى كل أمير عربي أو رئيس ولاية مساندة زملائه، وأن يكونوا يداً واحدة وكل من يخل بالشروط نكون يداً واحدة عليه.

وهذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب، وتكون فيها الضربة القاضية على أعدائكم.

ثم ختم الكتاب بختمه وأرسله إلى الوالي وعاد قافلاً إلى الرياض.

دخل أحد العبيد إلى مجلس الشريف الذي تخللته أشعة شمس الضحى من خلال شبابيك القصر المطل على باحة المسجد الحرام، كان في المجلس بعض السادة الأشراف ووفود من مختلف بلاد الدولة.

■ **العبد:** مولاي إن بالباب رجلاً يدعى صالح الحسن ابن عدل وهو رسول من سلطان نجد.

أشار له الشريف بأن يدخله، ولما دخل سلم عليهم وأمره الشريف بالعودة.

■ **صالح:** إن الإمام قد أرسل إليك بعضاً من الخيل وقطعاناً من الإبل العُمانية النجبية وحملني رسالة لك.

فقام صالح وقدم الرسالة إلى الشريف الذي أخذ يقرؤها ووجد فيها عبارات الإخوة والثناء.

- الشريف: هل انتهيت من زيارة البيت يا صالح.
 - صالح: إنه أول عمل قمت فيه لما دخلت البلد.
 - الشريف: تقبل الله منك أقم بضيافتنا حتى نأذن لك بالانصراف، كما أدعوك هذا المساء لمشاركتي المائدة.
 - صالح: بكل سرور يا سيدي.
- ثم استأذن بالانصراف لمكان إقامته فأذن له.

ولما انصرف سأل أحد رجال الوفد المصري الشريف خالد بن لؤي، وكان بقربه، عن سبب إطلاق لفظ الإمام على سلطان نجد؟

- خالد: لأن سلطان نجد نشر تعاليم الدين فيها وحض على التعلم وأجزل العطاء لأهل العلم والمتعلمين وقربهم منه، كما أمر ببند حياة الترحال إلى الاستقرار.

■ المصري مقاطعاً: وكيف هذا!

- خالد: لك الحق في التعجب! لقد حفر الآبار وأنفق المال لبناء الدور ووضع حماية لتلك القرى أو الهجر.

■ المصري مستغرباً: هجر!

- خالد: الهجر تعني هجر حياة التنقل إلى الاستقرار في قرى تم إنشاؤها حديثاً.

- المصري: لم تشهد جزيرة العرب استقراراً منذ أن نقلت العاصمة إلى دمشق أيام الأمويين، وهذا الرجل يحدث انقلاباً جذرياً عجزت عنه الدولة، وأرى أنه خبيثة الله للعباد لإصلاح حالهم في هذا الوقت العصيب الذي تمر فيه الأمة بأجمعها.

■ خالد: صدقت... صدقت...

قال كلماته وهو ينظر للوفود الذين أخذوا في الاستئذان والمغادرة.

مساء وبينما الشريف وأبناء عمومته يتحدثون، أتاه رجلٌ يخبره بمقتل عفاس بن محيا العتيبي الأمر الذي جعله يغضب غضباً شديداً ويحزن حزناً عظيماً، واستفسر عن الذي قتله فأخبره أنهم رجال ابن سعود بقيادة أخاه محمد.

■ الشريف يحزن مشوب بغضب: عجباً لهذا الرجل يرسل إليّ العطايا ويهاجم حلفائي عتيبة، ويقتل الفارس الشهم عفاس وهو بمثابة ابن لي ألا ترون حيلته وغدره.

■ وافقه الأشراف إلا خالداً: لم يحتل على أحد يا سيدي! بل أنت من بدأ هذه المشكلة عندما أدخلت ابن عمه معك، وأمّرت على حلفائك ليقطعوا الطريق ويهاجموا حلفاء عبد العزيز، فأنت من بدأ وأيضاً لم أرك تغضب عندما غزا حاكم حائل على قبائل عتيبة ولم تثر لحلفائك.

ضرب الشريف براحة يده على ركبته وقال لمن حوله:

- ألا تسمعوا هذا.... يلومني ويساند الغريب.

■ خالد: بل أقول الحق يا سيدي ولا أمالك وأجاملك.

■ الشريف باستهزاء: وأي حق عرفته وجهلناه؟

■ خالد: منذ أن حكمنا لم نصلح البلاد كما فعل آل سعود، بل شاركنا في قطع الطريق وزرع الفتن بين العرب، وقد تعدى الأمر إلى أن ندخل أو نمنع من نشاء إلى بيت الله الحرام، وكذلك لم نحل الخلاف بين الأمة ونوحد المذاهب، بدل أن يؤم المصلين أربعة مشايخ في صلاة^(١).

(١) كان أئمة المذاهب الأربعة يتناوبون الصلوات الخمس.

قاطعته الشريف بغضب وأمره بمغادرة المجلس بسرعة.
عندما أتى صالح ابن عدل إلى مواعده مع الشريف دخل عليه
فوجده ممتلئ غضباً، فأخبره بما جرى وأمره بأن يأخذ هداياه ويرحل
فوراً.

■ **صالح:** إنني يا سيدي لست إلا رسولاً وليست بيدي حيلة...
وأرجو منك أن تبقي هذه الهدايا لديك، حتى تتبين الأسباب قبل
أن تقطع العلاقات بهذا التصرف.

■ **الشريف بحق ممزوج بكبرياء:** لست أريد منك ومن سيدك شيئاً بل أنتم
من بحاجة لي فكل شيء متوفر لدي، وسأقطع العلاقة بيننا وأمنعكم من
دخول مكة هيا ارحل.

غادر صالح المجلس ومرّ في طريقه على أحد الأشراف، وطلب منه أن
يتشفع عند الشريف بقبول الهدايا والتروي في الأمر، حاول الأخير جاهداً مع
الشريف حسين ولم يفلح، وعاد صالح بهداياه إلى الرياض، وبعد أيام فرّ
سعود بن عبد العزيز من الشريف حسين، عندما أحس منه الخيانة ولجأ إلى
حائل.

* * *

الإحصاء ١٩١٢ م

دخلت قافلة محملة بشتى أصناف السلع مدينة الهفوف، وتوافد التجار إليها والعامه أيضاً وأخذوا يشترون، وبينما هم كذلك أتى أحد التجار شيخ كبير السن كان يشتري كميات كبيرة من الملابس وقال له:

- يا شيخ عبد اللطيف إن إبلك التي سُرقت منذ يومين تباع في السوق الآن!
ترك الشيخ عبد اللطيف ما في يديه وتوجه على الفور هو والرجل إلى سوق الماشية ووجد إبله تباع في السوق، فاقترب من البائع وكان رجلاً أعرابياً.
■ الشيخ عبد اللطيف وهو يلمس الإبل: ما شاء الله من أين اشتريت هذه الإبل؟

■ الأعرابي: هي إبلي وهذا وسمننا عليها.

■ الشيخ: سوف أشتريها منك لكن أمهلني حتى أحضر نقودي.

■ الأعرابي: عجل علي ولا تتأخر.

ذهب الشيخ إلى مسؤول الأمن العثماني، وأخبره الخبر، بيد أن الأخير لم يعره اهتماماً، ولما ألح عليه قال له:

- أخرج وإلا جعلت الحرس يخرجونك.

غضب الشيخ من هذا التصرف وذهب إلى الأعرابي وأخبره إن هذه إبله وعددها ثلاثة وعشرون وقد سرقت منذ يومين.

■ الأعرابي: اذهب وإلا أخذتك عبداً لي أتدعي شيئاً لك وهو لي، هيا ارحل.

فاجتمع بعض من قوم الأعرابي حوله، مما اضطر الشيخ للعودة إلى بيته وهو في غاية الغضب، ولما باع الأعرابي الإبل لأحد الأعراب، ذهب إلى مسؤول الأمن وأعطاه شيئاً من المال ثم غادر المدينة.

في المساء اجتمع بعض التجار عند الشيخ يواسونه فقال أحدهم:

- لقد سرقت ذات يوم وأتاني السارق يبيعي ما سرقة مني فأبي جراًة تلك.
 ■ وقال آخر: لقد رأيت الأعرابي الذي سرق الشيخ عبد اللطيف وهو يدخل عند مسؤول الأمن.

■ الشيخ غانم: لقد مللنا هذه التصرفات وآن لنا أن ننهي هذه المسألة.

■ أحدهم: وكيف يا شيخ فلا قدرة لنا على الأعراب ولا الترك؟

■ الشيخ: نطلب العون من العزيز ثم من عبده.

■ أحدهم: تقصد ابن سعود؟

■ الشيخ: هو المقصود...

إن أكثر معارفي يشنون عليه خيراً، ولا يأكل أموالهم مثلما يفعل الحكام المجاورون، وكذلك لم يطلق على نفسه الوالي أو الحاكم بل ينعته الجميع بعبد العزيز أو الإمام، والله يا قوم إن في اتباع هذا الرجل الصالح صلاح حالنا وازدهار تجارتنا، فليشي بي من يريد الآن فقد صارحتكم بما في نفسي.

تطلع الرجال ببعضهم البعض ثم أقسموا للشيخ بأنهم معه، وسوف يساندون عبد العزيز ويرتضوه حاكماً عليهم، كما سيحشدون المزيد من الرجال ممن يثقون بهم.

ثم بدؤوا في كتابة رسالة إلى عبد العزيز يخبرونه بسوء أحوالهم وانفلات الأمن، وأن قوافل أهل نجد تتعرض للسلب برضا من السلطة عندهم، ويستحثونه على القدوم وتولي السلطة وأنهم أتباع مخلصين له والله شاهد على ما نقول.

ثم أمضوا على الكتاب وأرسلوه.

بعد بضعة أيام أتى الشيخ كتاب من عبد العزيز يخبرهم ويطمئنهم بقبول طلبهم، فليكونوا على استعداد لإشارته.

عموم

في ليلة غاب فيها القمر اجتمع عبد العزيز مع جيشه المكوّن من (٦٠٠) رجل قريباً من أسوار الهفوف، وأمرهم أن ينقسموا (٣) أقسام ويتسلقوا الأسوار ولا يكلموا أحداً أو يلابسوه، فإن دخلوا المدينة فليقاتلوا من يقاتلهم وإياهم ودخول البيوت أو التعرض للنساء والأطفال والعجزة...

فامثلوا لأمره وحملوا جذوع النخل وقد ربطوها لتسور السور، كان عبد العزيز سابقاً للقسم الذي معه فلما أبطؤا عليه، أراد أن يتسلق السور فأتاه أحد رجاله على عجل ويدعى عمعوم فلطمه وقال:

- إياك يا عبد العزيز أن تعدم المسلمين نفسك بعد أن منّ الله علينا بك، وأنا أصعد قبلك.

ابتسم عبد العزيز من هذا الموقف وهو يرى عمعوم يتسلق السور، ثمّ التف رجاله حوله فأمرهم بالصعود. ولما تسوروا السور، أسروا بعض الحرس وصاح أحد الرجال بأعلى صوته:

- الحكم للعزير ثم لعبد... الحكم لله ثم لعبد العزيز...

فأخذ يكررها حتى خرج الناس يهتفون ويهللون وقد هرب الجند واحتموا بالقصر.

وعندما حل الصباح استسلم القائد وجنوده عندما رأى انفلات الأمر من يده، بعد أن أمنهم عبد العزيز على أرواحهم، فغادروا الإحساء بسلاح الراكب وتركوا الكثير من السلاح وبعض المدافع، وأرسل معهم سرية لحمايتهم حتى

يصلوا للخليج ويغادروا على مركبهم، ثم أرسل عبد الرحمن بن سويلم على رأس سرية إلى القطيف فخضعت وأذعنت له بكل يسر وسهولة.

* * *

عاد مركب الحامية العثمانية إلى ساحل العقير، بعد أن أقنعهم أحد قادة البوارج الإنجليزية بالعودة إلى الإحساء، واسترداها من أيدي الأعراب وأمدتهم بالسلاح، ولما اقتربوا من الساحل أمرهم القائد العثماني بالتوقف وإرسال الجنود على ستة قوارب، للاستيلاء على الميناء وتأمينه حتى يتمكن المركب من الرسو فيه. حمل كل قارب اثنا عشر جندياً وعندما اقتربوا من الميناء، أمطروا بوابل من الرصاص فأخذوا يتساقطون في مياه الخليج وتناهشت الأسماك جثثهم فهرب البقية، وصاح بهم أحد الحرس محذراً:

- لقد أمنكم الإمام وأطلق سراحكم أفهكذا الجزاء! إياكم والعودة مرة أخرى فقد نصبنا المدافع ولو شئنا لنسفنا مركبكم.

عاد من سلم من الجنود إلى مركبهم وقد نقلوا إلى القائد الرسالة فقال لأحد معاونيه:

- لقد علمت أن شخصاً مثل عبد العزيز لا يغفل عن شيء، ولكن رجوت أن أكون مخطئاً، هيا فلنعد إلى البصرة ونسترح من هذه الصحراء اللعينة وشياطينها.

* * *

السلطان عبد العزيز

طرق أحد الجند باب غرفة العقيد كوكس الذي سمح له في الدخول واستلم منه برقية من قيادته العليا. ولما غادر الجندي أخذ في قراءتها، وبينما هو كذلك دخل عليه النقيب شكسبير الذي لاحت على وجهه آثار الحيرة.

- سيدي أما أنّ لك إخباري بسب تصرفك وإمدادك للأتراك بالسلاح لاستعادة الإحساء؟

ضحك كوكس من حيرة مساعده ثم سحب درج مكتبه وأخرج غليونه، ووضعه في فمه وأخذ يبحث عن علبة عيدان الثقاب التي كانت ملقاة على الأرض فالتقطها شكسبير وأخرج عوداً ثم أشعله ومدّه لغليون كوكس الذي أخذ يشفط الهواء ليشعل التبغ، ولما دخل الدخان رثنيه أخذ يتطلع إليه ثم قام وخرج وشكسبير خلفه يتبعه فسار حتى وصل إلى مؤخرة البارجة، وأخذ يتطلع إلى طيور البحر التي أخذت تصطاد الأسماك.

- اعتقدت أنك فهمت الأمر يا حضرة النقيب؟

- وكيف لي أن أفهم سبب تصرفك بمد يد العون للترك ونصحهم بالعودة واستعادة المنطقة من عبد العزيز وأعوانه حتى أن المعادلة متناقضة!

■ التفت إليه كوكس وتساءل باستغراب: وأي معادلة تقصد!

- أقصد معادلة القوة فرجوع الترك أشد علينا من سيطرة عبد العزيز وأتباعه الذين نستطيع سحقهم بكل بساطة.

أمعن كوكس النظر في عيني شكسبير ثم نظر باتجاه البحر وقرص الشمس الذي توارى خلف الغيوم..

- عزيزي... شكسبير سوف أشرح لك الأمر؟

إن سبب مساعدتي للترك هو من أجل كسب الوقت!

■ شكسبير باستغراب شديد: الوقت!

■ أشار إليه كوكس بالهدوء: نعم الوقت... لقد فاجأنا عبد العزيز باستيلائه على الإحساء، وسيستولي على المنطقة الشرقية للجزيرة بعد أن يحكم سيطرته على قلبها الممثل بالهفوف، وأردت أن أستغل الوقت وأرسل القيادة بينما الفريقان يتقاتلان، وأرى رأي القيادة في هذا الوضع الذي لم يكن ضمن مخططنا للمنطقة.

■ شكسبير: أعلم أن مخطط المنطقة يهدف إلى تقسيم الجزيرة لدويلات صغيرة، إمارة حائل في الشمال، وإمارة الشريف على الحجاز، وإمارة الإدريسي في جازان، واليمن الذي وضع الإيطاليون أيديهم عليه، وإمارة عُمان وقطر والبحرين والكويت، وتبقى نجد للقبائل المتناحرة التي لا تعي مكانها من العالم ولكن!!!

عبد العزيز بعثر حجارتنا باستيلائه على قلب نجد، وتبعته بعدها قرى نجد بأسرها وها هو يفاجئنا باستيلائه على الإحساء، لكن الذي لا أعرفه لماذا ساعدنا الترك وهم الأقوى؟

- أيهما أسهل لك لتصطاده تماسيح في بحيرة أم ليث وسباع في أدغال؟

- بل التماسيح.

- لِمَ؟

- لأنها محصورة في البحيرة لا كالسباع التي تختبئ... وسط الأدغال...

فهمت ما ترمي إليه.

- كوكس مبتسماً: جيد أنك فهمت.
- ولكن؟ ما الفائدة من مساعدتهم ثم قتالهم؟
- إذا اندلعت الحرب وهزمناهم نكون نحن السادة الشرعيين على ممتلكاتهم فننصب من نشاء.
- اتضحت الصورة لدي... والآن ما رأي القيادة بالتطور الجديد؟
- عقد معاهدة مع عبد العزيز بعدم التعرض لنا وحماية مصالحنا في أراضيه.
- وما المقابل؟
- اعترافنا به كحاكم ومساعدته ببعض المال والسلاح.
- أطرق شكسبير بوجهه إلى الأرض ثم ابتسم واشتدت ابتسامته أكثر مما دعا كوكس ليسأله.
- ما سر هذه الابتسامة؟
- عجباً...! لقد كان عبد العزيز قبل أن يستولي على الرياض وبعدها يطلب منا مساعدته ونحن نعرض عنه، وها هو يفرض علينا مساعدته والاعتراف به.
- القوة يا عزيزي القوة هي من تفرض حالها.

* * *

بعد أسابيع...

كان عبد العزيز وبعض رجاله فيهم أفراد من أسرته على ظهر البارجة البريطانية، وقد تباحث مع العقيد كوكس حول مصالح المنطقة المشتركة ووقع المعاهدة المشتركة بينهما، ثم عاد إلى مقر إقامته في الهفوف يرتب أوضاع المنطقة ويؤمنها من قطاع الطرق.

رأى الألمان ضياع قاعدة هامة من مخططهم بعد فقدانهم للإحساء، وأمروا الدولة العثمانية باستردادها وأمدوها بالرجال والعتاد، وأرسلوا بارجة

إلى الخليج عليها جنود ألمان وترك، الأمر الذي أغضب الإنجليز وحلفائهم وأنذروهم بالتوقف والعودة، وأن فعلهم يعد خرقاً لمعاهداتهم ونذير حرب، انسحب الحليفان وحاول العثمانيون استدراك الأمر باللين مع عبد العزيز... فأتاه بعد عدة أسابيع رسول معه هدية من والي البصرة العثماني أنور باشا، وطلب منه التفاوض معه حول مصالحهم، فأجابته لذلك وحدد اللقاء في منطقة الصبيحية التابعة للكويت.

لما رأى عبد العزيز استقرار الإحساء ولى عليها عبدالله بن جلوي ثم توجه إلى الصبيحية.

* * *

كانت الغيوم تلبد أديم السماء وقد انهمرت منها قطرات الماء على أرض الصبيحية، التي فرح أهلها بكرم السماء عليهم، وتوسطتهم خيمة كبيرة بالنسبة لهم يحفها الحرس باللباس العثماني وحرس من البادية، كان عبد العزيز وأخويه محمد وسعد وبعض رجاله في الخيمة مع الوفد العثماني الذي يرأسه طالب النقيب وقد بدؤوا النقاش.

- طالب: نريد منك أن تضع على الهفوف والقطيف مشرفين من قبل الدولة.
- عبد العزيز: لا أوافق على ذلك يا سيد طالب.
- طالب: لماذا ألا تثق بنا؟
- عبد العزيز: تجاربي معكم لا تدع مجالاً للثقة.
- طالب: إنك بهذا تريد مساعدة الأعداء علينا ونزع الجزيرة عن الدولة.
- عبد العزيز: إنكم لا تفكرون إلا بالأرض فقط، أما ما عليها من الأرواح فلا، وهذه هي الحال التي أوصلتكم لما أنتم عليه الآن من ضعف يا سيد طالب.
- طالب: بل أنتم من أضعفتمونا وأشغلتمونا بالشأن الداخلي بدلاً من تفرغنا للأعداء واستوليت على الإحساء.

■ **عبد العزيز:** لم أستولِ على الإحساء بل استرجعت منطقة كانت تحت حكم آبائي قبل أن تسلبوها منا، وعندما طلبنا منكم العون انقلبتم علينا فرعون ولكن!

صمت برهة مما شد الجميع لما سيقوله:

لن أكون مثلكم وأستغل ضعفكم فهذه لست من شيمي، بل أعترف بالولاء للدولة نظير مساعدتها لي بالمال والسلاح.

■ **طالب:** حسناً سوف أراجع الدولة في ذلك.

ثم قاموا وتصافحوا وانصرفوا.

لم يمض شهر حتى وافقت الدولة على عرضه، واعترفت به والياً على نجد والإحساء ومنحته وساماً عثمانياً من الدرجة الأولى.

* * *

استاء الشريف حسين بن علي من توسع السلطان عبد العزيز ونفوذه، واعترف الدولة العثمانية والإمبراطورية البريطانية بما تحت يده، والذي زاده استياء أكثر اهتمام الإنجليز فيه.

دخل عليه خالد بن لؤي وهو على تلك الحالة.

- ما بك يا سيدي؟

- لقد اعترفت الدولة بحكم عبد العزيز؟

- وما الجديد في ذلك؟

نظر إليه الشريف بطرف عينه:

- ماذا في ذلك! لقد تقلص ملكنا باعتراف الدولة بمملكة نجد، أضف عليها الإحساء أيضاً.

- لقد استطاع أن يفعل ما عجزنا عنه يا سيدي.

قاطع الشريف بغضب شديد: ماذا... وما الذي فعله وعجزنا عنه يا ابن

منصور؟

- لقد أمنت المناطق التي حكمها واستراح أهلها من الغزو وقطع الطرق، كما نشر العلم وتعاليم الدين بين أهل البادية فتعلقوا به وناصروه.
- الشريف مقاطعاً:
- لقد أكثرت من ترديد هذه المعزوفة، بل لقد خدع الأعراب وجعلهم يبيعون ماشيتهم ويبنون الدور بحجة أنه ينشر علوم الدين بينهم وهو في حقيقة الأمر يريد الملك لا أكثر.
- لنا العلانية والله السرائر ويا حبذا رجال على شاكلته لكننا بخي... استدرك خالد أمره فقد اندفع بالحديث وزل أمام الشريف.
- خالد مستدركاً: وكذلك مثلك يا سيدي.
- رمق الشريف خالداً بعين الريبة والغضب:
- إن عبد العزيز قد أبرم مع الإنجليز الصليبيين معاهدة وهذه تعد خيانة للإسلام.
- لا أعتقد، إنها كمعاهداتك مع الإنجليز والفرنسيين والآخرين وقد أدخلتهم مكة يا سيدي.
- غضب الشريف مما قاله خالد ثم صرخ فيه: اغرب عن وجهي وإلا قتلتك. انصرف خالد بسرعة وهو يلوم نفسه على تهوره.
- بعد أيام...
- أمر الشريف ابنه عبدالله بأن يخرج ويؤدب أعراب نجد، الذين على مقربة من الحجاز ويث الخوف فيهم ليستعيد مكانته، بعد أن ملأ عبد العزيز أرجاء الجزيرة حباً له ورعباً منه أيضاً.

* * *

حرب الأمم ١٩١٤م

اجتمع عبد العزيز بآل سعود وخاصة مستشاريه، وكان الإمام عبد الرحمن يتوسط المجلس.

■ **عبد العزيز:** لقد وردت الأخبار إليّ تؤكد وقوع الحرب بين بريطانيا وحلفائها وألمانيا وحلفائها^(١).

■ **الإمام عبد الرحمن:** لا أحد يقدر على إيقاف هذه الأمم عن الحرب سوى الله.

■ **الشيخ عبد اللطيف:** وما موقفنا من هذه الحرب وهل ستطالنا ناراها؟

■ **الإمام عبد عبد الرحمن:** إن أغلب الأوروبيين مع بريطانيا وكذلك الإمبراطورية الروسية، وليس مع الألمان سوى دولتين لا ذكر لهما وكذلك الدولة العثمانية التي أجهزت على آخر رفق لها بتحالفها مع الألمان، وأرى أن الكفة راجحة مع الإنجليز والله أعلم.

■ **الشيخ عبد اللطيف:** حسبنا الله ونعم الوكيل وما هو حالنا بعد سقوط الدولة؟

نظر الإمام عبد الرحمن لابنه عبد العزيز إشارة منه بإكمال الحديث.

(١) حلفاء بريطانيا فرنسا وإيطاليا وبلجيكا والبرتغال وروسيا واليونان ورومانيا والصرب ومن ثم الولايات المتحدة لاحقاً، وحلفاء ألمانيا الدولة العثمانية وبلغاريا والنمسا (١٣٣٢-١٣٣٦هـ/١٩١٤-١٩١٨م).

- لقد جمعتمك اليوم من أجل هذا الأمر...

إن المصلحة العامة لنا تقتضي في عدم الانحياز لأحد الفريقين، فقد طلب مني الإنجليز مساعدتهم وقطع الطرق على قوافل الدولة، فطلبت منهم أن يمهلوني حتى أستشير والدي، وكنت أريد كسب الوقت وأرسلت لابن رشيد أستطلع أمره وأطلب منه أن نتعاون فأجابني بالوعد والوعيد وأنه مع الدولة وسوف يطيح بحكمي!

فعلت أنه لا يفقه شيئاً من حال العالم وحقيقة انهيار الدولة، ثم أرسلت إلى الشريف حسين كذلك فطلب مني أن أعترف به خليفة وأنه أمير العرب، فعلت أنه لا يريد سوى أن يصبح خليفة ولم يعلم أن العالم قد تغير ويحارب من يطلق على اسمه خليفة، كما أرسلت للشيخ مبارك الذي أشار عليّ بأنه سوف يرتب لي لقاء مع الوالي البريطاني في الهند، والشيخ على الأقل لزم الطرف الرابع وأنقذ بلده من الحرب.

- محمد بن عبد الرحمن: وهل سنحالف الإنجليز كما فعل الشيخ مبارك؟
- عبد العزيز: لا... ليس كذلك بل سنبقى على حياد ونعاهد الإنجليز بالأمان نمسهم بسوء، ولا هم يتعرضوا لنا وتبادل المصالح معهم ونسمح للدولة بالتنقل بديارنا ولا نمنعهم.

مرت الأيام وبقي عبد العزيز على الحياد وسمح لجند الدولة بالتنقل، رغم محاولات الإنجليز وإلحاحهم عليه بالوقوف إلى جانبهم إلا أنه لزم الحياد، وأرسلت له الدولة عشرة آلاف ليرة ذهبية نظير ذلك، بيد أن الدولة لا تنفك عن خداعها وخيانتها لمعاهداتها...!

فقد علم بأن الدولة قد أمرت سليمان كمال والي البصرة بأن يمد سعود بن عبد العزيز الرشيد الذي تولى الحكم مؤخراً بالمال والسلاح وأمرته بقتاله، وأن سعوداً قد أرسل إلى زعماء قبائل شمر يستنصرهم للثأر لأبيه

ومناجزة ابن سعود، فأجابوه وأتوه من كل حدب وصوب واجتمعوا لديه
يفصلون الخطة للقضاء عليه.

* * *

اجتمع زعماء قبائل شمر في قصر برزان وبينهم سعود بن عبد العزيز
آل سعود، ولما تناولوا طعام العشاء قام سعود ابن رشيد وقال:

لقد جمعتكم اليوم أيها السادة من أجل الأخذ بثأر أبي واسترداد هيبتنا بين
العرب، لقد حكم عبد العزيز ابن سعود البلاد وهو ابن الخامسة والعشرون،
وأنا سعود الرشيد أريد أن أسقط حكمه وأنا ابن السابعة عشر فلست أقل حالاً
منه، كما أن الدولة أمدتني ببندق ألمانية حديثة تطلق خمسة رصاصات
متتاليات، فمدوا يد العون لي بالمشورة أولاً والرجال ثانياً ولن أنسى فضل
أحدكم ما حييت.

أثنى القوم عليه وعلى والده وأخذوا يمدونه بخططهم وآرائهم، وهو
يستمتع بإنصات حتى قال الزعيم عقاب بن عجل: الرأي عندي يا قوم...
هدأ الجميع وأنصتوا له.

فأكمل حديثه:

أنا خال عبد العزيز الجنازة وسوف أخبركم بالرأي الذي ينتقم لكم من
ابن سعود وتخشاكم العرب من بعد أن تهزموه بعد أن أخضع فرسان العرب
وصناديدها؟

فالرأي...

أن يردف ألف خيال ألف رام ويأتوا ابن سعود من الخلف إذا احتدم
القتال، ثم يترجل الرماة ويطلقوا النار على جيش ابن سعود، بينما أغير أنا
والفرسان عليه وأنهب حلالهم، والخيل والرجال مني وأنتم ورجالكم
تجهزون عليه.

وافق الزعماء على رأيه بينما لاذ سعود بن عبد العزيز آل سعود بالصمت
مما دعا الأمير سعود ليسأله عن رأيه.

■ سعود: ما رأيك يا أبا عبد العزيز.

خيم الصمت على القوم بانتظار رد سعود الذي همَّ بالإجابة... التي قطعها شاعر يدعى محمد العوني وقال:

- أطل الله عمرك أيها الأمير الواجب أخذ رأي زعماء شمر عصب ظهرك وقوامه وإذا سألت سعوداً فسوف يجيبك بقول الشاعر:

إذا كنت أكلاً للحم بني أبي فلست بمهديه على كل آكل

خيم صمت لحظات حتى قال سعود الرشيد:

- دع عنك هذا الكلام وأسمعنا ما لديك من جديد شعرك.

لم يحفل القوم بقول الشاعر إلا أن سعوداً حفل به ولام نفسه على التفريط بابن عمه، ولكن ما عسى أن يفعل والقوم سينطلقون غداً لمناجزته واحتمال نصرهم كبير لعددهم وعدتهم.

* * *

علم عبد العزيز بذلك الاجتماع ومسيرهم نحو بلاده وترويع الأمنين من رعاياه، فأمر بحشد الجيش والسير نحو العدو، وبينما هو يستعد للخروج أتاه النقيب شكسبير ورحب به وقدم له واجب الضيافة.

- كأنك تستعد للحرب يا سيدي؟

- لقد زحف ابن رشيد نحونا بجيش جرار.

- رائع... سوف أشارككم الحرب.

- لن تتحمل عناء الرحلة في هذه الصحراء كما أنك لا تحسن القتال فيها.

- لقد تدربت في أعرق الجامعات العسكرية وخضت الحروب الحديثة وحربكم هذه لا تقارن بحروبنا، ونحن الآن في وقت الشتاء فهل يرهقني الحر والعطش، ولست أريد القتال بل أريد تصوير المعركة وهذه فرصة لم يسبق إليها أحد من الأوروبيين.

- يا حضرة النقيب إن الأمر محفوف بمخاطر قد تؤدي إلى هلاكك.
- إنني عازم على مرافقتكم يا سيدي لأرى كيف تقاتلون.
- أطرق عبد العزيز لحظات :
- أمصرٌ أنت على قولك.
- نعم مصرٌ.
- إذن فلن تغير ملابسك.
- لن أغيرها بل سأرافقكم بهذا اللباس.
- سوف تكون هدفاً سهلاً للعدو في زيك العسكري هذا.
- سوف أتحمل تبعات أمري يا سيدي.
- لك ما أردت يا حضرة النقيب.
- فرح شكسبير بمرافقة عبد العزيز الذي طالما أعجب بشخصه، وكتب لقيادته يخبرهم بأمرهم ومسيره.

جرباب ١٩١٥م

خيّم عبد العزيز قريباً من موضع يقال له جراب ولم يعلم بأن خصمه قد خيّم فيها، وسار بجيشه فاصطدم بجيش ابن رشيد ودارت رحى الحرب...
ابتعد النقيب شكسبير عن الفريقين إلى مكان مرتفع ونصب آلة التصوير، انعكس على مرآة العدسة صورة الخيل وهي تتعانق عنق الموت، فرح شكسبير بهذه المشاهد التي التقطها والتي ستجعله الأول بين أقرانه في أوروبا بأسرها ولم يسبق لأحد منهم التقاط صور كهذه، إلا أن فرحته تلاشت حين رأى من خلال عدسته خيلاً تهجم عليه، فاستل مسدسه وأخذ يطلق النار فأردى أحد المهاجمين ثم اخترقت رصاصة رأسه فأردته قتيلاً.

اختلّ جيش عبد العزيز عندما انسحبت عنه قبيلة العجمان بعد أن نهبت مخيمه هم وقوم من قبيلة شمر، وقد أغارت قبيلة مطير التي قدمت مؤخراً ونهبت مخيم ابن رشيد وهربت بالغنائم، كما أن أسلحة ابن رشيد كانت قد رجحت في كفة المعركة، فقد كان جيش عبد العزيز يتلقى طلقات متتالية من العدو الذي استعمل بنادق حديثة، بينما هم يستخدمون بنادق ذات طلقة واحدة، وقد أسهم اختلال توازن الجيشين في عدم نصر أحدهما على الآخر، وانصرف كلا الطرفين لاسترداد ما أخذه منهما الأعراب الذين فروا بالغنائم، وقد قتل في المعركة كبار أنصار عبد العزيز، محمد بن جلوي وصالح الزامل ومحمد بن شريدة.

توجه عبد العزيز نحو بريدة ودخلها، والتحق به ابن عمه سعود بن عبد العزيز وطلب منه العفو، فعفا عنه وأكرمه، وأمر بعض الرجال بالبحث عن جثة

النقيب الإنكليزي، فعثر عليها ملقاة في الصحراء فحملت إلى عبد العزيز الذي بدوره أرسلها إلى البحرين، كتب للعقيد كوكس رسالة عزاء ويخبره أيضاً بأنه قد نهى النقيب شكسبير فلم ينته.

بعد أيام أتت رسالة من العقيد كوكس إليه بعد أن عاد إلى الرياض، يشكره على تعزيته ويخبره بأن النقيب قد كتب لهم ما دار بينكما من حديث قبل مقتله.

* * *

كَنْزَان

أخذ عبد العزيز بالكر على قبائل شمر عدة أشهر حتى دخل الصيف، ورحلت إلى الشمال حيث المراعي والماء، وبينما هو مقيم في الرياض أتته رسالة من الشيخ مبارك يطلب منه تأديب قبيلة العجمان، وإرجاع ما سلبوه من باديته، فكتب له بأنه مشغول بابن رشيد والشريف ولا يود أن يفتح عليه جبهة أخرى، وأعطى الرسول الرسالة وأمره بالمغادرة.

إلا أن الرسول عاد بعد أيام على ناقه الشيخ مبارك وسلمه رسالة جاء فيها:

السلام عليكم...

بني عبد العزيز أرجو أن تكون بخير حال.

لقد ساءني تصرفك معي ورفضك لطلبي، بني لقد شخت وعجزت عن الركوب وقد أرسلت ناقتي إليك لعجزي عن ركوبها، لقد تسلط العجمان علينا بالسلب والنهب وإزعاج الآمنين، فأطلب منك يا بني أن تؤدّبهم وتسترجع ما سلبوه منا.

لم يستطع عبد العزيز رفض طلبه فكتب له:

السلام عليكم..

أبي مبارك أتمنى من الله أن تكون بخير حال، أما طلبك مجاب، ولكن أرجو منك عدم التدخل أو إجارة العجمان إن هم دخلوا أراضيك وطلبوا الجوار، فإن ضمنت لي هذا الأمر سرت لهم. فسلم الرسالة للرسول الذي غادره من فوره.

كان الصيف قد اشتد وبلغ ذروة عمره، وقد سار عبد العزيز بسرية من الرياض إلى الأحساء بعد أن جاءه تعهد الشيخ مبارك، وعندما وصل للهفوف واستراح سار برجاله نحو المتمردين من العجمان، بعد أن أته الأعين تخبره بأنهم قرب جبل كنزان، فوصله ليلاً ورأى ضوءهم وخيامهم فأمر بشن الهجوم، ولما توسط الخيام لم يجد أحداً فعرف أنها مكيدة!

وأناه ما يؤكد ظنه فقد انهمر عليهم وابل من الرصاص من كل صوب، واخترقت رصاصة جسده وتساقط رجاله إما قتيل أو جريح، فأمرهم بالانسحاب على الفور وبينما هم منسحبون سأل من معه عن شقيقه سعد؟

فأخبره أحدهم أنه رآه يسقط عن حصانه فلا يعلم أهو حي أو ميت.

فطلب من الرجل أن يقوده إلى مكانه، ولم يُبالِ باعتراض الرجال الذين معه، وقد طلبوا منه الرجوع بعد أن يجمع فلول جيشه فلم يستجب لهم، وقاده الرجل إلى موضعه ودوي الرصاص يُسمع من أماكن متفرقة حتى وصل إلى المكان فوجد شقيقه جثة هامدة، فحمله على فرسه وانطلق عائداً إلى الهفوف، وقد تشرب ثوبه بدمائه المنهمرة من جرحه وخذت دموعه خديه وشجاء الحزن.

كان عبدالله بن جلوي ينتظر رجوع عبد العزيز ومعه سرية في الطريق، فلما رآه أقبل عليه وحمل الجثة عنه وأمر الرجال بردع العدو عن الزحف نحو الهفوف، فلما دخلوها أتى الطبيب وأخذ في استخراج الرصاصة من جسد عبد العزيز، الذي ألمه بشدة مقتل شقيقه وأخذ يترحم عليه، ولم يشعر بسكين الطبيب التي تقطع لحم جسده، وقد سرى في الهفوف أنباء عن تردي صحته، فلما تمّ تضميد جرحه أمر بغسل جثمان أخيه والصلاة عليه، ثم عقد قرانه على فتاة ودخل عليها وأقيم الفرح ووزعت اللواتم.

انتشر خبر موت عبد العزيز كئار تأكل الهشيم؁ وقد فرح ابن رشيد بذلك فخرج بجيشه بسرعة محاولاً الاستيلاء على بلاد القصيم؁ ولما وصلها أرسل إلى أهلها يؤكد لهم موت إمامهم؁ ويطلب منهم الدخول في طاعته قبل أن يسفك دماءهم فلم يجبه أهل بريدة؁ وأرسل له أمير عنيزة عدة طلقات يخبره أن هذه ما له عندهم إن لم يرحل؁ فعسكر بجيشه متحياً فرصة للهجوم.

* * *

تركبي بن عبد العزيز

قدمت الرسل إلى الإمام عبد الرحمن تعزيه بسعد وتبشره بأن عبد العزيز حي يرزق وقد تزوج، ويطلب منك عدم القدوم إليه، بل لتحفظوا أماكنكم حتى لا ينتهز العدو الفرصة. جمع الإمام أفراد أسرته ومستشاريه وأخبرهم بالخبر فعزوه وتحمدوا له بالسلامة.

- الإمام عبد الرحمن: الآن بعد أن اطمأننا على سلامة عبد العزيز يجب علينا إرسال جيش لمعاونة أهل القصيم وحمائهم من ابن رشيد.
- سعود بن عبد العزيز: اسمح لي يا عماء بأن أترأس هذا الجيش فقد خذلتكم كثيراً، وهذا هو الوقت الذي أكفر عن خذلاني لكم بالتصدي للعدو.
- الإمام عبد الرحمن: لك ذلك يا بني ولكن عجل ولا تنظر وحاول مناورة الخصم وإياك والاستهانة بقبيلك، وقبل كل شيء استعن بالله واجعله بين عينيك.
- استأذن سعود وخرج على الفور، ثم استأذن محمد بالكلام فأذن له.
- محمد: اسمح لي يا أبي بالخروج على رأس جيش أيضاً.
- الإمام عبد الرحمن: إنني بحاجة هنا يا بني.
- فتدخل تركبي بن عبد العزيز: إذن اسمح لي يا جدي في الخروج.
- الإمام عبد الرحمن: وما هي خطتك؟

- تركي: سوف أغير على ضواحي حائل بينما سعود يناوره فيتشتت أمره ويعود أدراجه.
 - الإمام مبتسماً: هذا الشبل من ذاك الأسد حسناً سوف أذن لك.
 - استأذن سعود بالكلام فأذن له: أنا أيضاً أريد المشاركة مع أخي.
 - الإمام عبد الرحمن: لا بل ستبقى وترعى أخوتك حتى يعود أبك بإذن الله.
- خرج الجيشان من الرياض في الغد وسار سعود نحو القصيم حتى أتى إلى عنيزة، وطلب منهم المساعدة ومدته بالرجال والسلاح فأبوا عليه حتى يأتيهم كتاب من الإمام، فتركهم وأخذ يغير على جيش ابن رشيد ثم يكر راجعاً ويتحصن في بريدة، وعندما علم ابن رشيد بغارات تركي بن عبد العزيز على ضواحي حائل، خاف أن يكون في الأمر مكيدة فعاد أدراجه إلى بلاده لحمايتها.

* * *

- زفَّ أحد الرجال خبر مقتل عبد العزيز إلى مسامع الشريف حسين الذي فرح بذلك ثم ما لبث أن تدارك فرحه، مما دعا أحد مسشاريه ليسأله:
- ما لك لم تفرح يا سيدي ألا يهملك الأمر؟
 - بل يهمني ولكن لو كان الخبر حقيقة لأتني برقية بمقتله.
 - ثم التفت إلى خالد بن لؤي الذي أتاه مؤخراً:
 - ما لديك يا خالد؟
 - سيدي لقد أمرت بإقالة قاضي قريننا ولم تضع بديلاً له.
 - ولماذا أضع لكم قاضي؟
 - حتى تحكم الأمور ولا يعتدي شخص على آخر.
 - فلتعودوا إلى ما كنتم عليه سابقاً.

■ خالد بحق :

- أتريدنا أن نعود إلى الجاهلية.
- إنه أفضل حالاً لهؤلاء الأعراب.
- غضب خالد وأسرّها بنفسه ثم استأذن وانصرف.

* * *

بينما كان خالد عائداً إلى قريته الخرمة مساء، درّت السماء بخيراتها مرسلّة سر الحياة إلى الأرض، بيد أنها لم تنسه مقالة الشريف حسين التي أخذت تتردد في رأسه ففجرت غضبه، وعرج إلى بيت أحد أصدقائه ليبيت له ما وقع في قلبه، فلما وصل إلى البيت طرق الباب ففتح له محمد الباب ورحب به وأدخله.

■ محمد وهو يقدم له قدحاً من الشاي :

- ما شاء الله سوف تمتلئ الأودية بالمياه وتسيل أيضاً.
- لم يجبه خالد وكأنه لم يسمعه!
- خالد! ما بك وكأنك لم تلاحظ هذه الأمطار التي بللت ملابسك أيضاً؟
- انتبه خالد للباسه الذي بلّله المطر.
- والله لم أنتبه للمطر.
- لا بد أن ما يشغل بالك شيء عظيم.
- سرد له خالد ما دار بينه وبين الشريف.
- لا حول ولا قوة إلا بالله أيريدنا أن نتقاتل.
- لقد سئمت من تنفيذ أوامره التي لا تخدم الإسلام بل تخدم الأعداء أكثر.
- وكيف هذا؟
- لقد قاتلنا الدولة بحجة أنهم ليسوا عرب وأنهم محتلون لأراضينا وساعدنا الفرنجة عليهم، كما أن الشريف حسين أدخل الصليبيين مكة كقناصل لدولهم ولم يُراعِ حرمة البيت، وليس له هم سوى تثبيت حكمه، وها هو

الآن يرسل ابنه عبدالله لغزو الأعراب ليرهبهم ويجعلهم يوالوه بعد أن زاحمه عبد العزيز على البساط.

- لقد شغل عبد العزيز الناس وتيمنوا به.

- والله آن لي أن أقول الحق إن عبد العزيز رجل مسدد من الله، لما علم ما بنيته من رفع راية التوحيد على خلاف زعماء المنطقة بل العالم بأسره...

لقد وطد البلاد وأمنت تحت ملكه ولم يغدر بأحد، ولا يحمل ضيماً لمن يخونه ثم يعود عن خيانتته، بل تجده سمحاً كريماً، ونشر تعاليم الدين بين الأعراب وألف بينهم وجعل من لا يتعلم يدعي التعلم.

- أراك معجباً به.

- بل سأجعل إعجابي فعلاً وأرحل إليه لأضع يدي بيده.

- سوف ينبذك الأشراف إن فعلت فعلتك هذه.

- ينبذني الأشراف ولا ينبذني الله لمدافعتي عن عصبتي في باطل وأنا أرى الحق.

- ألم يقاتل عبد العزيز الترك ويحالف الإنجليز؟

- كلام هراء بل لقد وقف على حياض رجم إلحاح الإنجليز عليه بقطع الطرق على جند الدولة إلا أنه أخذ يساعد الدولة سراً حتى تبين له أن الدولة تسعى لإسقاطه.

- عجباً!

- سوف أجمع رجالي وأنطلق نحوه فهل أنت معي؟

- نعم معك وأسأل الله أن يرشدنا لما فيه صلاح.

اخترق (٧٠) راكباً أودية نجد متجهين إلى الإحساء حيث عبد العزيز،
وحيثما غابت الشمس نزلوا للراحة والصلاة ثم أعدوا العشاء. وبينما هم كذلك
مر عليهم راكب فرحبوا به ودعوه لمشاركتهم العشاء، ولما نزل الرجل وقعد
وناولوه ما يشربه عرف خالدًا.

- الشريف خالد بن منصور بن لؤي؟

- نعم! ومن أنت؟

- ادعى محمد بن علي العبيد وقد حضرت مجلس الشريف حسين عدّة
مرات.

- الأديب الراوي.

- نعم أنا هو.

رحب به خالد مرة أخرى بحرارة وأخذ يستخبره عن عبد العزيز، فأثنى
عليه خيراً وأخذ يخبرهم عنه إلى أن وصل موقعة كثران وإشاعة نبأ مصرعه ثم
أنشد:

يا من نعتت على بعد بمجلسه كل بمن زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم ثم انتفضت فزل اللحد والكفن
قد شاهدوا دفني بالقبر قبلهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

- لقد أمتعتنا بحسن حديثك ولكن ما أمر هؤلاء الذين يدعون بالإخوان.

- أنا أخبرك بهم، إن عبد العزيز عندما حكم الرياض أراد نشر تعاليم الدين
بين الأعراب، فوضع خطة لذلك تقتضي نشر الدعاة بين القبائل،
وأمرهم أن ينزلوا على أمرائها حتى لا يعترضهم أحد بسوء، وشرعوا
بتعليمهم أصول الدين، وأخذ من يتعلم منهم يلبس عمامة بيضاء أو
يعصب عمامته بخرقه بيضاء دلالة على أنه متعلم فيحترمه الأعراب ولا
يعارضه أحد ولكن!

أصابهم التعصب للدين والحمية عليه فأخذوا يلومون أهل المدن في تقصيرهم عن تعليمهم أمور دينهم طوال هذه السنين ولم يهنوهم عن بغيتهم ولم يأمرهم بمعروف، كما أن الرجل منهم لا يترحم على والديه لأنه يعتقد أنهما ماتا ميتة جاهلية، وأي شخص ليس على مذهبهم لا بد أن يستتاب أو يقتل، وإذا قتل أحد الضالين يسألون القاتل أن يقاسمهم أجره، كما أن أمراء قبائلهم خافوا منهم فأخذوا بالتعلم حتى لا يفقدوا احترامهم وهيبتهم.

■ خالد متعجباً وكذلك القوم: وما فعل عبد العزيز أمام هذه المشكلة؟

- لقد شدد على الدعاة وأمرهم بكبح جماح هذا التعصب، وإرشاد الأعراب إلى التوسط في الأمور وعدم منازعة الدين بالقوة.

- ألم تخالطهم؟

- بل كنت أتحاشاهم! حتى وقعت في جماعة منهم يوماً فأخذوا بسؤالي.
من أين قدمت؟

ما هو دينك؟

وهل أنت تائب؟

وأنا أجيبهم ولكن دون جدوى!

فطلبوا أن يستتيبوني فقبلت طلبهم، ولم أشعر إلا واثنان منهم طارحياً أرضاً يريدون ضربني بعصا غليظة!

■ فقلت لهم: ما أنتم فاعلون!

■ فأجابني كبيرهم: نريد أن نضربك حتى يصحو قلبك وتوَجِر في الآخرة.

فأخذوا يتشاورون بينهم كم ضربة نضربه، وأنا أسألهم العدول عن ذلك حتى تداركني الله بلطفه فقد كان الشيخ عبدالله العجيري متواجداً فاتاهم ونهاهم عن فعلتهم.

■ فسألوه: إذاً كيف نستتبه؟

- الشيخ مدارياً مشاعرهم: الاستتابة بالقول لا بالضرب يا إخوة.
- فأمروني أن أقول: أشهد أنني ظالم لنفسي فيما فات، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، وأن طريقي طريق المسلمين يسعني ما وسعهم ويضيق بي ما ضاق بهم وأن طريقي طريق الإخوان.
- فقلت لهم: من هم الإخوان؟ ومن هم المسلمون؟ فغمز لي الشيخ بأن أقول ما طلبوا مني فقلته.
- الشيخ: يجب أن تكرموا ضيفكم. فقاموا بإكرامي غاية الكرم.
- فقلت للشيخ بعد أن خلوت به: ما هذا التشدد والتعصب الأعمى؟
- الشيخ: إنهم حديثو عهد بالدين مع كونهم مسلمين، وهم حريصون على تطبيقه وهذا ما يوقعهم بالأخطاء وقد كلفنا عبد العزيز بتنويرهم وإرشادهم.
- ضحك القوم من القصة واستعجبوا أمرهم، ثم تناولوا العشاء وخلدوا للنوم فلما انتصف الليل رحلوا بعد أن فارقههم الراوية محمد.

* * *

اندمل جرح عبد العزيز بعد نحو شهرين وكان طوال تلك الفترة يدير رجاله، فيكرون على الأعراب الذين يناورونهم بشراسة ويظهرون للقوات من كل صوب فلم يتمكنوا من التنبؤ بهجومهم، واستعد ووضع الخطة لردعهم ردعاً يقضي على التمرد، وبينما هو يتجهز ويعد العدة والعتاد، أتاه خالد وركبه مساء فرحب بهم بحرارة وقام بواجبهم خير قيام، ثم قعدوا للحديث في قاعة القصر الذي أضاءته قناديل الزيت وكان خالد قرب عبد العزيز.

- أشكرك يا إمام على حسن ضيافتك وجزيل كرمك رغم ما أنت فيه من انشغال، إلا أنه لم يمنعك من كرمك المعهود، وإن ما أقدمنا إليكم

وجعلنا نقطع تلك المفاوز هو الحرص على ديننا الحنيف والتمسك بعروته الوثقى وسوف أحدثكم بأسباب قدومنا:
 بسم الله والصلاة والسلام على جدي رسول الله خاتم الأنبياء وسيدهم
 الرحمة المهداة للعالمين من رب السماء..
 أما بعد..

لقد أهملت جزيرة العرب قروناً عديدة منذ أن انتقلت الخلافة إلى دمشق، واشتد ضياعها منذ أن آلت الأمور إلى المماليك، ولا أبرئ بذلك دورنا نحن السادة الأشراف من هذا الإهمال، الذي عم الجزيرة وأهلها وخاصة الأعراب الذين رجعوا لجاهلية نكراء. ونحن كنا سبب من تلك الأسباب، فقد تنازعنا الملك بيننا وتقاتلنا عليه وأرشنا الفتنة بين القبائل، ولم نرَع دماء المسلمين ونصون حرمة الدين ونعمل على تعليمه لمن كانوا هم نواة الرسالة، بل تركناهم في جهلهم عدة قرون فتناحروا وتقاطعوا وتقاتلوا، وجهلوا بتاريخهم المجيد في نشر الدين وهدم معاول الرجز والطاغوت، إلى أن شاء المولى (عز وجل) بهم خيراً، فشد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأيده بالإمام محمد بن سعود فنشرا الدين الحنيف، وتبعهم الناس وفشا في بلاد العرب أمرهم وكنا نحن آل لؤي من أتباعهم وأعاونهم، ولكن...!

شاء الله أن يشوّه الأمر وينسبون للخوارج وأهل البدع، وللأسف أن أغلب علمائنا لم يتحاملوا ويأتوا إليهم وينظروا إلى ما هم فيه من ضلال، حتى يقوموه بل أخذوا يتقولون الأقاويل ويفترون على أهل التوحيد.

ثم دارت السنوات وبرز رجل منهم ينادي بالتوحيد ونشر محامد الدين، في وقت عصيب على المسلمين وضعف أمرهم وقوة من عدوهم وقدرة على نحرهم واستباحتهم بكل يسر وسهولة، وها هي حرب الأمم قائمة ولا نعلم حالنا من بعدها فيجب علينا التكاتف والتناصر، ولقد تفكرت بحال الزعماء من حولي فرأيت ابن عمي الشريف لا همّ له إلا السلطة وكذلك ابن رشيد، ولما سألت عنكم وجدت أنكم خير من أتبع، لما رأيت من حرصكم على نشر للدين

والعلم، وتطبيق الشرع بين رعاياكم وكذلك ثناء العلماء عليكم وحتى خصومكم لا يذكرونكم بفساد ظاهر أو يطعنون بدينكم.

ثم قام خالد ورجاله وكذلك قام عبد العزيز ورجاله.

- وها أنا أبايعك على السمع والطاعة ما دمت في طاعة الله ورسوله.

وصافحه خالد والرجال.

- أسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم بي، وأسأله إن كنت لست أهلاً لهذا

الأمر ألا يتمه لي، وإن كنت خيراً للإسلام وأهله أن يسدني وينصرني،

أما الآن فأنا في حالة حرب مع هؤلاء الأعراب الذين لا يعرفون

مصلحتهم، ولا يعون ما يحل في العالم والخطر القادم نحونا،

والمسلح بالعلوم والأسلحة التي لا سبيل لنا إلى مناجزتهم وردعهم...

إلا إذا استعملنا عقولنا لنحفظ أرضنا وحقوقنا من غير أن ندخل معهم

بقتال غير متكافئ، ولنا في رسولنا (ﷺ) أسوة حسنة، عندما دخل

المدينة وعقد معاهدات مع اليهود ومع قبيلة غطفان حتى يقوى بذلك

عود المسلمين، وأخذ بأسباب النصر ونشر دين الرحمن، والآن أريد

منكم الرجوع إلى دياركم حتى يأتيكم أمري.

- ولكن نريد أن نقاتل معك.

- ليس الآن.

- إذن سوف أرى أنعام قومي وحلفائي في أراضيكم، فيسهل علينا التزود

بالعلم من قبل علمائكم.

- على الرحب والسعة فالبلاد بلاد الله وارعوا أيما شئتم وسوف أزودكم

بالوعاظ.

لما حل الغد غادر خالد وصحبه عائدين إلى ديارهم.



وفاة الشيخ مبارك ١٩١٦ م

وصلت القوات التي أرسل عبد العزيز في طلبها إلى الهفوف، قوة من الكويت بقيادة سالم المبارك الصباح، وقوة من الرياض بقيادة محمد بن عبد الرحمن آل سعود، فاجتمعا في الهفوف تحت قيادة عبد العزيز، الذي شن من فوره حملة على قبيلة العجمان التي قاتلت ببسالة، إلا أن عبد العزيز أخذ في حصرهم مع الأيام وضقت بهم السبل.

فلجأ أحد أمرائهم إلى الشيخ مبارك ورجاه بشدة أن يجيرهم من عبد العزيز، فأجارهم وأرسل إلى ابنه سالم يطلب منه الكف عن مقاتلتهم، فتوقف ولم يعلم عبد العزيز بالخبر حتى لجأ العجمان إلى الكويت، فأرسل إلى الشيخ مبارك يذكره بمعاهدته له إلا أن الأخير لم يأبه له، فعاد إلى الرياض وقد غضب أشد الغضب والأفكار تراوده في مقاتلتهم، بيد أن خبر وفاة الشيخ مبارك كبح الأمر.

حزن عبد العزيز على الشيخ مبارك حزناً شديداً، فقد كان أباً له وجاراً وصديقاً، وركب الإمام عبد الرحمن يصحبه وفد كبير إلى الكويت التي تقلد أمرها الشيخ جابر المبارك.

اقترب خالد ورجاله من ديارهم ورأى مخيماً لجيش عبدالله بن الحسين، وقد حاول خالد تجنبهم في طريق عودته، فنزل عليهم وسلم فرد عليه عبدالله السلام بجفاء ولم ينزله قدره.

■ عبدالله بتجهم: أتخوننا يا خالد وتحالف ابن سعود، أيبدر هذا الأمر من

- رجل مثلك من آل البيت، والله لو ترك لي أمرك لعرفت كيف أؤدبك، ولكن أبي من سيعرفك حجمك هيا ارحل عنا.
- قال بعض رجال عبدالله وكانوا من رؤساء قبيلة عتيبة:
- والله لو يأذن أميرنا بكم لما رجع منك أحد.
- رحل خالد عنهم حتى وصل بيته واستراح من عناء السفر...
- ولما حل الغد استعد للذهاب لمقابلة الشريف حسين، وما إن خرج من باب منزله حتى وجد رسول الشريف يطلبه لمقابلته.
- دخل خالد مجلس الشريف، فوجده قاعداً وليس عنده أحد، وسلم عليه فرد السلام بتناقل ثم أخذ يرمق خالداً بنظرة سخطة مشوبة بغضب.
- قل لي يا خالد؟
- ماذا أقول لك يا سيدي!
- لأي شيء ذهبت لابن سعود أهو لمتاع الدنيا؟
- لاذ خالد بالصمت.
- والله إن ما عندي خير مما عنده، وما أملك من أرض خير من أرضه الجرداء، وأمري تام وأمره منقطع فالدول تعترف بملكي ولا تعترف بملكه، وسوف أطلق أول رصاصة ضد الترك وأنهض بالعرب، وقد أمدني الإنجليز بالمال والسلاح ووعدوني بتتويجي ملكاً على العرب، أما ابن سعود الذي ذهبت تتحالف معه فأمره إلى بوار.
- ثم نظر إليه فقال...
- خالد!
- نعم سيدي.
- ألم أقطعك الأرض وأجعلك أميراً على من تحتك؟
- نعم.

- ألم أعطك الذهب والمال؟
- نعم.
- ألم أعطك الخيل والإبل؟
- نعم.
- إذن فلماذا ذهبت لابن سعود؟
- متعنا الله بكم يا سيدي لقد عجلت عليّ وصدقت الوشاة، إن مركبي لابن سعود ليس لطلب الدنيا أقسم بالله على ذلك.
- إذن لماذا؟
- من أجل رعاياك من الأشراف وقبيلة سبيع فقد كثر حلالهم وأجدبت أرضهم ونجد متسعة مراعيها، فأردت منه أن يأذن لنا بالرعي، وقد سمح لي بذلك هيبة منك وإجلالاً لك.
- الشريف وهو يمسح على لحيته: خدعة مريب أو تخلص أديب.
- فأذن له بالعودة لأهله.

* * *

بعد أشهر...

- سار عبد العزيز إلى الكويت يصحبه بعض من أفراد أسرته وخاصة رجاله، فقدّم التعازي للشيخ جابر بوفاة والده، ثم أقام عدة أيام فلما أراد المغادرة، انفرد به الشيخ جابر في أحد المجالس.
- أخي عبد العزيز إنني على أتم العلم بغضبك مما عمله والدي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) معك، ولقد فعل ما فعل عندما دخل عليه بعض أمراء العجمان في مجلسه، وتوسلوا إليه بأن يجيرهم منك فأخذه عطف كبار السن فأجارهم.
- عفا الله عنه يبقى الشيخ مبارك أبي الذي لم يلدني وله عليّ حق الأبوة.

- إنني الآن بمكان لكي أغني عن أبي ، وستجدني لك سنداً وسوف أجلي
العجمان عن الكويت.
فاعتقنا وافترقا وقام الشيخ جابر بإجلاء قبيلة العجمان خارج أراضي
الكويت فنزحوا إلى العراق.

* * *

هاري فيلبي ١٩١٧م

صحب أعرابيان رجلاً إنجليزياً من ميناء العقير إلى الرياض أراد رؤية السلطان، وكان طوال الرحلة يسألهم عن أحوالهم وأسماء الأماكن التي يمرون عليها ويدون ذلك في كراسه، وأخذ ينشدهم عن عبد العزيز وصفاته وأموره وهم يجيبونه، ولما وصلوا إلى بوابة الرياض أنقدهم ما اتفقوا عليه من مبلغ، واستأذن الحراس بعد أن أخبرهم باسمه في الدخول فطلبوا منه الانتظار حتى يأتي الإذن في دخوله، ولما دخل مع معية حارسين وأدخلوه القصر، رأى رجلاً يتوسط الناس وقد جلس على كرسي يحدثهم بينما الآخرين جلوس على الأرض، فقال في نفسه:

- يبدو أنني سأمحو ما قد دونته نقلاً عن صاحبي، كيف يصفون عبد العزيز بأنه طويل القامة حاد البصر سمح الوجه، بينما هو منتصف القامة صارم الوجه وكأن الشرر يخرج من عيناه.

فاقترب من عبد العزيز الذي قام مرحباً وقال بالعربية.

- كيف حالكم يا سيدي؟

- بخير كيف كانت رحلتك؟

- شاقة طبعاً كما يعلم سيادتكم.

- اقعد حتى يأتيك من تتناقش معه.

- ولكن أنا جئت خصيصاً لك وليس لغيرك.

ابتسم الإمام عبد الرحمن وهو يغادر المجلس وقد أشار لعبد العزيز. نظر

الإنجليزي للرجل الذي قام فرأى الوصف الذي وصف له منطبقاً عليه فعرف أنه هو، وقد أثر تواضعه لأبيه غاية الأثر في قلب الإنجليزي. رحب عبد العزيز بضيفه وأكرمه ودار نقاش بينهما عن المنطقة، بعدما عرّف الإنجليزي عن نفسه وأنه يدعى هاري جون فيلبي من المخبرات البريطانية، فلبث أياماً ثم رحل عائداً من حيث أتى.

نهاية الدولة العثمانية ١٩١٨ م

بدأت الحرب تفصح عن المنتصر، وقد تهاوت أركان الدولة العثمانية ومن حالفته أيضاً، بعد أن نخرها اليهود واستولوا على زمام السلطة فيها، فأقبل العرب على عصر جديد لا يدركون متغيراته ومفاجآته.

اجتمع عبد العزيز مع الشيخ عبد اللطيف آل شيخ في قصره بالرياض.

- لقد احتدمت الأمور يا شيخ والدولة ساقطة لا محالة والدول المحاربة ستضع يدها على أملاكها.

- لا حول ولا قوة إلا بالله؟

- وقد وقَّعت مع الإنجليز معاهدة وأنا كاره لها لكي نتحاشى بذلك الاصطدام مع الأمم الأخرى، كما أن هذه الأمم لا تحالف إلا الأقوياء، وإن رأيت منا بوادر ضعف أرهقتنا في طلباتها أو ربما استحلّت أرضنا مدعية بذلك حمايتنا.

- ما العمل إذًا؟

- آنَ أوان هجر الأعراب حياة البادية والاستقرار فيجب حث المتخلفين على ذلك، لنوحدهم ونجعل رأيهم لا إله إلا الله، فهذه الكلمة فلاحنا في الدارين وردع الأعداء وإرهابهم.

ما إن أنهى عبد العزيز قوله حتى سارع الشيخ عبد اللطيف بتنفيذ الأمر.

انتشر الدعاة بين أهل البادية ممن اتبعهم والتزم بتعاليم الدين، فأخبروهم

أن الإمام يأمر من تخلف منهم بهجرة حياة البادية والاستقرار وبناء الدور،

فشاع في الجزيرة هذا الأمر وسارع الأعراب لتنفيذ أمر إمامهم، وفشا في مجالسهم تذاكر الدار الآخرة وتلاوة القرآن وكثرة القيام والسجود، وانتشر الأمر بسرعة ملحوظة خلال أشهر.

* * *

سمع الشريف حسين بأمر توسع هجرة الأعراب حياة البادية وبناء الدور للسكن والتفرغ للعبادة، فسخر من الأمر وأخذ يقول:

- إن ابن سعود خدع الأعراب وجعلهم يبيعون أنعامهم، الأمر الذي سيؤدي إلى هلاكهم.

انشغل الشريف في تلك الأثناء بمحاربة الترك، بعد أن وعده الإنجليز بأنهم سوف يولونه الخلافة من بعد القضاء على مستعمرات الدولة كلياً، فحشد الحشود التي ساعدته الدولة بحشدها ثم انقلب عليها وقتلها وأجهز على رمقها الأخير في الحجاز.

* * *

خالد بن لؤي

كان خالد بن لؤي وعبدالله بن الحسين على حصانيهما في مقدمة القوات التي تحاصر المدينة المنورة، فحدث خلاف بينهما بسبب اتهام خالد بميله إلى سلطان نجد وأغلظ عبدالله في الكلام بحق خالد. سمع فاجر بن شليويح العتيبي الشجار فاقترب منهما، فلما رد خالد على عبدالله لطمه فاجر، ولم يغضب عبدالله لذلك مما فجر الغضب في صدر خالد فعاد إلى قريته والغضب يملأ صدره، ولما وصل دياره أعلن انشقاقه عن الشريف وموالاته لعبد العزيز، فتبعه قومه ومناصريه وقد راق لهم الأمر بعد أن تمسك الأعراب بالدين، فلما وصل خبره إلى الشريف حسين غضب ولكن ما زاد غضبه أكثر هو انضمام أغلب قبيلة عتيبة إلى سلطان نجد بعد أن تمسك رجالها بتعاليم الشرع الحنيف واعتبروه إمامهم المجدد.

أخذ الإخوان يغزون من ليس على نهجهم ويقتلون ويغنمون، حتى شل الفرع الحاضرة والبادية من أفعالهم المتعصبة للشرع، ولم يستطع علماء للدين كبجهم لكثرة السالكين نهجهم إما حمية للدين أو خوفاً من الإخوان أو طمعاً في الغنائم، حتى أن أمراء القبائل وفرسانها لم يستطيعوا مواجهة هذا الأمر فانخرطوا فيه. وقد ساعدت تلك الأحداث على استقرار البلاد وخضد^(١)

(١) نزع وكسر.

شوكة التعصب القبلي والتفرق إلى الالتحام و التعصب لدين العزيز ثم في استتباب الأمن لحكم عبد العزيز.

أخذت الغنائم تفد إلى عبد العزيز من كل صوب وهو في الرياض لا يعلم عنها شيء، حتى أخبر أنها من غنائم الإخوان وقد بعثوا بالخمس إليه، فحث وبث علماء الدين لتهدئة تعصبهم هذا وأن يأخذوا الأمور بالروية.

* * *

مقدم القرايين



الشريف حسين بن علي .

أراد الشريف حسين النيل من خالد إما بقتله أو أسره وتولية أحد من طرفه على الخرمة، فأمر فاجر بن شليويح بأن يغزوها ولا يرحم أحداً، كما أمر أيضاً الشريف حمود بن زيد بقتال الأعراب الذين انضموا للإخوان، بيد أنه لم يستطع دفعهم فكلما اصطدم بهم يخضدون شوكته، ويخسر أرواح رجاله وأموالهم حتى لقبه الشريف حسين بمقدم القرايين، الأمر الذي دعا الشريف بأن يوعز لابنه عبدالله، ويطلب منه إرسال الشريف شاكر بن زيد ليردع خالداً وأنصاره.

زحف شاكر نحوہ بجيش عظيم وقد ساندته الأعراب، وقابل في زحفه قافلة كبيرة لأهل الكويت قاصدين الحج ويرأسهم الشيخ أحمد الجابر المبارك، فكادت أيادي جيشه أن تقتطعها إلا أن شاكرأ حماها حتى أخرجها سالمة، ثم تابع زحفه حتى نزل قرب قرية عشيرة.

* * *

حاول فاجر بن شليويح تخليص الإبل التي سطا عليها من أهل الخرمة الذين أصروا على استعادتها منه، فدافع عنها حتى قتل على يدي ناصر بن مشاري السبيعي وقد هرب من معه، ولما علم الشريف شاكر بمقتل فاجر ترك جيشه في عشيرة وسار بكتيبة محاولاً الاستيلاء على الخرمة، فتصدى له خالد وهاجمه وقتل جنده وتمكن شاكر من الفرار من الموت.

أخبر الشريف حسين بمقتل فاجر أول أيام عيد الأضحى، فحزن حزناً شديداً عليه ثم أتاه بعد أيام خبر الهزائم التي مني بها شاكر فتطير من ذلك، وأمر بحبس من لديه من تجار نجد، حتى يأمرؤا أهل بلادهم بعدم تزويد الإخوان بالمؤن، وأرغمهم على توقيع كتب بذلك.

كف الشريف شاكر عن مناوشة الإخوان وأقام في منطقة عشيرة بجيشه الكبير ينتظر قدوم جيش الشريف عبدالله ومن ثم الهجوم على الإخوان، وبدأ الناس بالتوافد على عشيرة وبنوا دكاكين من سعف النخل والخيام، فقام بها سوق كبير بعد أن اطمئنوا وأمنوا بوجود مثل هذا العدد من الجنود.

* * *

عشيرة ١٩١٩م

أمر عبد العزيز أهل الغطط وما حولها من أنصاره بمساندة خالد، ولما اجتمعوا لديه أخذوا يتشاورون بشأن الهجوم على عشيرة، وأدلى كلُّ بدلوه حتى قال خالد بن لؤي:

- إن عدد جيشنا ألفا مجاهد منهم مائتا فارس، والعدو ضعفنا ومسلح بالرشاشات والمدافع، فيحب أن نقسم خيلنا قسمين، مائة فارس يردفون عددهم من الرماة ويتجهون شمالاً فإذا وصلوا إلى ماء عشيرة يمطرون من هناك بالنار، والقسم الآخر يهجم من جانب الجيش، أما نحن فنهجم براياتنا عليهم فمن قتل قبل أن يصل فهنيء له الجنة، ومن سلم فله المغنم والنصر.

فاتفقوا على رأيه وبأن يهجموا عليهم بعد الفجر، فأحيوا ليلتهم تلك بالقيام وتلاوة القرآن ولما حان الفجر نَقَدُوا مخططهم.

بدأ جند الشريف شاعر بإطلاق النار لما رأوا الهجوم واستخدموا الأسلحة الرشاشة، فجأة راعهم الهجوم عليهم من الخلف ومن الشمال، فضجت الناس وأخذوا في الهروب وارتبك الجيش وترزعزع، وزادهم تزلزلاً أكثر اختراق الإخوان لصفوفهم، فأخذوا يقتلون فيهم حتى انفلوا وقد قتل أكثرهم، فغنم الإخوان مغايم كبيرة، وقد نجا شاعر من الموت المحقق بمن معه، ولم يحموا ذخيرتهم التي تركوها بعيدة عن المعسكر، فسار الإخوان إليها واستولوا عليها بكل يسر وسهولة بعد أن هربت حاميتها.

جدة القنصلية البريطانية

اجتمع ضباط المخابرات البريطانية يتداولون الأحداث الأخيرة بين سلطان نجد وملك الحجاز.

■ فقال كبيرهم:

- يجب علينا كبح قوة سلطان نجد وإشغال الشريف حسين في أمره، حتى ينسى أمر الشام ووعودنا له ولكي لا نضطر لعدم الوفاء له. فأخذوا بتأييد قوله إلا هاري فيلبي.
- إنكم تقعون في خطأ كبير إن ساعدتم الشريف وأرشيتم الفتنة بينه وبين سلطان نجد.

فاستوضحوا منه الأسباب؟

- إن نجداً تدين لعبد العزيز ويقاتلون قتال من يريد الموت، ولن توقفهم قوة الشريف بل سوف تتسبون بإضعافه، فنصيحتي لكم بأن تتركوا الوضع على حاله وعدم زرع الفتنة بينهما، الأمر الذي قد يؤدي إلى بسط نفوذ عبد العزيز أكثر وفقدان السيطرة عليه.

■ كبيرهم:

- إن سلطان نجد أسس دولة دينية وهذا الأمر يقلقنا ويقلق حلفائنا، فقد ظننا أنه كغيره من العرب يريد ويسعى للملك، بيد أنه اتضح لنا عكس ذلك فهي منشئ دولة إسلامية ويحييها من جديد، وهذا الأمر خطر علينا بعد أن نزعنا الهوية الإسلامية من الدول التي استعمرناها وجعلناهم

ينادون بالقومية العربية، فيجب علينا تحجيم أمر سلطان نجد، ولن يتمكن من وقف زحف جيش الشريف المدعم بالآلات الحديثة والعدد الكبير، كما أن الأعراب سيميلون للشريف حسين ويتركون سلطان نجد الذي سينتهي أمره وتنتهي دولته الإسلامية...

ثم نظر إلى هاري وأردف قوله...

- إنه من الجنون أن يفكر المرء للحظة بأن جيش سلطان نجد البدائي سينتصر على جيش الملك حسين.

فأخذوا يضحكون بينما هاري يحاول إقناعهم برأيه...

فلم يقتنعوا بقوله وأصروا على إمداد الشريف وتحفيزه للوثوب على نجد.

* * *

تقريرة

وجه عبد العزيز رسالة إلى الشريف عبد الله بن الحسين، عندما علم أنه يتوجه بجيش جرار من المدينة إلى نجد، فلما وصلت الرسالة أخذ بقراءتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

المكرم الشريف عبد الله بن حسين حفظكم الله..

لقد تبين لي أنك سائر إلى نجد، وهذا الأمر على خلاف ما أكدت لي سابقاً بعدم تعرضك لنا، فأسألك العدول عن طريقك، وأن تتجنب الشر ووقوع الفتنة بين المسلمين، وأما ما بيننا من خلافات وحدود فإنني سوف أرسل إليكم أحد أبنائي أو إخوتي للمفاوضة وحسم الخلاف، فأرجو منك الرجوع إلى أراضيكم.

الموقع أدناه.

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

* * *

ابتسم الشريف ابتساماً تهكم وعتو فكتب له:

تأمرني بالرجوع إلى أراضِي وما هي قوتك لتمنعنا عن أراضينا، وهل تريد من رجل ينتسب لقريش ثم عبد مناف ثم بني هاشم، جده خير الخلق وعلي بن أبي طالب أن يقعقع له بالشنان ويروع بمثل هذه الأقاويل!

إنني متجه إلى أرضي لتأديب العصاة، ممن انشق عنا ليتبع نهجك
المفسد، الذي أفسد الأعراب وجعلهم يبيعون أنعامهم ويبنون الدور
للاستقرار، فالأولى لك إرجاع الأعراب إلى حالهم وترجع أنت إلى ديارك،
ولن أمس أحداً من أهل نجد.
الموقع أدناه.

الإمير عبد الله بن الحسين

القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية

* * *

لما وصل كتابه إلى عبد العزيز استرجع وتضرع للعزير الذي لا يخيب
رجاء عبده، وأوعز إلى الشريف خالد بن لؤي بالاستعداد لردع الجيش وسوف
يأتيهم بعد أن يجمع قواته.

وصل الشريف عبدالله إلى تربة فدخلها وسفك فيها الدماء وأباحها
للجند، حتى يرتدع غيرهم بما حل بها وينحلوا عن مناصرة عبد العزيز، غير
أن تصرفه أراغ الناس أكثر وخافوا أن يفعل بهم مثل ما فعل في أهل تربة،
فلاذوا بالله ثم في جند عبد العزيز وناصروه بشدة.

حمل رسولان رسالة من عبد العزيز إلى الشريف حسين، يستفسر
عن سبب زحف ابنه عبدالله ونزوله على تربة، إلا أن الشريف لم يجب عن
تساؤلاته...؟

فرجع الرسولان خاليا الوفاض!

كما وردت برقية من القنصلية البريطانية للشريف حسين، الذي خرج
ليعاين قواته الجرارة، فأصابه التيه والعتو لما رآها...

■ كتب في البرقية:

- هل تم صلح بينك وبين سلطان نجد؟

■ فكان جوابه إليهم:

- سوف تجدون الإجابة مع ابني عبدالله عندما يصل جيشه إلى مشارف البحرين!

بينما الرسولان سائران على راحلتيهما مرا بجحافل عبدالله في تربة فهالهما ما رأياه من العدد والعدة، وقد ساق عبدالله المدافع والرشاشات والبنادق الحديثة التي كسبها من الترك عندما فتح المدينة، ثم مرّا على خالد ابن لؤي والإخوان، فاقترب منهما وهو على حصانه ولم يوقفهما وقد التف الإخوان حولهما.

- هل مررتما على جيش عبدالله؟

الرسولان بصوت عال يريدان إسماع الإخوان:

- نعم لقد مررنا بهم ورأينا من حالهم الضعف والهوان والخوف من لقاءكم.

ثم طلبا من رؤساء الإخوان الانفراد بهم، فلما تم لهم ذلك أخبروهم بحقيقة الأمر وقوة خصمهم ثم استأذنا بالانصراف.

تشاور الزعماء فيما بينهم ثم أمروا سرية بأن تغزو أطراف جيش الشريف ليروا ردّة فعلهم.

غزت سرية الإخوان فأصابت خيلاً للشريف، وقتلت منهم مقتلة ثم عادت بعد أن لاحقتها السرايا يقودها الشريف شاكر فلم يدركوهم، ولما عاد للمعسكر ودخل خيمة الشريف عبدالله.

■ عبدالله: أرى أن الهزائم الشاكرية لم تنقطع بعد.

فضحك من في المجلس وقد أزعج ذلك شاكرًا.

- لم تواجههم بعد يا سيدي حتى ترى مدى قوتهم وبأسهم.
 ■ عبدالله بسخرية: إن قوام جيشنا ثلاثة عشرة ألف فرد مسلح بالمدافع والرشاشات الحديثة والبنادق، فهل سيقف هؤلاء الشذمة في طريقنا، سوف أفضي عليهم وعلى إمامهم وأخذ نجد والجزيرة بأسرها.
 ثم أخذ يضحك وكذلك من معه بينما الخدم يبسطون له الطعام الوافر المتنوع.

أدى الإخوان صلاة العشاء وأخذوا يسبحون ويحمدون ويكبرون، ويتلون آيات من الذكر الحكيم، وبينما هم كذلك انفرد خالد بزعمائهم.
 ■ خالد: سوف نرسل رسولاً إلى الشريف عبدالله يخبره بأننا سنصبحه بغارة شعواء^(١).

■ سلطان الدين: ولماذا نخبره بهجومنا؟

■ خالد: إنني أعرف ابن عمي تمام المعرفة، فما إن نهدده حتى يصيبه الارتباك ويتخبط في أمره.

■ أحدهم: ربما يقتل الرسول؟

■ خالد: سيفعل هذا ولكن سنرسل امرأة لتؤدي الرسالة.

فأجمعوا على أمره وأرسلوا امرأة تنذرهم بأنهم سيهجمون عليهم صباحاً، إلا أن الشريف لم يحفل بالأمر لكثرة ما معه من الجند، وقلة جنود خالد الذين لا يتجاوزون الثلاثة آلاف.

أحياي الإخوان ليلتهم بالركوع والسجود وأخذوا يودعون بعضهم البعض، ويحضون أنفسهم على الصبر، ولما حان الفجر أممهم خالد ثم خطبهم قائلاً:

إخواني إن الدنيا دار شقاء للصغير فيها أم الكبير، ولا يسلم المرء من

(١) عنيفة، منتشرة.

نكدها، كما أنها حلم يمضي بسرعة وتتخطفنا السنون ونحن لا نشعر بذلك، ولقد أضعنا الكثير من الأعمال التي تعمر آخرتنا، وحل عليكم اليوم...
يوم عظيم لمن صبر وأبلى بلاء حسناً وأقبل على العدو ونصر دينه، فاليوم شهادة نقدم بها على رب غفور يجزل العطاء والمغفرة ونعوض ما فاتنا من عمران دار الخلد، فشدوا الوثاق وأصدقوا اللقاء وها أنا مقاتل بسيفي لا ببندقيتي.

فصاح الرجال وكبّروا وسلّوا السيوف وهجموا على عدوهم الغار في مهجعته المطمئن لعدده وعدته.

* * *

فرك أحد الجند عينيه وهو يحاول طرد النوم عنهما، إلاّ أنهما اتسعتا لما رأتا الخيل تعدوا نحوهم، فصاح بالجند الذين أصابهم الفرع واصطفوا خلف رشاشاتهم ومدافعهم، وأخذوا يطلقون النار على الإخوان الذين خالطوهم وأخذوا بقطع الرؤوس والأذرع.

سيطر الفرع والرعب على الجند فصوبوا فوهات أسلحتهم وسط الميدان، وأخذوا بحصد بعضهم البعض، بينما الإخوان يستأصلونهم بسرعة البرق، وقد دخل ثلاثة منهم خيمة الشريف عبدالله إلاّ أن عبده تصدى لهم بينما فرّ به الشريف شاكر، فقتل العبد ونجا الشريفان ولحقهم بعض أتباعهما، والتفت الشريف عبدالله خلفه والخيل تعدوا به فرأى معسكره يحترق والمدافع تدوي وأصوات طلقات النيران تردد أصداؤها السماء، وجنوده يهربون فيلحق بهم آخرون فيقتلونهم، وأخذت تتردد في أذناه صيحاتهم مستذكراً.

- الجنة الجنة يا من يطلبها...

لم تمض ساعات إلاّ والإخوان يهثون بعضهم بالنصر الكبير، ويحصون قتلاهم الذين لم يتجاوزوا الأربعمئة بينما قتل أغلب جند الشريف، وأخذوا يداون جرحاهم ويجمعون الغنائم الكثيرة جداً.

* * *

لما ابتعد الشريف عبدالله عن مرمى الخطر أحس بالإرهاق ولسعته الشمس بحرارتها.

فرأى شجر دوح فاستراح هو ورفاقه تحتها.

- شاكر بسخرية: هذه هزيمة عبدلية أريت بأس من كنت أقاتلهم؟
- عبدالله وهو ينتهره: أتسخر مني في هذا الموقف بدل أن تأسى على كرامتنا وقوتنا التي فقدناه.
- فأطبق شاكر فاهه خجلاً مما قاله.
- عبدالله: أمع أحدكم طعاماً؟
- فقام رجل وأخرج من صرته تمراً، ثم صب عليه سمناً وقدمه إليه، فدعا رفاقه لمشاركته الأكل فازدحموا حوله.

■ عبدالله بأسى ومرارة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله البارحة كنا نتناول أنواع الأطعمة حول موائد كبيرة واليوم نتزاحم على حفنة تمر.

بعد ثمانية أيام قدم عبد العزيز من الرياض ومعه جيش جرار من الإخوان والحاضرة، فاستقبله خالد والزعماء الذين معه ورحبوا به ترحيباً عظيماً وهنّؤوه بالنصر، وقسموا له الخمس مما كسبوه وكذلك قسموا لجنده، فأقام في تربة وأخذ الناس يفدون عليه من مختلف القبائل ينتظرون إشارته بغزو الطائف، لكن رسالة أتته من القنصلية البريطانية تنذره من مغبة تخطي حدوده وعليه العودة إلى دياره، فقفل عائداً إلى الرياض وأمر الإخوان بالمرابطة، وأرسل كتاباً إلى الشريف حسين يتأسف له عما جرى، ويطلب منه إنهاء الخلاف بينهما.

لم تخضع معركة تربة وتزلزل الشريف حسين بل زادته كبراً وكرهاً لسلطان نجد، فتوعد من يجده في الحجاز من سكان نجد، ومنعهم من

المتاجرة وأصدر أمراً بمنعهم من الحج والعمرة، وأخذ يؤلّب ويموّل العصاة ضد سلطان نجد الذي ما زال يتلطف له بجميل العبارة، بيد أن الحسد لا ينفك عن أنياب صاحبه بعد أن دثره رداء الكبر، وقد فرح الشريف حين حل الوباء^(١) في نجد وأخذ الناس بدفن أحبّابهم صغاراً وكباراً، وقد لحق عبد العزيز ما لحق الناس فدفن بيديه ابنه البكر تركي بعد أن مسه الوباء، مما أفرح ذلك الشريف واعتبره نصراً له من السماء.

* * *

أت الأخبار تنذر عبد العزيز بوجود تواطؤ بين الشريف حسين ووالي عسير حسن بن عائض، الذي استقلّ بالمنطقة بعد خروج العثمانيين منها، وأخذ ابن عائض بالتهيؤ لمناجزة القبائل الموالية لعبد العزيز في عسير، فشدّد عليهم وظلمهم حتى سئموا حكمه، وأخذوا بمراسلة عبد العزيز ليتولى أمرهم ويدير شؤونهم.

وصلت الرسالة إلى عبد العزيز الذي بدوره أرسل لابن عائض ينصحه بالعدل في رعيته، بيد أن الأخير سخط من التدخل ولم يرد عليه الإجابة، مما دعا عبد العزيز ليجهب جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، أغلبهم من قحطان أهل تلك المنطقة وبقيادة عبد العزيز بن ساعد آل جلوي.

* * *

(١) وباء حل في نجد سنة ١٩١٩م.

حجلا ١٩٢٠ م

توغل جيش عبد العزيز بين جبال عسير ثم دخل خميس مشيط، واتجه إلى أبها حيث ابن عائض وقد انضم إليهم المناوئين لابن عائض وكانوا كثر، فساروا حتى اصطدموا بقوات ابن عائض في منطقة حجلا، ودارت معركة حامية الوطيس عدة ساعات حتى هزم مقاتلي ابن عائض، وتحصن في قصره القابع على قمة جبل حرملة الوعر، وأكمل ابن مساعد مسيرة وأخذ ينشر الأمن في البلد ويتقلد الأمور، ثم أمر بتشديد الحصار على قصر ابن عائض، فلما اشتد الحصار عليه عدة أيام وأصبح كالسجين ولم تهناً عينه بنوم من شدة التراب قرر الاستسلام فأخذ هو وفراد عائلته إلى - ارياض و - بل التكريم والاحترام وخير في البقاء في الرياض و العودة إلى دياره فاختر دياره.

خاف حاكم جازان محمد الإدريسي على ولايته عندما أظلمها حكم سلطان نجد، فأرسل إليه على الفور رسالة طالباً منه عقد معاهدة حسن جوار، لم يتردد عبد العزيز من الإمضاء على المعاهدة بينهما، فأمن الإدريسي على بلاده، بيد أن الخطر كان يتهده من الجنوب والشمال من حاكم اليمن ومن الشريف حسين الازدان طمعا ببلاده فقرر تسليم البلد عبد العزيز نكاية بالاثنين، على أن يكون حاكماً تابعاً له فووقت مراسيم الاتفاق.

*



VISIT THE BRITISH RESIDENT AT BASRA: LEFT TO RIGHT, BEGINNING WITH ~~UNKNOWN~~ FIGURE FROM LEFT IN FRONT:
 SHAYKH OF MOHAMMARAH; THE SHAYKH OF KOWEYT; THE SHAYKH OF MOHAMMARAH; IBN SAUD; SIR PERCY COX; AND
 6 5 4 1 2 3

سالم المبارك ١٩٢٠ م

وقف الشيخ سالم المبارك فوق قصر السيف يلحظ مدينته، وقد بزغت عين الشمس مؤذنة أهل الكويت ببدء أعمالهم، كان الشيخ يرقب الناس من بيوتهم البنية اللون والتي شُرِّبَت ببعض الحمرة، بأبوابها الخشبية وسككها الضيقة، وقد خرج الأطفال للعب بينما الكبار يتبادلون التحية والانغماس بأعمالهم. جال هذا المنظر في عيني الشيخ الذي أخذ يخاطب نفسه:

- لقد انتهت الحرب منذ عامين وسقطت الدولة، وكل ملك أو أمير من العرب يريد رسم حدوده وإقرار ما تحت يده، ها هو فيصل بن الحسين أصبح ملكاً على سوريا، بينما أبيه ملكاً على الحجاز، وكذلك أعاد عبد العزيز وأحيا دولة أسلافه وقد استرجع منطقة عسير مؤخراً، فوجب عليّ أن أرسم الحدود التي كانت تحت يد والدي، وأول خطوة هي بناء قصر في بلبول القريب من ميناء الجبيل، ومن ثم أجلب وأدعو للسكن فيها، بعد أن يعمل ميناؤها فتصبح حداً من حدود الدولة، أما الاعتماد على ولاء القبائل فهو كالسراب يحسبه الظمان ماء، فلا بد لي من توثيق الحدود ببناء مدن ويجب...

قطع حبل أفكاره صوت أحد رجاله مخبراً إياه بأن مستشاريه قد اجتمعوا في بهو القصر.

دخل الشيخ سالم بهو القصر وأخذ المستشارين بالسلام عليه فبادلهم

السلام والسؤال عن أحوالهم، ثم أخبرهم بعزمه على رسم حدود بلده وبناء قصر في بلبول.

فأجابوه بأنها خطوة مباركة وأن منطقة بلبول من مناطق الغوص الهامة، وقد كان أسلافهم يغيصون فيها والقبائل التي في برها كانت تؤدي الزكاة للشيخ مبارك.

انفض المجلس وقد أمر الشيخ سالم بتجهيز السفن بمواد البناء والفحلة وأن ينطلقوا من الغد.

* * *

تبادرت الأخبار إلى عبد العزيز في الرياض بأن حاكم الكويت نازل في بلبول ويقوم ببناء قصر له، فانزعج واجتمع مع والده في قصره وأخبره بأمر سالم.

- عبد العزيز إن الدول لا تقوم على عاطفة أو تفاعل كما يتفاعل الشخص مع الآخر، إن الدول كيان تغلب عليه المصلحة التي ترجع على من فيها بخير، كما لا تنس الحياة التي قضيناها في الكويت تلك السنوات، فتلطف بالتعامل مع قضاياهم بما فيه مصلحة للطرفين.

- أبي متعنا الله بك لم أنس عيشنا في الكويت وحب الشيخ مبارك (رحمته الله) لنا، كما أنني لم أقصر عن مد يد العون له والتصدي لكل من ناوأه، كما أن ابنه جابر (رحمته الله) كان سنداً لي ويحسن التعامل مع رجالي ويكرمهم أشد الإكرام ولكن..!

سالم على نقيض أبيه وأخاه فإنه يكرم رجال ابن رشيد أشد الإكرام ولا يلتفت إلى رجالي، كما أنه سمح بنزول العجمان في أراضيه، والآن يبني قصرًا في بلبول حتى يستقطع أرضاً من أراضيه أسلافه في حدود بلده هي سور مدينته، وجميع القبائل التي حوله تؤدي الزكاة لي وهي راغبة في حكمي.

- عبد العزيز افعل ما شئت فأنت حاكم البلاد.

- لن أقطع رأياً إلا بعد أن أستشيرك يا أبي.
 - بني لقد خالفتك حين أردت استرداد الرياض، بينما أصريت أنت على أمرك فأصبت وأخطأت أنا، فعلمت أنك مؤيد من الله وموفق ومسدد، وقد حكمت هذه البلاد ونشرت العدل بينهم واقتصصت لهم من الظالم، وأخذت تجاري الدول بسياسة الدهاء، وجنبت أهل الجزيرة قوى لا قدرة لهم بها وهم لا يعون ذلك.
 - هذا من فضل ربي عليّ ثم من حسن تأديك لي، وسوف أراعي حق الصديق ما استطعت وأترفق به رغم الاختلاف.
- ابتسم الإمام عبد الرحمن بينما قام عبد العزيز وقبّل يده ورأسه وانصرف إلى قصره.

* * *

تبادل عبد العزيز والشيخ سالم الرسائل فيما بينهم، والأول ينهائه عن البناء.

- بينما الأخير يخبره: بأن هذا الموقع من أراضي الكويت والثيقة الأنجلو عثمانية سنة ١٩١٣م تؤكد ذلك.
 - فرد عليه: إن أرضه لا تتعدى فقط بضعة عشرات الأميال خارج سور بلده، وأن بقية هذه الأراضي كانت تحت سلطة أسلافه وها أنا أستعيدها الآن، أما ما ذكرت عن المعاهدة فقد سقط طرف منها وهم العثمانيون، وسوف يتغير موقف الإنجليز وتتجدد الاتفاقية.
- لم يرتدع الشيخ سالم عن البناء ولم يأبه لكتب عبد العزيز الذي لم يشأ أن يصطدم في قتال معه، فأوعز إلى الوكيل الإنجليزي في المنطقة يخبره بالأمر ويطلب منه التدخل، فاستجاب لطلبه وأتى إلى الشيخ سالم وطلب منه التوقف حتى يتم الفصل بين حدوده مع سلطان نجد، فعاد إلى الكويت بعد أن قنع بقول الإنجليزي.

* * *

توافد المهثون إلى مجلس الشريف حسين بن علي يهتفون بتنصيب ابنه فيصل ملكاً على الشام، بعد أن دحر هو والقوات الإنجليزية القوات المتبقية للدولة، والتي كان يقودها أحمد جمال باشا الجزار، عن أراضي الشام. كانت فرحة الشريف لا توصف وقد استعاد ماء وجهه بعد الهزيمة النكراء التي مني بها أمام سلطان نجد، فقد حقق ابنه حلمه الكبير بأن يلي شأن العرب والمسلمين كافة، ورأى حلمه قاب قوسين أو أدنى بخلافته على المسلمين فيكون عليهم طاعته، ولما انصرفت وفود المهثين أخذ بالتحدث مع أحد مستشاريه:

- هذا هو والله يوم السعد فلم يبقَ إلا خطوات حتى أنصب نفسي ملكاً على العرب، بعد أن حوت مملكتنا الشام أيضاً، وسوف أستعيد بلاد عسير أيضاً.

استغرب المستشار وتساءل عن كيفية ذلك؟

■ ابتسم الشريف وهو يجيبه:

- لقد أرسلت من يحرض ابن عائض ويؤلبه على أعوان ابن أسعود فبات ثورته قريبة جداً، كما أرسلت إلى حاكم حائل حتى ننسق فيما بيننا للتضييق على بلاده والحد من نفوذه، وكذلك استطاع حاكم حائل من استمالة حاكم الكويت الذي أخذ يضيق على رجاله أيضاً، بعد أن انضوت القبائل التي كانت تحت يد والده إلى كنف ابن سعود.

حك المستشار ذقنه بإصبعه ثم استند بجنبه الأيسر على مسند الكرسي وقال:

- الحجاز والشام وحائل والكويت وربما عسير، لقد أضقت عليه الخناق حتى أن حليفه الأول نأى عنه، واختلف معه بشأن الحدود عندما رأى تنامي سلطانه، سيجر ذلك على سلطان نجد أموراً عديدة، أهمها ركود التجارة في بلاده فينقطع عصب الحياة، وكذلك منعت الحج عن من في بلاده، الأمر الذي يجعل الناس تنفر منه ويرغبوا فيك بعد حكمك لهذه البلاد، ولكن هل سيستكين لذلك مع علمي بأنه قد حسب هذه الأحداث ورأى أن الطرق قد سدت في سبيله وربما يعلن الحرب علينا؟

■ قهقهة الشريف ضاحكاً وأجابه:

- لا لن يستطيع... قوتي الآن أعظم من قوته... كما أن حلفائي الأوروبيين لا يستسيغون طريقة حكمه ويرحبون بعين راضية بطريقة حكمي التي توأكب العصر الحديث.

■ المستشار مستغرباً؟

- عفواً سيدي!!!... وكيف هذا ولماذا؟

■ الشريف ينظر إليه بثقة عمياء...

- إن الحلفاء ينون نظاماً عالمياً جديداً وهو النظام الرأسمالي، ولا يحالفون من يقوم نظامه على أساس ديني بل لا يؤيدونه بتاتا، ويرون مني المثال الحي لمن سيحكم المسلمين...

- ولكن لماذا ساعدوه واعترفوا بدولته؟ حقيقة مثل هؤلاء لا يوثق بهم!
- لقد ساعدوه ومدوا له يد العون حتى يقف بجانبهم في حربهم ضد الدولة، فتبين لهم أنه لم يخدمهم في شيء، فقد كان همه استعادة ملك أسلافه ونشر مذهبه الوهابي الخارج عن دين الإسلام، وسوف يتخلى الإنجليز عنه ويوقفون مساعدتهم، ولربما أعانوني لأهدم أركان مملكته الواهية.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي الشريف عندما أنهى جملته الأخيرة.

سكنت مدينة الرياض ليلاً وقد أثار ضوء البدر الخافت قصورها، التي تشابهت مع لون أرضها وزينها النخل الباسق الذي أحاط أرجائها، وفي إحدى قصورها في غرفة أضواءها وهج قنديل قريب من رجل واقف يتهلل إلى الله في صلاته، ولما قضى ما قدره الله عليه انحرف جانباً وأمسك مصحفاً وأخذ يرتل حتى قرأ ثلاثة أجزاء منه، فتوقف ووضع وأخذ يفكر ويخاطب نفسه قائلاً:

- لقد أصبح فيصل بن الحسين ملكاً على الشام بمساندة الإنجليز، بعد أن

وَقَعَ مع الحركة اليهودية اتفافية كما تزعم المعلومات الروسية التي وصلتنا، تقضي بالسماح بإنشاء مستوطنات لهم بفلسطين، بينما يملك هو الشام، فإن صدقت هذه المعلومات فوالله إن هذا لمن الخذلان المبين، ولن يرحمه الخلف بما فعله ونحن لا قدرة لنا بمصانعة قوى مجتمعة، بل ربما أسعفهم أبناء جلدتنا، فالرأي المحافظة على هذا الوطن وترسيخ قيم الشرع، ويجب علينا الآن كسر قوة الشريف التي ظهرت على الساحة، وقطع الطريق بينه وبين حاكم حائل قبل أن يفرض علينا حصاراً اقتصادياً. وها هي الكويت تشترك معهم، آن أو ان استرجاع حائل وضمها للبلاد بعد أن دخل الكثير من رجالها معي ورجبوا في حكمي..

قاطع تفكيره صوت الباب يفتح من خلفه..

- السلام عليكم علمت أنني سأجرك هنا.

عرف عبد العزيز الصوت الأنثوي فتهللت أساريره..

- وعليكم السلام ورحمة الله مرحباً بأختي العزيزة نورة خيراً بإذن الله؟

- خيراً بإذن الله يا أخي أحببت فقط أن أتحدث إليك بعد هذه الأحداث الجديدة التي طرأت على المنطقة، ورأيت مدى انشغالك بشؤون البلاد والعباد فعلمت أنني سأجرك هنا في هذه الساعة.

ابتسم وهو يستمع إلى نورة التي أخذت تخبره بأمر المنطقة والأحداث الأخيرة وتستخبره عن خطوته القادمة..

- سوف أقطع على الشريف هذا القوس الذي صنعه مع حاكم حائل، وأسترجع حائل وتكون بلادنا على جبهة الشام مباشرة.

- والله يا أخي إن هذا الرأي يوافق ما أرى، فلن تتمهد البلاد وتستتب حتى تضم حائلاً والمناطق الشمالية إليها.

قاطعهما صوت الحق الذي دوى في سماء الرياض معلناً دخول وقت

صلاة الفجر، فانصرفت بينما ذهب لتأدية الفريضة، ولما أرسلت الشمس خيوطها عقد اجتماعاً وأخبرهم بتفاصيل ملك فيصل والقربان العظيم الذي قدمه لقاء الكرسي، وكذلك المؤامرة بن حاتم حائل والشر وأن الرأي ه استرداد حائل وضمها للبلاد. وافقه الجمع على رأ فأمرهم بالتؤ وحشد الجيش للسير نحو حائل.

* * *

أخذت بعض بادية الكويت وخاصة بعض من قبيلة العجمان في غزو القبائل القريبة منها واشتد الخلاف بن سلطان نجد وأمير الكويت، وفي غضون تلك الأحداث طلب أحد أمراء قبيلة مطير من عبد العزيز الإذن في بناء مسجد ودوراً في العليا^(١) فسمح له.

وعندما باشر البناء أتى خبره إلى مسامع الشيخ سالم، فغضب من تعدي أتباع عبد العزيز على مناطق نفوذه، وأرسل الشيخ دعيج بن سلمان الصباح على رأس مائة فارس ومئتي هجان إلى العليا، لمنعهم من البناء وإرهابهم وقد حرص الشيخ سالم على الجيش بعدم القتال فقط في إرهابهم وهدم ما دونه.

* * *



سالم المبارك الصباح

حمض

علم أهل قرية العليا بمسير الشيخ دعي إلهم واقتربوا فاستنجدوا
بفيصل بن سلطان الدويش الذي ان مكفاً من عبد العزيز في حماية القطاع
الشمالي للبلاد، فهب للنجدة ومعه ألفا مقاتل.

نزل الشيخ دعيج برجاله في منطقة حمض القرية من العليا، وأرسل
رسولاً يأمرهم بأن يهدموا بنيانهم ويرحلوا عن أراضي الكويت.

■ فكان ردهم:

- بأن هذه أراضيهم وأراضي أجدادهم وأنهم تحت أمر الإمام، ولا شأن
لحاكم الكويت بهم.

في تلك الأثناء دهم فيصل الدويش جيش الكويت، ودارت المعركة
وانهزم الشيخ دعيج وقتل أكثر من كان معه.

بعد أيام وصلت أخبار المعركة إلى عبد العزيز الذي بدوره وبخ فِعلة
فيصل وأنه لم يأمره بالقتال إنما ان عليه حماية القرية، فأجابه فيصل بأنهم
قد جاؤوا للقتال وقد حصل الأمر بسرعة.

أرسل عبد العزيز رسالة إلى الشيخ سالم يعتذر له عما حصل، وأرسل
بدوره رسلاً إلى الرياض فقبولوا بترحيب حار وإكرام من عبد العزيز، وأخبرهم
أنه على استعداد لعقد مجلس للحوار في شأن الحدود ما أعاد لهم ما وص
من غنائم ذلك الجيش.

لما عاد الرسل إلى الشيخ سالم لم يعجبه الأمر، وأمر ببناء سور الكويت
الثالث على عجل تأهباً لأي طارئ ما؟

* * *

ميسلون

أصاب الغضب الشريف حسين عندما علم بأن فرنسا احتلت أراضي سوريا، وطردت ابنه فيصل بعد أن هزمته في معركة ميسلون^(١)، فأمر ابنه عبدالله بأن يقود جيشاً لمساندة أخيه في الشام، ولما سار ذلك الجيش ووصل إلى أعتاب الأردن اعترضته القوات البريطانية، ودار النقاش بين القادة واتفقوا بأن يملكوا عبدالله على الأردن، وفيصل على العراق بعد أن تعثرت بريطانيا في كم العراق من طرفهم مباشرة، فتم ذلك مما هدأ ذلك من غضب الحسين وانتشى وفرح بتتويج ابنه.

* * *

١) ١٩٢٠/٧/٢٤م كانت مؤامرة بين البريطانيين والفرنسيين بالمعاهدة التي اشتهرت بسايكس بيكو وقد رتبت سنة ١٩١٦م، فحدثت معركة ميسلون بين القوات العربية وفرنسا التي استخدمت الطائرات والمدافع والرشاشات ضد السيف والبندقية، فمني العرب بزيمة ساحقة، والأدهى من ذلك هو الخونة بين صفوفهم، فكانت كل مخططاتهم مكشوفة لمعدو.



حائل

أرسل عبد العزيز ابنه سعوداً على رأس قوة إلى ضواحي حائل ليخضع من فيها لسلطانهم، فلم يستطع أحد مناوآته وصدّه، حتى أن فرقة خرجت من حائل للذود عن رعاياه فعادت تجر ذبول الهزيمة. أخذت القبائل تدخل تحت لواء سعود بعضهم رغبة في العدل والاستقرار الذي أظله سلطانهم، والبعض الآخر رهبة من سيف سلطانهم.

أرسل عبدالله بن متعب الرشيد وفداً لطلب الصلح من عبد العزيز الذي رد عليهم:

- لقد سبق لي أن عرضت عليكم أن يكون لكم الحكم في مدينة حائل فقط، وتتركوا شؤونها الخارجية لنا فرفضتم، والآن ليس عليكم سوى التنازل عن المدينة بسلام، وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم. رفض الوفد هذا العرض وعادوا كما أتوا، فأخبروا أميرهم بما جرى فأمر بالاستعداد للقتال وتحصين المدينة والتزود بالمؤن، كما أخذ يستنصر القبائل المحيطة به فوجد أن أغلبهم قد انضوى تحت عباءة عبد العزيز بما فيهم معظم قبيلته.

أمر عبد العزيز أخاه محمداً بالخروج على رأس جيش لحصار حائل، فسار حتى ضرب حصاراً عليها، ثم ساند سعود فأطبقوا على المدينة من كل جهة، وبعد عدّة أسابيع استدعى أخاه محمداً وجعل القوات بقيادة سعود.

اضطرب أهل حائل وخنقوا فأصبحت مدينتهم كالسجن، فاجتمع وجهاءها واتفقوا أن يرسلوا في طلب العون من محمد بن طلال الرشيد المقيم في العراق، وكتبوا له بأنهم سيسهلون عليه دخول المدينة ثم يولونه عليهم، فلما وصلت الرسالة سار على الفور حتى اقترب من أسوار حائل، وانتظر الفرصة السانحة لدخولها بعد أن يجد غفلة من الجيش الذي يحاصرها.

تنامى إلى مسامع عبدالله بن متعب ما قد حيك لإزاحته عن الإمارة، فأخذ يتجهز للمغادرة خلسة، فلما تدبر أمر خروجه حمل متاعه وأهله وخرج واتجه فوراً إلى مخيم الأمير سعود الذي رحب به ثم أخذه بعد أيام إلى الرياض.



استطاع محمد بن طلال دخول حائل والتربع على عرشها، كما انتهز فرصة غياب سعود بن عبد العزيز فأخذ بشن الغارات على الجيش وكذلك على القبائل التي والت سلطان نجد، ففرح أهل حائل بهذا الزعيم ورأوا فرجهم قريباً على يديه.

أخبر عبد العزيز بشأن غارات محمد بن طلال فأمر فيصل الدويش بأن يتوجه نحو حائل على عجل، بينما يسير هو نحوها بجموع غفيرة.

اقترب فيصل الدويش من حائل فأتاه الخبر بأن محمد بن طلال خرج من حائل قاصداً النيل من القبائل التي أطاعت عبد العزيز، فتحرك بسرعة لقطع الطريق عليه ونزل في قرية الجثامية، وعلم محمد بن طلال بأمر الدويش ونزل بحصن النيصية، ثم أخذ يرسل الدويش بأن ينزل للشرع في أمرهم قبل أن تراق الدماء.

وبينما الدويش يتهيأ للرد على رسالته فاجأته غارة محمد بن طلال فجراً! بيد أنه استطاع ردها وأخذ بمطاردة فلولهم حتى تحصنوا في النيصية،

واستمر في حصارهم أياماً حتى راعهم قدوم عبد العزيز وقد أرسل لهم الرسل بأن يستسلموا.

فلم يكن ردهم إلا التعنت والإباء.

فأمر بأن يدك الحصن فاشتعل البارود، وأخذت كور الحديد تنطلق من فوهات المدافع وتذك سور الحصن، فزلزت أقدام المتحصنين قبل أن يزلزل حصنهم الذي أخذ بالتداعي، كانت النيران تتوقف فترة من الزمن قبل أن يستأنف إطلاقها لعلهم يستسلموا، فاستغل محمد بن طلال هذه الفرصة وانسحب خلسة من الحصن والتجأ إلى جبل إجا، ومن ثم تمكن من دخول حائل رغم الحصار المنصوب عليها.

استسلم أهل الحصن وأخبروا عبد العزيز بأن محمداً قد فر إلى حائل، مما دعاه ليتوجه إليها ونصب مخيمه في سفح جبل أجا وشدد الحصار على المدينة.

* * *

السور الثالث

عمّت الفرحة أهل الكويت بعد أن انتهوا من بناء السور الثالث لمدينتهم، والذي يبلغ طوله سبعة كيلومترات وبارتفاع أربعة أمتار وبعرض ثلاثة أمتار، وقد استغرقوا في بنائه شهران بعد هزيمة جيشهم في حمض من قبل الإخوان. مشى الشيخ سالم بين الناس يحييهم على جهودهم وولائهم لوطنهم وهم يبادلونه التحية وقد ارتسمت على محياهم ابتسامة تنم عن السراحة والإخاء لبعضهم البعض.

فبدأ الشيخ سالم يعد الخطة بعد أن حصّن مدينته ليفرض هيئته على مناطق نفوذه، واجتمع بمستشاريه وأخذوا بالتشاور في كيفية ذلك رغم قلة رجالهم، فانتهوا إلى طلب المساعدة من القبائل المناوئة لسلطان نجد وإغرائها بالمال لقاء ذلك، فوجدوا ذلك في ضاري بن برغش الطوالة هو وقومه، وكان نازلاً في شمال الكويت في سفوان، فلما وصلته رسالة الشيخ سالم استجاب لندائه وسار حتى نزل في الكويت.

اشتد حصار حائل وانقطعت عن أهلها الأخبار وحبسوا في بلدهم، وهم يصرون على رفض طلب عبد العزيز بتسليم البلد والنزول له وقد استكثروا المؤن التي لديهم ووفرة الماء، بينما أخذت القبائل التي حول حائل تفد إليه، وتقدم ولاءها له وتطلبه بأن يسمح لها بالمشاركة في الحصار لعلمهم يحصلون على الغنائم بعد أن يفتح البلد.

وبينما عبد العزيز في خيمته يتحدث لبعض خاصته، أتاه أحد رجاله

وهمس في إذنه ثم رحل، فأطرق برأسه ملياً ثم استرجع وأمر باستدعاء فيصل الدويش.

مثل فيصل بين يدي عبد العزيز الذي التف حوله أبنائه سعود و فيصل ومحمد وكذلك إخوته وبعض آل سعود.

- لقد وصل إليّ خبر يؤكد أن سالم المبارك استعان بضاري الطوالة وقومه فنزلوا في أراضي الكويت، وأعتقد أنهم سيهجمون على قرية العليا، فاذهب على الفور ورابط هناك، ولا تتعرض لهم حتى يبدؤوك القتال وإياك والتعرض لأسوار الكويت، إنما عليك الدفاع وحماية رعايانا. انطلق فيصل من فورهِ نحو قرية العليا وسار ليلاً ونهاراً بقواته التي تناهز الثلاثة آلاف مقاتل حتى اقترب منها.

* * *

تلقي دعيج بن سلمان الصباح أمراً من الشيخ سالم بأن يتوجه هو وضاري الطوالة إلى العليا ويهدم ما قد بناه أهلها في منطقته، فزحف الجيش على الفور وقد انضمت إليه قبائل الرشيدة والعوازم والدياحين، فبينما هم سائرون فرّاً من أمامهم أحد الرجال على فرسه فأطلقوا النار عليه فلم ينالوا منه ولحقه بعض الفرسان إلا أنه استطاع الفرار منهم، فقال الشيخ دعيج لابن طوالة:

- لا بد أنه جاسوس للإخوان وسوف ينذر القوم باقترابنا؟
- لا بد لنا من العودة فقد أجهز على خطتنا يا شيخ دعيج.
- إذاً سنرابط قرب الجهراء وسأرسل من يخبر الشيخ سالم بالأمر. عاد الجيش أدراجه إلى الجهراء بعد أن فشل في المباغت.

وصل النذير إلى قرية العليا الذين بدورهم استنجدوا بفيصل الدويش الذي وصل إليهم من فورهِ، ورابط عندهم. وعندما حل الغد ولم يرَ طلائع الجيش سار نحو الكويت يستطلع.

* * *

القصر الأحمر

أتى بعض الرجال إلى الشيخ سالم يخبرونه بتوغل الإخوان في منطقة الصبيحية قاصدين الكويت، فخرج بجيشه الذي انضم له ابن طوالة بقومه، ولما اقتربوا ورأوا جيش الإخوان قسم الشيخ سالم جيشه إلى ميمنة عليها ابن طوالة، وميسرة عليها دعيج الصباح، ثم هجموا على الإخوان الذين أخذوا بالصياح والتنادي:

- الجنة يا من يطلبها... الجنة يا من يطلبها... الجنة... الجنة... الجنة...

اصطدم الجيشان وما هي إلا ساعات حتى هزم جيش الشيخ سالم، وتفرق من حوله كلُّ يريد النجاة بنفسه بعد أن رأوا قوة خصمهم واستبسالهم في القتال وعدم اكتراثهم بالموت. تحصن الشيخ سالم في قصر الجهراء ومعه قرابة ستمائة مقاتل وكذلك أهلها، فأحاط الإخوان بالقصر وحاولوا الصعود إليه، وبعضهم حاول الحفر فأمطرتهم الحامية بالنار، وابتعدوا عن السور وأخذوا بإطلاق النار على الحامية فأصابهم وابل الرصاص فممنهم من لقي حتفه ومنهم من جرح وقد دوى صراخ الأطفال وعويل النساء مما زاد الأمر سوء.

استمر الحصار وحاول بعض الإخوان تسلق نخلة طويلة مطلة على القصر، فلما تسلقها وسدد هدفه على أحد الرجال في القصر واستعد للضغط على الزناد أمطرتة الحامية بوابل من الرصاص فأردوه قتيلاً وقد اخترق الرصاص النخلة أيضاً.

لم يكن في القصر سوى بئر واحدة غير عذبة لا تكاد تطفئ لهيب العطش الذي مسَّهم ومزق الجوع أحشاءهم، بيد أن الرجال أخذوا يؤثرون الأطفال والنساء على أنفسهم ويروونهم من الماء، ولما حل الغد بدأت رائحة كريهة تلف المكان فقد أنتنت الجثث التي في القصر، وبدأ الإخوان بإطلاق النار بينما يقوم بعضهم بحفر تجويف أسفل السور، فلم تمكنهم الحامية من ذلك فقد أردوا من اقترب منه، وصعب على الإخوان فتح القصر فصبوا وابل رصاصهم على باب القصر فلم يتمكنوا من إتلافه. ولما حل الليل أرسل الشيخ فارسين لطلب النجدة من الكويت فاستطاعا الانفلات من الحصار، وأخذ الشيخ سالم ينظر إلى رعيته ويبتهل إلى المولى بأن يخلصهم.

* * *

- اقترب أحد الإخوان من القصر ليلاً وطلب مقابلة الشيخ، فخرج له.
- أنا رسول فيصل الدويش وأدعى منديل بن غنيمان وأعرض عليك شروط الصلح.
 - هات ما عندك؟
 - ندعوكم أولاً إلى الإسلام ومنع تدخين التبناك وإنكار المنكرات وتكفير الترك.
- استغرب الشيخ سالم من شروط الصلح وابتسم.
- أما الإسلام فنحن مسلمون ولم نخرج عن الإسلام يوماً، كما أننا نعمل بأركانه الخمس وكذلك نحارب المنكرات، وأما تكفير الترك فما بدر لنا شيء يستحل تكفيرهم.

نفذ منديل عباةته وعاد إلى الدويش يخبره برفض الشيخ لمطالبهم، فأمر بالهجوم على القصر فردعتهم الحامية وأخذت بإسقاطهم فكفوا عن الهجوم، ولما حل الغد رأوا السفن الشراعية التي أرسلها الشيخ أحمد الجابر ولم يكن عليها الكثير من الرجال ولكن خدعة منه ليوهم المهاجمين بأن القوات

تقترب للنجدة، مما اضطر الإخوان لعقد الصلح الذي وافق عليه الشيخ سالم ليخرج رعيته من الكربة، وعندها رحل الإخوان ونزلوا في الصبيحية. وبعد أيام أتى رسول فيصل الدويش إلى الشيخ سالم وقد كان بقربه المندوب البريطاني الرائد جون مور فسأل الرسول:

- هل أمركم السلطان عبد العزيز بغزو الكويت؟
 - لا لم يأمرنا بذلك بل نهى زعيمنا عن الاقتراب من الكويت.
 - إذ ما الذي دعاكم لقتالهم؟
 - هم من بدؤوا القتال عندما أرادوا الهجوم على رعايانا فاضطررنا لقتالهم.
 - إذأ ارحلوا عن الكويت وسوف نخاطب حاكمكم بهذا الأمر.
- عاد الرسول إلى قومه وقد لحقت به طائرة أخذت بإسقاط المنشورات عليهم تذرهم بالرحيل وإلا شن الإنجليز عليهم القتال من الغد، فرحلوا من فورهم ونزلوا في العليا.

وعندما علم عبد العزيز بأمر الكويت بينما كان يحاصر حائل، أرسل برقية إلى الشيخ سالم يخبره بأن العمل الذي قام به الدويش عمل لا يتصل بشخصه، ولم يأمر فيه وأنه على استعداد لإنهاء مسألة الحدود بينهما بعد أن يفتتح حائل.



مرّت الشهور وأصابت المجاعة أهل حائل وقلّت مؤونتهم، ورسل عبد العزيز تذرهم وتأمّرههم بالاستسلام حتى يحافظوا على أنفسهم وأموالهم، وإلا اقتحم البلد عنوة وتقاسمت جيوشه أموالهم، عندها أيقن وجهاء حائل أنه لا مناص لهم من تسليم البلد، فاجتمعوا لدى أميرهم محمد وأشاروا عليه بأن يسلم البلد ولا يعرضها للسلب والنهب وإراقة الدماء، فرفض ذلك بشدة ولا مهم على ذلك واتهمهم بالتواطؤ مع ابن سعود، ثم أمرهم بالانصراف عنه فانصرفوا وفي أنفسهم شيء منه.

فاجتمعوا في قصر أحدهم واتفقوا أن يسلموا البلد ويسهلوا لعبد العزيز الدخول شريطة أن يبقى الأمير محمد بن طلال في منصبه ويكون تابعاً له . فذهب الرسول إلى عبد العزيز يحمل رسالتهم، فرد عليهم بأن يسلموا البلد ولا يشترطوا عليه شيء ولهم السلامة على حالهم وأموالهم لا غير، فلما رأوا رده رضخوا للأمر الواقع بعد أن انقطعت الحيلة بأمرهم ولزم قصره.

* * *

فوجئ أهل حائل فجر يومهم بدخول قوات عبد العزيز ومحاصرتهم للجنود للذين استسلموا على الفور، وصاح مناد بأهل البلد بأن يخرجوا ويتسلموا المؤن التي أمر به الإمام. فخرج الناس صغاراً وكباراً ووجدوا الكساء والماء والطعام يوزع عليهم بالمجان وتعالت أصواتهم بالدعاء لعبد العزيز.

حاصر الجند قصر الأمير محمد ونودي عليه بالاستسلام والنزول إليهم،
فرفض!
وأبى أن ينزل عن ملكه.

* * *

تغلغل الحسد في الحجاز وخاصة في مكة بقصر الشريف حسين بن علي وبالتحديد في قلبه لما علم بقرب تمكن عبد العزيز من ضم حائل لملكه، فضاقت عيناه وأخذ يفكر ويسوس الأمور لعله يجد ما ينقض به بنيانه الذي بناه، ولم يعلم أن ذلك البنيان بني على كلمة خالدة، كلمة رجحت كفتها بالسموات والأرض، كلمة التوحيد لا إله إلا الله وبها تزلزل القلوب وبها ينصر حملتها، لم يع الشريف حسين ذلك، فأخذ يدبر ويخطط فحث ابن عائض وأمره بأن يسترجع عسير من رجال عبد العزيز وسيكون له سنداً وعوناً عليه.

* * *

السيرة تفصيلى عن السيرة

أبى محمد بن طلال النزول عن عرش حائل والاستسلام لأحد رجال عبد العزيز، حتى يبعث إليه أحداً من أبنائه أو آل سعود وعندها ينزل لهم ويستسلم، فتم له ذلك وأخذ إليه، كانت الأفكار تأخذ منه والشيطان يوسوس له بأن يقتل نفسه ويضيق عليه وينشر الظلام بين عينيه ويقول له:

- ما بعد العز والسؤدد والنعيم وخضوع الناس لك، ها هو ملك أسلافك قد اندثر فما لك بالحياة بعدها، سوف يضيع أهلك ومالك وتكونوا سخرياً وعبرة للناس، انظر لهوانك في أعينهم وتخلى أقبائك عنك وأخلائك، وها أنت تقدم على سلطان نجد الذي سينتقم منك شر انتقام ويودعك في غياهب السجون ويستعبد أبنائك، أكرم نفسك بإتلافها ومت بطلاً قبل أن تمكن عدوك من نفسك ويستشفي منك.

أخذ الشيطان يوسوس له حتى اقترب من خيمة السلطان، فلما أذن له بالدخول ذهب عنه الشيطان وانمحت وسوسته عندما رأى ابتسامة على محيا عبد العزيز يتبعها بالترحيب والتكريم.

- اعلم بأنك ستكون معزراً مكرماً ولن ينقص من مستوى عيشكم شيئاً، إلا أنك ستقيم أنت وأسرتك عندنا في الرياض، ولن ترى مني أي نقض لما قلته لك، بل سترى ما يسرك ويجبر خاطرک.

- أصلح الله أمرك يا عبد العزيز والله لقد مكنك الله منا وكنا ألد أعدائك وأشدنا حرصاً على زوالك، فلما أمكنك الله من رقابنا لم نجد منك غلظة

أو نكالاً أو استهزاء، بل وجدنا ما يجد الصديق عند صديقه، وقد علمت أن الله نصرك على أعدائك بما علمه من نقاء سريرتك وطويتك، فسيرتك تفضي عن سريرتك ولن يخفى هذا الأمر إلا عن جاهل أو حاسد، فشكراً على حسن تعاملك معنا.

ثم بعد أيام سار عبد العزيز عائداً إلى الرياض ويتبعه محمد بن طلال وأسرته، وقد ولى على حائل إبراهيم السبهان، ولما اقترب الركب من الرياض تأخر محمد وقد كان في نفسه حزناً عميقاً، فنزل هو وأهله على بستان يستظلون بظلال شجره ونخيله، فخرج لهم صاحب البستان وكان شيخاً مسنناً يتكئ على عصي فرحب بهم ثم سأل محمداً:

- من أنتم يا قوم فوجهكم وجوه الوجهاء الكرام؟
- نحن من كنا وصرنا... نحن من حكّمنا وحكّمنا... نحن من سحب الملك سلطاننا بدعوة مظلوم ظلمنا فأصابتنا دعوته في جنح ظلام الليل.
- والله إنك لابن رشيد أنت محمد أليس كذلك؟
- هزّ محمد رأسه بالإيجاب...
- سبحان الله... سبحان مالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير.
- كف يا شيخ فالغم والههم الذي أحمله لا تطيق الجبال حمله..
- أتريد أن أخبرك من كان نازل في منزلك هذا ويخف همك عنك.
- أخبرني ولا أعتقد أنه سيخفف همي وغمي.
- سبحان الله لقد نزل في موضعك منذ ثلاثة عقود ونيف الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وأسرته عندما جلاهم عمك محمد بن عبد الله عن الرياض، فسبحان مقلب الأمور والأقدار يا بني لقد عشت عمراً طويلاً ورأيت واعتبرت ولكن...!
- مثل هذا الأمر لم أر أو أسمع، لقد نصر الله عبد العزيز عندما نشر العدل

بين الناس وقام بواجباتهم، فقد كنت حين عهدكم لا آمن نفسي وأهل ومالي، ولما أظننا عهده أمنا وأمنت البلاد وكأن القدر ابتسم لنا بعد عبوس أزماناً طويلة، والآن هل تريد ضيافتك في بيتي أم أجلبها لكم.

- بل اجلبها لنا أيها الشيخ الكريم بارك الله فيك.

فذبح الشيخ لهم عشرة خراف وأمر بإعدادها وحملها لهم وسقاهاهم الماء واللبن فلما فرغوا من ضيافته رحب إلى الرياض وقد أعد لهم عبد العزيز عدة قصور ليسكنوها وأجرى لهم مرتباً شهرياً، وكان محمد يدخل عليه في أي وقت شاء.





القدس

أخذ ابن عائص بتجهيز المقاتلين وبث جواسيسه ليرى مدى قوة رجال سلطان نجد المتمركزين في أبها، استعداداً للوثوب عليهم وطردهم والتمكن من حكم عسير، وكانت الأموال تأتيه من الشريف حسين وكذلك السلاح.

* * *

وطئت قدما العقيد بيرسي كوكس بلاط القدس، وقد علت وجهه ابتسامة عريضة وأخذ يستنشق الهواء بشهية ورفيقه يتطلع إليه باستغراب!

- إن الذي يراك ليقول أنك لم تستنشق الهواء منذ فترة طويلة أو كأنك خارج من سجن!

ضحك كوكس وعلا ضحكه وهو يتطلع في رفيقه الذي علت علامات الاستغراب من تصرفه!

فعندما هدأ ضحكه وأخرج سيجارة كوبية من جيبه وأشعلها، وتطلع إلى حاخامات اليهود المتوجهين إلى الحائط الغربي للقدس^(١).

- إن هؤلاء الحاخامات لا يقدرّون على دخول القدس يا توماس.

- لماذا يا كوكس وما الذي يمنعهم؟

- لقد بُنيَ معبد سليمان قبل الميلاد ب(٥٠٠) سنة، وكان اليهود لا يدخلون للقدس قبل أن يتطهروا في المعبد نظراً لقداسة القدس حسب

(١) حائط البراق.

معتقداتهم، ومنذ أن دمر الرومان المعبد في السنوات الأولى للميلاد لم يقم إلى الآن، وهم يؤدون صلواتهم عند الحائط الغربي إلى أن يبني المعبد من جديد.

- ومتى سيبنى؟

تطلع إليه كوكس ملياً ثم أخذ ينفث الدخان.

- متى ما سنحت الفرصة استتبت الأمور يا توماس.

- وهل هناك مشكلة الآن في بنائه بعد أن سقطت الدولة العثمانية وتفرق العرب؟

- نعم سقطت الدولة وقطع كيائها إلى دويلات ولكن لم تسقط قدسية الأماكن من قلوب المسلمين.

- عقيد كوكس أوضح ما علاقة بناء المعبد بالمسلمين؟

ملاً كوكس رثته وهو ينظر إلى عيني توماس المستغربتين ثم نفثه.

- إن بناء المعبد لا يكون إلا بهدم المسجد الأقصى والبناء عليه.

تصعب عرق توماس واتسعت عيناه.

- إن هذا سيؤجج علينا المسلمين كافة ويهدم ما قد بيناه منذ عقود، بل ستستغل القوى المنافسة لنا هذا الأمر ضدنا ولن نصمد أمامهم.

- أعلم هذا يا توماس ولهذا قدمت مشروعاً للدولة في كيفية تقسيم الحدود بين العرب، وخلقت توازناً في القوى بين الطوائف والأعراق كذلك، ووضعت مناطق محايدة بين دولهم حتى تأجج الصراع بينهم.

■ **نظر توماس إلى عيني كوكس الماكرتين:**

- إنك تطبق تعليمات الدولة وعلومها بدقة متناهية، وتستخدم مصطلح أرسطو الشهير «فرّق تسد» الذي جعلته الإمبراطورية شعاراً لسياستها.

■ **ابتسم كوكس بخيلاء:**

- لقد أفادتنا حركة الكشوف كثيراً، فتعلمنا ما كنا نجهله عن العرب ونزعاتهم الطائفية والعرقية وكذلك تاريخهم، وها نحن ندرس أبناءهم تاريخ أجدادهم ودينهم كذلك.

■ قهقهه كوكس بينما ابتسم توماس:

- أرى أنك أرشيت بين حاكم الكويت وسلطان نجد.
- لا لم أرش بينهما يا توماس ولكن سوء فهم حدث بين الاثنين، فحاكم الكويت يرى نفوذ دولته على ما كان عليه والده والاتفاقية الأنجلو-عثمانية^(١) التي مضى عليها تسعة سنوات وقد سقطت بسقوط الطرف الآخر ومحوه من الخارطة، وسلطان نجد يرى أن حدوده تقف عند موالاة أتباعه له.

- ومتى سيقرون الحدود بينهما؟
- إنهما الآن شبه متفقان بعد أن تدخل حاكم الأحواز الشيخ خزعل الذي أرسل ابنه كاسب للكويت، ومن ثم للرياض لترسيم الحدود بينهما.
- لكن أئن تتدخل في تقسيم الحدود بينهما وماذا عن خطتك؟
- تحت الدراسة الآن وسيوافقون عليها يا توماس.
- ستدخل التاريخ بفعلتك هذه وتضع بصمتك واضحة للعالم.
- ربما سأعرف ولكن على نطاق أهل المعرفة... أما أنت يا توماس لورنس فلن تنساك العرب وقد اشتهرت عندهم بلورنس العرب محررهم من الترك.

ضحك لورنس ثم قطع ضحكته فجأة وقال مستذكراً...
- لقد أنسيتني سؤالي الأول لك وأدخلتني في محادثة متفرّعه... أخبرني ما الذي جعلك منشرج الصدر وأنت تستنشق الهواء بلهفة؟

■ ابتسم كوكس :

- كأنك لا تعلم ما اسمي واسم أبي يا لورنس العرب؟
- بلى أعرف وما في هذا؟
- قل ما اسمي؟
- اسمك بيرسي زخريا كوكس!
- لورنس إنني أستنشق في هذه الأرض إرث وتاريخ أجدادي اليهود الذين شردوا منها منذ الميلاد وها هي دولتهم تعود مرة أخرى وبقوة نكراء.

* * *

استمر الشريف حسين في مراسلة الإدارة الإنجليزية، مطالباً بتدخلها واسترجاع أراضي الشمال التي بسط سلطان نجد هيمنته عليها وأنها تعتبر من ضمن حدود الحجاز، وكذلك بأن يسحب قواته المرابطة على أعتاب العقبة، فوعده الإنجليز خيراً وأنهم سيتدخلون ويرون رأيهم، كان الإنجليز يحرصون على تقليص نفوذ كلا الطرفين ويحاولون خلق توازن في المنطقة حتى تكون لهم السيطرة على الوضع، وقد بدأ توسع وقوة عبد العزيز تقلقهم.

* * *

أحمد الجابر

مخرت سفينة شراعية عباب البحر متعة إلى البحرين وعلينا ولي عدد
الوفد الشيخ أحمد الجابر وكاسب ابن الشيخ خزعل، وقد حملت بالهدايا
الثمينة المهداة إلى سلطان نجد.

وصل الوفد إلى البحرين واستقبلهم الشيخ عيسى بن علي الخليفة، فلما
انتهى من واجبه أمر بإيصالهم إلى ميناء العقير، حيث استقبلهم أمير الإحساء
فهد بن جلوي فرحب بهم غاية الترحيب. ولما فرغ من إكرامهم، هياً لهم قافلة
تأخذهم إلى السلطان حيث كان مخيماً في الخفس شمال الرياض وقد لبدت
السماء بالغيوم، وبدأ شهر شباط/ فبراير يحتضر معلناً دخول فصل الربيع.

اقترب الوفد من مخيم عبد العزيز الذي خرج لاستقبالهم ورحب بهم
وبالأخص ربح بشدة بصديقه الذي لم يره منذ سنوات أحمد الجابر الذي بادله
التحية بحرارة، وقد أعد الخدم مخيمات للضيوف.

وبعد يومين عقد الاجتماع للتباحث حول الحدود وحل مشكلة، فاستمر
النقاش بأريحية بين الطرفين حتى توصلوا إلى حل، وبينما هم كذلك أتى
شخص وهمس بأذن عبد العزيز وقد لاح الكدر والحزن عليه.

- إنا لله وإنا إليه لراجعون.

صمت الناس برهة وقد أحس الجميع بأن أمراً مكروماً قد وقع، فقام
واترب من الشيخ أحمد الذي قام بدوره فمد يده له وصافحه.

- عظم الله أجرك في عمه سالم وأتم ل الأمر بخير.

قام الناس يعزون الشيخ بفقيدته وكذ
 عاون من معه من ه
 ولما حل الصباح وأراد الشيخ الرحيل لتولي مقاليد الحكم في البلاد.
 ■ قال له عبد العزيز:

أما بعد أن تقلدت حكم الكويت وصار الأمر إليك فانس ما كان بيننا
 من مباحثات في الأمس، ويس بيني وبينك حدود، فإن حدودي إلى
 سور حدودك إل سور الراض.
 ثم تعانقا وعادا إلى الكويت.



فيصل بن عبد العزيز

استولى حسن ابن عائض على إقليم عسر طر والي عبد العزيز عنها، وما وصل الخبر إليه أرسل ابنه فيصل ابن الثامنة عشر ربيعاً على رأس (٦) آلاف مقاتل، فسار يطوي الفيافي والقفار.

فعلم حسن بدنو الجيش منه فأرسل أخاه محمداً لمناجرتهم، فسار حتى تمركز في خميس مشيط وأرسل سرية نحو بيشة ليتركزوا فيها، بيد أن عينا فيصل لم تغب عنه فقد أتته الأعين تخبره بمكان الخصم وتحرك تلك السرية نحو بيشة، فأرسل كتيبة في أثرها استطاعت أن تهزمها وتؤمن البلد، بينما تراجع محمد وجيشه عن ملاقاته فيصل إلى حجلا، ومن ثم إلى أبها ثم غادرها إلى جبل حرملة حيث حصون آل عائض، بعد أن فرق رجاله في الرى والمان. خل فيصل أبها بعد أن فتح له أهلها باب السور فعزز الحماية ف ونشر القوات حولها.

تكالبت الغيوم على جبال عسير في تلك الليلة التي انهزم فيها المطر واشتد البرد، وفي أعالي جبل حرملة قبع حصن منيع حيث آل عائض، كان محمد قد دخل القصر واجتمع مع حسن حول موقد للنار يصطليان بدفنها وما في لبيهما أحر من تد النار على فد إمارتهم.

- مَ حلت الجيش وفرت الرجال ولم تقاتل؟ أصاب الجبن؟
- لا والله يا أخي لم يصبني الجبن ولكنها الحيلة والمكدة.

- وكيف هذا! وما هي إلا أن تشرق الشمس ويشرق معها جيش سلطان نجد وقد حاصرنا في قصرنا؟
- لقد حللت الجيش لما رأيت أنه لا طاقة لنا بجيش سلطان جند، فقد أمرت سرية كاملة أن تنضم مع جيشه.
- استغرب حسن أشد الاستغراب وقبل أن يبادر بالسؤال أتاه الجواب:
- لا تعجل فسوف أجيبك لقد فعلت ذلك حتى يتسلل الرجال داخل جيشهم ويفتكوا بقائده ويُرَبِّكوا صفوفهم.
- ابتسم حسن وأعجب بتصرف أخيه وربت على كتفه مستحسناً تصرفه.

* * *

اجتمع شيوخ أبها وأهلها يضافحون الأمير فيصل، وبينما هو كذلك أتاه أحد خاصته يخبره بأن رجالاً مسلحين من قرى عسير يريدون الانضمام إلى الجيش، وأنهم يؤيدونه ويتمنون أن يستأصلوا آل عائض الظلمة.

- وكم عددهم؟

- يربون عن المائة.

■ فأطرق بنظره وأخذ يفكر بالأمر ثم قال:

شدد عليهم الحراسة دون أن يلحظوا ذلك، وأدخلهم إليّ واحداً تلو الآخر، وانزع سلاح من يدخل إليّ وأخبره بأنه سيستلمه من الباب الآخر بعد أن يقدم الطاعة للأمير، فلا ترجعها لهم حتى أرى رأيي فيهم، وأظن أنهم سيهربون.

استغرب الرجل من قوله ولم يفهم ما يرمي إليه، فنفذ ما أمر به فأدخلهم عليه واحداً تلو الآخر، حتى خرجوا ولم ترد إليهم أسلحتهم فعرفوا أن أمرهم قد كشف وهربوا متفرقين في الأودية.

* * *

حنق محمد لما علم بأن خطته قد أحبطت وكشفت، فأخبر حسن أنه عازم على الخروج وطلب العون من الشريف حسين فليصمد حتى تأتيه النجدة، فلما ابتعد عن الحصن هو ومن معه رأى الرجال من بعيد يحاصرون الحصن ويحاولون التسلل إليه سمع دوي إطلاق النار بين الطرفين، فأكمل مسيره نحو حليفهم.

* * *

اشتد الحصار على الحصن وتساقطت الأجساد وتحترت الأرواح، فرأى حسن تناقص حامية الحصن وركونهم إلى الاستسلام فقرر الفرار بأهله، وتسلل من مكان خفي ولاذ بالهرب، فلما علم رجاله بهروبه سلموا الحصن الذي دك من ساعته وكذلك الحصون الأخرى، واستمر البحث عن آل عائض وأجريت لذلك المكافأة.

بعد عدة أيام عاد الأمير فيصل إلى الرياض، بعد أن ترك سعد بن عفيصان والياً على أبها بسنده خمس مائة رجل لاستتباب الأمن.

لم تغب عن مدارك عبد العزيز تلك الأحداث، وقد علم أن الشريف حسين سار بكتيبة نحو أبها ويصحبه محمد آل عائض، فأرسل من فوره سرية من الإخوان تناوش أهل الطائف، ولما علم الشريف حسين بأن الإخوان هجموا على الطائف عاد راجعاً لمكة، ليدير الأمور وترك محمداً لوحده بعد أن اختلف معه.

عاد حسن آل عائض وحشد الرجال عندما سمع باقتراب الشريف لمناصرته، فهجم على القوات المتمركز في أبها ودارت المعركة وقتل أميرها، وكاد حسن أن ينتصر لولا وصول قوة من نجد عليها عبد العزيز بن إبراهيم الذي ناجز ابن عائض حتى دحر جموعه.

كان حسن يستعد للوثوب مرة أخرى، وبينما هو ينظم الرجال أته الأخبار بأن الشريف قد خذله ولن يسانده فتقهقر عن القتال، وأتاه عبد العزيز بن إبراهيم يعرض عليه الصلح فقبل ذلك، وجهز إلى الرياض هو وأسرته.

الحجاز ١٩٢٢م

لم يهدأ بركان الغيرة والحسد في قلب الشريف حسين، الذي أغرى باديته وسلحهم وأمرهم بالهجوم على البادية التي على حدود مملكته ممن يوالي سلطان نجد، فاستمرت غاراتهم والعبث ونشر الفوضى، مما دعا عبد العزيز لأن يشكو فعل الشريف إلى المندوب البريطاني في المنطقة العقيد نوكس، وأيضاً بأن يسمح لأهل نجد بالحج الذين منعوا عنه منذ ست سنوات. امتثل المندوب البريطاني لشكوى السلطان وأوعز للشريف بأن يكف باديته وأن يسمح للنجديين بالحج، بيد أن جوابه له لم يكن واضحاً.

فعقد مؤتمر الكويت لترسيم الحدود بين كل من سلطنة نجد ومملكة الحجاز ومملكة العراق ومملكة الأردن، وذلك بعد أن رسمت الحدود بين الكويت وسلطنة نجد، فقد تولى العقيد بيرسي كوكس بصفته القائم بأمر الكويت من جهة الحكومة البريطانية ترسيم حدودها مع مندوب سلطان نجد، فدعي ممثلو تلك الدول للمؤتمر وقد اشترط عبد العزيز عدم تدخل أي دولة في شؤون الأخرى، فلما عقد الاجتماع ظهر ملباً تكاتف أبناء الحسين في مجريات المؤتمر، فقد تدخل ممثل مملكة الأردن في شأن مملكة الحجاز وطالب برفع سلطنة نجد يدها عن الخرمة وتربة لتنضم للحجاز، وكذلك التنازل عن مقاطعة الجوف وسكاكا لتنضم للأردن، وسوف ترسم الحدود على هذا النحو، فلم يدم المؤتمر طويلاً فانحل على غير وفاق.

كان عبد العزيز يرقب المؤتمر وهو مقيم في الإحساء، فعلم بالأحداث ومجريات الأمور وعاد قافلاً إلى الرياض.

اجتمع علماء وشيوخ نجد عند الإمام عبد الرحمن في قصره يشكون له ضجرهم وتعنت شريف الحجاز في منعهم من أداء فريضة الحج، وأن هذا مناف لأي حاكم مسلم يلي أمر البلاد المقدسة ويمنع أداة الفريضة فيها، ولا يستطيع أي كائن ما كان أن يمنع فريضة من فرائض الإسلام، ولا بد من مناجزته هو ومن يقف معه.

■ فأخبرهم: بأنه الآن قد عقد مؤتمر في الكويت لرسم الحدود والفصل فيها وفي هذه المشكلة بالتحديد، واعتمد أنه أن أوان عودة عبد العزيز، وأسأل الله أن يولي أمور حرمه لخيار خلقه.

عندما استراح عبد العزيز من عناء السفر، تناهى إلى مسامع الجميع نتائج المؤتمر وإصرار الشريف على منع النجديين من الحج، ومن يقبض عليه حاجاً منهم سجنه ونكل به، واجتمعوا في قصر الحكم والإمام جالس بينهم وهم ينكرون ويتجادلون في الأمر ويسألونه عن رأيه؟

- لقد بذلت ما في وسعي وحاولت أن أحل الأمر لكن الشريف حسين متمت في أمره.

■ أحد الحضور: إنه لا ينبغي لولي الأمر تعطيل ركن من أركان الإسلام، ومن فعل ذلك فعلى المسلمين خلعه وعدم طاعته وإننا سائرون إليه لمناجزته.

صمت عبد العزيز ولم يعارضهم، ففهم الشريف خالد بن لؤي سبب صمته ولم يناقشه، فاستأذن بالعودة إلى دياره، فأذن له، ولما ابتعد عن الرياض ومعه بعض رؤوس الإخوان فيهم سلطان بن بجاد بن حميد أشار لهم بالتوقف وهم على رحالهم فقال بعد أن ذكر الله وصلى على نبيه المختار:

- لم يدخر الإمام جهده لحل هذه المسألة دون سفك دماء المسلمين ودخول الأراضي المقدسة عنوة، لقد أمن الشريف حسين في مكة من ناحيتين هي أن مكة لا يستطيع أحد دخولها عنوة وإلا هاج ذلك جمهور المسلمين كافة، وكذلك حماية الصليبيين له بأدوات قتالهم الحديثة...

يا قوم...

لقد عطل ركن من أركان الإسلام من رجل يدعي الإسلام ولا يعمل بمقتضاه، وقد صبرنا على ذلك ست سنين، نمثل لأمر إمامنا أيده الله (ﷺ)، أما الآن...

فوالله إن الجنة قد شرعت أبوابها وطابت ثمارها فإما النصر في الدنيا على من لا يستحق حكم الديار المقدسة وإما النصر والفوز بالآخرة.

رحب الرجال برأيه وتنادوا معه إلا سلطان الدين..

- لكن لم يأمرنا الإمام بذلك فكيف نجاهد بدون إذن؟

■ خالد وهو يتسم:

- صمته إشارة لنا بأننا في سعة من أمرنا، لأنه لا يريد زج بلاده بصراعات سياسية هو أعلم بها منا، وهذا تصرف ينم عن مدى وعيه وحكمته، وسوف نرسل الرسل لحشد الأولوية والتجمع في الخرمة ثم نسير إلى الطائف فنستولي عليها ومن ثم إلى مكة.

■ سلطان الدين وهو ينظر إلى النجوم التي بدأت تتلألأ...

- سر على بركة الله فوالله سوف نجعلها عليه وبالاً وسنريه نجوم النهار كما أرى هذه النجوم، فقد كانت قبيلة عتيبة جيشه الخاصة من دون الناس وأحبابه، فاليوم نحن من ينقض ملكه ونكون ألد أعدائه.

* * *

بعد بضعة أيام أخذت جموع الإخوان في التجمع كل أصحاب قرية لهم لواء، فاجتمع لدى الشريف خالد في الخرمة أربعة عشر لواء فيها أهل الغمط

وعليهم سلطان الدين القائد العام، وفيها كذلك أهل الأرتاوية وعليهم قعدان بن درويش العبدلي، كان عدد الجيش يربو عن الخمسة آلاف مقاتل لا يحملون معهم سوى البنادق والسيوف، وقد خالطهم الكثير من الأعراب ممن أراد السلب والنهب ولم يدر في خلداهم نية قادته من تيسير الحج للناس وقلع أطناب العبت عن الديار المقدسة.

* * *

أبرق الشريف حسين إلى القنصلية البريطانية في جدة، يخبرهم بأن جيش الإخوان على مشارف الطائف وأنه يريد دعمهم إن حدث قتال.

فكان رد القنصلية بأن لديه ما يكفي من السلاح والعتاد لدحر هؤلاء الأعراب، فليصمد ويضربهم ضربة قاسية، وأنهم سيبعثون له طائرة محملة بالذهب ليوزعها على الجند المرابطين بالطائف لتقوى بها قلوبهم ويستمروا في القتال إن حدث ذلك.

كان الشريف علي بن الحسين جالساً بجوار أبيه يقرأ عليه رد الإنجليز فلما انتهى التفت إليه والده:

- اذهب على الفور إلى الطائف ومعك ألف فارس، وكن داخل الأسوار ولا تخرج للقتال، فسيكفيك القائد صبري باشا العزاوي ذلك فقد تجهز بسبعة آلاف مقاتل تسندهم المدافع وكذلك الأعراب فوق الجبال.

- لكن ألا يجب أن أبقى في مكة لحمايتها من هجماتهم؟

■ الشريف بغضب:

- ويحك! كيف تجرؤ أن تفكر أن أقدامهم ستطأ أرض مكة.

- الاحتياااا...

- اصمت ونفذ ما قلته لك، فلسوف تأكلهم نيران مدافعنا وتحصداهم، ثم تلحق فلولاهم وتستولي على أراضيهم، هيا نفذ على عجل.

غادر علي والده بعد أن قبل يده، فحشد الفرسان النظاميين وسار نحو الطائف.

* * *

أخذ صبري باشا ينظم الجيش ويقدم المدافع وينصب بعضها على رؤوس الجبال ويضع القناصة ثم أخذ يخاطب قادة الجيش:

- إن ما تواجهونه اليوم ليسوا جنوداً يحملون عتاداً حريباً كالذي معكم ولا هم أكثر من جمعكم، بل إن ما تواجهونهم أوباش غير منظمين لا هم على هدى، يعتقدون أن الطائف لقمة سائغة، فاضربوهم ضربة قاصمة تجعلهم يتخبطون ويولون الأدبار، فعندها سنلحق بهم ونستبيحهم ونستولي على أراضيهم، فنحن جند الشريف حسين المنصور قائد الثورة العربية وخليفة المسلمين، وغداً سينزل الشريف علي بن الحسين في الطائف ويرى فعلك، فأحسنوا البلاء وأنبتوا له أنكم قادة أكفاء لما ولاكم عليه، واسترجعوا أراضي الحجاز من سلطان الوهابيين، وإن رأينا فرصة سانحة للهجوم على الرياض فلن نتردد عن ذلك وسوف نسقط سلطانهم.

أخذ القادة يؤيدون قول قائدهم ويهتفون باسم الحسين، بينما أقبل الشريف علي ليلاً ونزل في الطائف، وقد أمن أهل الطائف بنزوله بعد أن أصابهم الرعب من اقتراب الإخوان.

* * *

في مكان غير بعيد عن معسكر القائد صبري باشا فوق إحدى الهضاب، وقف الشريف خالد وبقربه سلطان الدين وبعض الفرسان، فأتاه بعد برهة رجلان يخبرانه بأماكن المدافع وتمركز الجند فقد كانا ممن اندس في جيش الشريف، فلما علم خالد بأماكن قواتهم وضع خطته وقرر أن يباغتهم في هذه الليلة ويتحاشى المدافع، فأمر سلطان الدين بأن يأخذ ثلث الجيش ويدهم

العدو من الخلف، بينما هو يشغلهم من الأمام، وكذلك يرسل بعض الفرسان فيمن لهم دراية بالأماكن فيستولوا على المدافع التي على الجبال.

فرجعوا إلى جيشهم وأخذ خالد يخطبهم قائلاً:

والله يا قوم...

لم نأت اليوم إلى هذا المكان لطلب دنيا نصيبها، وإنما أتينا لنفرج عن المسلمين كربة كربهم بها ابن عمي كما تعلمون، وقد وجب لنا قتاله وطرده عن مكة بعد أن أدخل فيها الصليبيين، واستهان في حرمتها ولم يردع البدع التي ظهرت فيها ولم ينه عنها، بل إنه طمع في متاع الدنيا وسمح لليهود بالتملك في القدس من أجل أن ينصب الإنجليز ابنه فيصل ملكاً على الشام، فلم يدم ملكه فيها طويلاً، يا إخواني في الله هلموا إلى الجنان...

فأخذ الناس بالبكاء ومنهم من يتباكى، ثم ركبوا خيلهم ورواحلهم وهجموا بينما سلطان الدين قد سلك مسلكاً آخر ليفاجئ العدو، وقد سبقهم بعض الفرسان واستولوا على المدافع التي على الجبال.

* * *

خرج صبري باشا من خيمته مهلوعاً وهو يفرك عينيه وأذناه تسمع نفير البوق، قد خيم الظلام على المعسكر ولم تفلح المشاعل بإضاءة المكان، ثم سمع وشعر بدبك الخيل وصيحات تملأ الأفق...

- الجنة الجنة يا من يطلبها...

كانت هذه الأحداث تجري بسرعة، فهرع يأمر ضابط الإشارة بأن يرسل إشارة للمدافع التي على الجبال بقصف مصدر الصوت، فنفذ ذلك بينما كان القادة يصفون جنودهم ويطلقون النار على جهة الصوت التي لاح خيال الخيل منها، وأطلقت المدافع نيرانها.

اخترقت النيران صدور الإخوان ومزقت المدافع أجسادهم، بيد أن ذلك لم يردعهم ولم يثنيهم بل زادهم إقداماً وهم يشمون رائحة الجنة التي ثمنها

دمائهم، ولولا ذلك لفروا من أول لقاء، ودفعهم تشددهم الديني كالأموج الكاسرة نحو عدوهم فاجتاحوا المعسكر.

اقترب صبري باشا مغضباً وهو قابض على مسدسه من ضابط الإشارة المرتبك وقد أحس الأول بخيائته.

- لِمَ تأخرت في إرسال الإشارة لجند المدافع في الجبل؟
- أقسم لك أنني أرسلت الإشارة ولكن لم أتلقَ إجابة على إشارتي!
- لا بد أن الجبناء فروا من أمكنتهم.

فأخذ يبحث الجند على الصمود وقد اختلط الحابل بالنابل. وما زادهم رعباً وتشربكاً تمكن سلطان الدين من مباغته الجيش من الخلف، فتمكن الإخوان من الفتك بهم ففر الجند برؤوسهم في كل جهة وأغلبهم توجه نحو مدينة الطائف، فأخذت السيوف تمسح الرؤوس والسواعد والطلقات النارية تخترق الأجساد، وقد لاذ صبري باشا وقادته بالفرار.

فلم تطلع عين الشمس إلا وقد تحوّل ميدان القتال إلى بحيرة دماء، والجوارح تنهش رقاب القتلى ومعاصمهم، فأمر خالد الإخوان بمواصلة السير نحو الطائف ومحاصرتها، وقد قتل الكثير منهم ولكن جمعهم قد زاد فجأة، فقد رأى أهل القرى والبوادي الذين حولهم تمكنهم من هزيمة جيش الشريف فعلموا أنهم سيتمكنون من دخول الطائف، فانضموا لهم طلباً للغنائم.



الطائف

أخذ الجنود بالتدافع نحو الطائف والرعبُ يملأ قلوبهم ويبدو على وجوههم، فأحدثوا جلبة في المدينة مما انعكس ذلك على أنفس أهلها فانتقلت عدوى الخوف والرعب لهم وعمّت الفوضى البلد.

دخل صبري باشا الطائف وهو على حصانه فأخذ يأمر الجنود بالاستعداد للقتال وتحصين المدينة ووضع المدافع قبل أبوابها وأن يطلقوا النار عند اقتحام العدو لها، ثم اتجه نحو القصر حيث الشريف علي، فلما دخل وجده في صالة الاجتماع يفرك يده وآثار الارتباك بادية على كيانه.

- أخبرني.. أخبرني.. أن ما سمعته غير صحيح يا صبري؟

■ بدأت المرارة على وجهه وهو يجيبه:

- للأسف إنها الحقيقة... و..

الشريف علي مقاطعاً بغضب وحنق.

- كيف هزتمم بهذه السهولة وأنتم أكثر عدداً وعدة؟

- لا أعرف!

- لا تعرف! من الذي يعرف إذن أخبرني؟

- لقد استعدنا لقتالهم أتم الاستعداد، حتى أن تبييتهم لنا لم يفاجئنا تماماً يا سيدي، لقد أمطروهم الجند بالنار والحديد ولكن ذلك لم يمنع تدفقهم علينا، ولقد خذلنا جند المدافع الذين على رؤوس الجبال لأسباب لا

أعرفها بعد، مما جعلنا عرضة لهجومهم من خلف أظهرنا أيضاً، فلحقت بنا الهزيمة.

- وما العمل الآن؟

- سوف نصدّهم عن المدينة ونمنعهم حتى يكلّوا ويملّوا.

- أتريدهم أن يحصرونا خلف هذه الأسوار فنصبح كالمساجين.

- إذاً ما الذي تأمرنا فيه؟

- نرحل ببعض جنودنا إلى حصن الهدا، ونبقي القادة والجنود لحماية المدينة بينما نحن نديرها من بعيد ونطلب المدد.

- كما تأمر ولكن متى نرحل؟

- الساعة بينما أنت ترتب أمور الجنود ثم تقدم علينا.

خرج الشريف علي بجنده بينما رتب صبري باشا الجنود، وأمر القادة بالصمود والحفاظ على المدينة حتى يأتيهم المدد، ثم لحق بالشريف علي الذي تحصن في الهدا. أثار هذا التصرف خوف قادة الجنود وشعروا بأن الشريف قد خذلهم وتركهم عرضة للقتل، مما دعاهم إلى أن يأمرؤا الجنود بأن يأخذوا أمكنتهم لحين عودتهم ففروا وتركوا الجيش في تخبط وانفلات، فبعد ساعات وجد أهل الطائف أنفسهم بلا جيش يحرسهم وقد فر الجنود بعد أن نزعوا زيههم ورموه أرضاً، فاضطرهم ذلك لأن يشرعوا أبواب المدينة ويسلموها للإخوان حتى يتجنبوا القتال.

سار الإخوان نحو الطائف يقدمهم الشريف خالد، فرأى أبوابها تشرع فتعالت الصيحات عن يمينه وشماله، فهجموا عليها كالبرق بينما أخذ خالد يصيح بهم بالتوقف، لكن ذهب صوته أدرج الفوضى. كان أكثر المهاجمين ممن أراد السلب النهب والقتل، وقد خالط ذلك جيش الإخوان فساد الهرج

والمرج وقتل الصغار الكبار من ذكر وأنثى ونهبت الدور والمتاجر وحدثت مجزرة فظيعة رهيبة تقشعر منها الأبدان.

فقد قادة الإخوان سيطرتهم على الوضع، فقد وجدوا أنفسهم أمام جشع النفوس الذي تذرثت بغطاء الجهل والغفلة، فلم يسكن البلد حتى حجبته جناح الليل فتعالى العويل والنواح وساد الظلام.

* * *

في تلك الليلة أرسل الشريف حسين برقية إلى القنصلية الإنجليزية يطلب منهم إرسال طائرة تحمل صرراً من الليرات الذهبية إلى الطائف، فلبى الإنجليز طلبه وأرسلوا طائرة في الصباح الباكر فلما حلقت في السماء قال القائد لمساعدته وهو يلتفت إلى صرر الذهب.

- إنها لأموال طائرة تكفيننا نحن وأحفاد أحفادنا.

■ ابتسم المساعد بدوره:

- نعم يا سيدي وربما أضعناها في سهرة واحدة.

■ القائد مبتسماً:

- هب لو أننا حططنا بالطائرة وفجرناها بعد أن نخبئ الذهب ونتهم العرب بذلك ثم نعود بعد مدة ونأخذه ونتقاسمه.

■ قهقهه المساعد بشدة:

- ماذا لو عدنا ولم نجده فالعرب ينبشون كل شيء، وقد خسرنا الطائرة والذهب.

فأخذوا يضحكان حتى حلقا فوق الطائف ورأوا خيام الجند فبدأت الطائرة

بالهبوط.

■ فقال القائد وهو يتطلع إلى صرر الذهب:

- إنه لمن المؤسف فراقك.

فجأة! بينما الطائرة تكاد تلامس الأرض، انتبه المساعد لوجوه الجند وخاصة زيهم.

- ما بال هؤلاء الجند لا يرتدون زيهم!

تدارك القائد الموقف بينما لم يتداركه مساعده الذي قيده المفاجأة!

- لأنهم يا عزيزي ليسوا جند الشريف.

قال كلماته وهو يزيد اندفاع محرك الطائرة ليحلق بها عالياً، وبينما هما كذلك اخترق جسم الطائرة وابل من الرصاص، فلم تكذ ترتفع حتى خرجت منها الأدخنة وهوت ودوى صوت تحطمها، فتسابق القوم إليها وقتلوا قائديها واستولوا على الذهب.

حاول الشريف علي استعادة الطائف ودحر قوات الإخوان، لكن الرعب قد نزل وأقام في بلاده بعد أن فشت الهوائل التي عملت بالطائف، فزلزل أهل الحجاز وتركوا الدور والقصور والتجؤوا إلى الثغور في أعالي الجبال فسقطت أيادي الناهبين على دورهم.

لم يجد الشريف علي أمام هذه الأحداث بدءاً من مغادرة حصن الهدا بعد أن رأى كثرة فرار جنده، فانسحب إلى مكة نزولاً من الجبال، بينما تمكن الإخوان من السيطرة على قرى الطائف حتى تجتمع قواتهم ليدخلوا مكة المكرمة.

كان رفض القيادة الإنجليزية مد الشريف حسين بالرجال والعتاد لاسترجاع الطائف قاسياً عليه، وقد تعللوا بأنهم ينتظرون رد القيادة المركزية من دولتهم. بهذا الأمر فأسقط في يديه ولكن ما راعه أكثر دخول ابنه علي عليه فقال له والدهشة تملأ معالم وجهه:

- ما الذي أقدمك في هذه الساعة الحرجة؟

- لقد تقدم جيش الإخوان نحونا فخشيت أن يحصرونا في حصن الهدا فنزلت بالجند من الجبل.
- كادت عينا الشريف حسين أن تقفزا من الغضب.
- ويحك لقد أهملت الطائف والآن تترك الهدا لهم وتسهل تقدمهم نحونا. فأخذ يصفق براحتيه ويردف قوله:
- وعملاؤنا ينتظرون أوامر قيادتهم...
- فدخل عليه أحد قاداته:
- سيدي لقد جمعت الناس للجهاد كما أمرتني، فلما خطبت فيهم وذكرتهم فضائل الجهاد وخاصة إن كان دفاعاً عن بيت الله، وأخبرتهم عن حال الوهابيين الخوارج ومدى ضعفهم...

■ قاطعه الشريف:

- هل انخرطوا في الجيش؟

■ القائد بارتباك..

- بل هربوا في كل جهة.

■ حنق الشريف وقال بصرامة:

- امنع الناس من مغادرة مكة وأي شخص يتحدث عما جرى بالطائف احبسه. فحصر الناس في مكة وساءت أحوالها مع الأيام وقد رعب أهلها مما جرى في الطائف، وزادهم رعباً عندما أذاع الشريف حسين بأن الإخوان خوارج، كان يريد حث الناس على جهادهم ولكن حدث نقيض ما أراد فزاد الناس رعباً من الخوارج الذين لا يردعهم دين ولا خلق، ففروا من مكة واتجهوا نحو جدّة، فاكتظت بهم الطرقات وأصابهم الجهد والبلاء، فخرج محسنو جدّة يتلقونهم بالماء والطعام.

أخذ الشريف يفكر في شيء يقضي على هؤلاء الوهابيين المرابطين منذ عدة أيام على أعتاب مكة، فخطرت له فكرة فقال لابنه علي:

- إن التاريخ يعيد نفسه يا بني!

لقد استولى سعود بن عبد العزيز منذ قرن ونيف على الطائف، وحدث كما حدث لها الآن مما اضطر سلفي غالباً لأن يجرحهم نحو جدة، فعجزوا بدورهم ثم رحلوا خائبين فوثب واستعاد مكة.

علي مستغرباً صلة الحديث بوضعهم:

- لكن الوهابيين قاتلوه حتى توقف القتال بينهم على شروط من ضمنها أن يبقى هو على سلطة مكة من قبلهم.

- صحيح ذلك يا علي فقد رأى جدك أن المصلحة تقتضي ذلك حتى يتمكن من الاستنجاد بأمير مصر محمد علي باشا الذي اقتلع دولتهم.

- ومن أين لنا الآن بمثل محمد علي باشا يا سيدي؟

ابتسم الشريف ابتسامة عريضة مما دعا ابنه للتساؤل:

- ما هي خطتك يا سيدي؟

الشريف بنظرة واثقة:

- سوف أجرهم إلى جدة للقتال مما يجبر ذلك تدخل الأوروبين المتمركزين فيها، فيسحقونهم سحقاً.

- ومتى سننفذ ذلك؟

- تذهب أنت أولاً إلى جدة وتنسق الوضع مع مستشارينا، وتتحسس وضع الإنجليز بينما أرتب الأمور هنا.

انصاع علي لأوامر أبيه فرحل متوجّهاً إلى جدة.

عكة المكرمة

اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد...

قال عبد العزيز هذه الكلمات عندما وصله خبر دخول الإخوان إلى الطائف وحدوث المجزرة، فتوجه من ساعته نحو قصر أبيه، وبينما هو سائر في طريقه وجد امرأتان مستتان فقيرتان تستظلان بفي سور أحد القصور فاتجه إليهن وأعطى كل واحدة عدة دراهم فقالت إحداهن:

- اللهم افتح له خزائن الأرض وزده من فضلك.

■ فابتسم وقال في نفسه:

- وهل ستلطف لنا الأرض ذهبها وتخرجه!

ثم سار حتى وصل إلى قصر والده فأخبر أنه في البستان مع بعض العلماء، فاتجه إليهم فوجدهم يستظلون تحت ظلال الشجر يتحدثون، فسلم عليهم فردوا عليه السلام ثم قبل يد أبيه ورأسه وقعد بقربه، فلما انتهى من حديثه للقوم التفت نحو عبد العزيز.

- ما هي آخر المستجدات؟

- نعم.. متعنا الله بك... لقد فتح الإخوان الطائف والقرى التي حولها...

ابتسم الجميع لدى سماعهم نبأ فتح الطائف، ولكن ما إن سمعوا عبد العزيز يذكر ما حدث فيها من مجزرة بان التأثير عليهم وكثر استغفارهم وترحمهم على أرواح القتلى.

■ فأكمل عبد العزيز كلامه :

- وقد أزمعت السير نحو مكة، لأحد من تمرد بعض الجنود، وأسدل ستار الأمن في البلاد، فأطلب موافقتك بالمسير؟
 - سر على بركة الله يا بني وتوفيق منه وسداد في الأمر.
- ثم قَبَّل يد أبيه وانصرف ليتجهز.

أمر عبد العزيز بالتعبئة العامة والسير نحو الحجاز، فتداعى الناس على الرياض من كل حدب وصوب ملبين دعوته، فبعد عدة أيام استعدت الجموع الغفيرة للسير نحو الحجاز، فاجتمع كبار الناس لوداعهم وفي مقدمتهم الإمام عبد الرحمن.

■ عبد العزيز وهو راكباً ناقته هاماً للسير :

إنني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع الظلم عنها ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع، كما أنني سأجتمع بوفود العالم الإسلامي لتباحث معهم حول الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن شهوات السياسة، ولحفظ وأمن راحة قاصديه.

فسارت الجموع قاصدة مهبط الوحي وبيت الله العتيق، والرسل تأتي إليه من جميع مدنه والبلاد المجاورة وهو يقرأ ويجيب ويرسل، ولكن ظل هم الحجاز يؤرقه... ويشغل باله أكثر صمت الأوروبيين المتواجدين في جدة، وخاصة الإنجليز.



احترق قلب الشريف حسين حين هاتفه مستشاروه في جدة وطلبوا منه النزول عن العرش لابنه علي، وأبدوا أسباب ذلك بأن الإنجليز لن يقدموا له الدعم ما دام على السلطة، لأنه هو في نظرهم خصم سلطان نجد وفي رحيله اندمال المشكلة، ومن ثم التفاهم حول الحدود. لم يرغب الشريف بهذا الأمر ولكن كثرة إلحاح مستشاريه وحياد أعوانه عنه وصمتهم اضطره للتنازل على مفض مملوء بالحسرة.

فنصب الشريف علي ملكاً على الحجاز وهو في جدة، واحتفوا بتنصيبه وقد اعتمدت الدول المقيمة ذلك واعترفوا به، فغادر جدة نحو مكة، بينما غادر الشريف حسين مكة إلى جدة فدخل قصره وقد منع الناس من زيارته.

أرسل الشريف علي جيشاً لكسر الإخوان فانكسر الجيش، وأرسل السرايا ولكن لم تعد بخير ولم ترد تقدمهم، كما أنه لم يستطع الحفاظ على أمن مكة، فقد كثر اللصوص فيها وانتشر النهب مما اضطر تجارها للفرار إلى كافة الأقطار، ثم غادرها الشريف علي نحو جدة.

دوى تكبير وتهليل الإخوان في أرجاء المكان، ورددتها الجبال والوديان وهم متجهون نحو مكة وسيوفهم في أعمادها وبنادقهم في جفارها وقد لبسوا ملابس الإحرام، بعد أن وصلهم خبر مغادرة الشريف مكة، وقد شدد الشريف خالد على رجاله بمراعاة حرمة البيت وأنه سينال من أي عابث كان، فلما دخلوها أدوا مناسكهم وحافظوا على أمن البلد، فدخل الشريف خالد قصر الحسين، فأتته رسالة من القيادة الإنجليزية مكتوب فيها:

من قناصل دول بريطانيا وفرنسا وهولندا وإيران . . .

إلى خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد . . .

نرجو منكم مراعاة رعايانا في مكة والمحافظه على سلامتهم حتى يغادروها.

فكتب لهم:

من خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد . . .

إلى معتمدي الدول في جدة . . .

إن أهل مكة آمنون مطمئنون في حرم الله ولن يتعرضوا لسوء ومن جملتهم رعاياكم، ونحن نسألکم عن موقف حكوماتكم من الحرب القائمة؟

ثم أرسل الكتاب، فبعد يوم أتاه الرد:

إلى خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد . . .

وصلنا كتابكما ولا يخفى عليكما أن حكومتنا التزمت الحياد التام في الحرب القائمة بين نجد والحجاز، فنحن محايدون ولا يمكننا التدخل بأي وجه كان في هذا الخصام، بعد أن تأكدنا أن ليس لكما نظر في رعايانا.

الإمضاء

معمدي دول

بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وإيران

سُرَّ خالد وسلطان الدين بهذا الخبر وأرسلاه على الفور إلى الإمام مع رسالة تخبره بدخولهم مكة ورحيل الشريف إلى جدة.

* * *

التزموا الحياد

أمّ عبد العزيز المصلين لصلاة الظهر والعصر وقد نزل قرب
آبار المصلوق، فلما قضى فرضه قام إليه الرسول وسلمه الرسالتين، ففض
الأولى فوجد فيها خبر دخولهم مكة ونزول الشريف في جدة، ثم فض
الأخرى فوجد فيها ما هلّل أساريه فخر ساجداً لله مما جعل أخاه محمد
يسأله:

- خيراً يا أبا تركي خيراً؟

فنظر إليه وقد التف حولهما أخاه عبدالله وابناه خالد ومحمد وبعض
آل سعود والعلماء.

- لقد لزم الإنجليز الحياد.

فرح القوم بهذا الخبر فقد كانوا يخشون الاصطدام مع القوى الإنجليزية
المساندة للشريف، فأرسل رساله على وجه السرعة إلى الشريف خالد يأمره بأن
يحكم قبضته على جنوده حتى لا يتسببوا بترويع أهل مكة وأن ينشر الوعاظ بين
الجند يذكرّونهم بحرمتها.

* * *

في إحدى ردهات القيادة الإنجليزية في جدة اجتمع ضابطان من
الاستخبارات وتبادلا الحديث.

- لقد تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه علي طمعاً في مدّنا له يد
العون؟

- يظن أن حكم الشريف علي سيعزز علاقتنا به ، ولكن أليس في توسع ملك عبد العزيز خطر علينا؟
- نعم قد يشكل خطراً لكن...
- ليس أخطر من تولي الشريف حسين للحجاز وابنيه فيصل وعبدالله للعراق والأردن، وقد أبديا الأخيرين استياءهما من احتلال سلطان نجد للطائف، وحاووا نصره أبيهما بحشد الجيش، بيد أن القائمين على دولتيهما أخبراهما أن قوانين عصبة الأمم لا تسمح بتدخل دولي إلا عن طريقها.
- إذاً أنت ترى بأن موقف الإمبراطورية من التزام الحياد نابع عن مصلحتها!
- طبعاً فدولتنا واضحة جداً فقاعدة عنوانها السياسي هو...
- لا صديق دائم ولا عدو دائم بل مصلحة دائمة.
- وهذا المأزق الذي وضع الشريف نفسه فيه كان من صميم اختياره، فقد نهيناه عن منع النجديين من الحج، ونصحناه برسم الحدود بين البلدين فرفض، وها هو يطلب الآن منا أن نخوض معه الحرب ضد سلطان نجد، فلو فعلنا ذلك لخسرنا عبد العزيز وتحالف مع قوى أخرى.
- أتقصد الفرنسيين؟
- هناك تبادل مصالح مشتركة بيننا وبين فرنسا، وقد قسمنا البلاد العربية معها، ولكن ما أخشاه دخول قوى أخرى قد بدأت في النهوض، كروسيا التي سيطر عليها الشيوعيون والولايات المتحدة الأمريكية، فعندها تبدأ لنا مشاكل نحن في غنى عنها.
- الحمد لله على وجود قادة أفاض ممسكين بدفة الإمبراطورية يعرفون ويرعون مصالحها.

- نعم فنحن الإنجليز ماهرون في فن السياسة، وهي لعبتنا التي مكنتنا من الهيمنة على العالم منذ أربعة قرون.

* * *

عندما اقترب عبد العزيز من مكة نصح الإنجليز الشريف حسين بمغادرة جدة حتى لا يتقدم إليها بسببه، فرفض في بادئ الأمر ثم رضخ للأمر بعد تواصل الضغط عليه، فغادرها وسط حسرته لفقدان سلطانه على يد من كان يستضعف ويستخف أمره ويدفع النفائس والنفوس لإسقاط ملكه، وقد طمح بأن يكون خليفة للمسلمين بعد سقوط خلافة العثمانيين، بيد أن الأقدار لم تسعفه ولم تسعده ولم تمهله.

فأتاه أمر الله (ﷻ) يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو العزيز الحكيم، فرحل هو وأسرته على متن باخرة ابتعدت عن شواطئ جدة وهو ينظر إليها، والحسرة والمرارة تملآن قلبه وتقبض من أنفاسه، وقد أعدى من في المركب بحزنه فجثم الحزن على المركب الذي دفعته محركات المرارة، فأبحر متجهاً إلى العقبة.

دخل عبد العزيز ومن معه مكة محرمين بعد شهر من دخول خالد بن لؤي لها، فأدوا مناسكهم ثم توجه نحو قصر الحكم فجلس فيه وأخذ الناس يتوافدون إليه لمبايعته، واستمر ينظم أمور الحرم ويرسل السرايا إلى القرى المجاورة لبسط نفوذه، كما أرسل جيشاً للمدينة المنورة لمحاصرته وكذلك وجه آخر إلى ينبع، وبعد شهر من دخوله سار إلى جدة وضرب حولها الحصار وشده وكان عدد جنوده يربو عن الخمسة آلاف.

استعد الشريف علي لهذا الحصار، فلغم الأرض ونشر الأسلاك الشائكة حول جدة، وجهاز عدة طائرات ومدافع ومدافع لصد سلطان نجد.

* * *

انزعج الشريف حسين من تشديد الحصار على جدة، فحشد يوماً حشداً من بادية الشام وحاضرتة وفيهم من أهل مصر فأخذ يخاطبهم:

أيها المسلمون!

لقد علمتم من أنا وما فعلته من أجلكم إبان حكم الترك الذي خلصتكم

منه...

فحين أردت الخلافة خذلني الإنجليز وساعدوا زعيم الوهابيين للإطاحة بعرشي، واليوم أنا أدعوكم لتخليص حرمكم من الخوارج الوهابيين، اللذين يهدمون قبب الصحابة والصالحين، ويمنعون المسلمين من زيارة قبر نبيهم، ويجعلون إمامة الحرمين لمذهبهم بعد أن كان سلفي سمح بالصلاة على المذاهب الأربعة ويوزع الأدوار بينهم، وقد منعوا الاستغاثة بالأولياء الصالحين، ومن هو على خلاف مذهبهم فهو كافر. عباد الله لقد جهزت لمن أراد الجهاد المال والعتاد والوسيلة التي توصله إلى جدة حيث الشريف علي يدود عن الإسلام ويقاتل الخوارج المارقين عنه.

فلما أنهى خطبته تهافت عليه الناس يقبلونه، وأخذوا بالتوافد عليه لنصرتة وقد جهزهم الشريف عبدالله بالمراكب لإرسالهم، وقد أخذ دعاة الحسين ينتشرون في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين داعين للجهاد ضد الخوارج الوهابيين الذين احتلوا بيت الله الحرام وجاسوا فيه الفساد.

سار أحد الشباب صباحاً في نابلس فوجد أناساً مجتمعين حول أحد الخطباء يستمعون لقوله:

لقد استحل الخوارج بيت الله وأخذوا يجبرون الناس على اعتناق مذهبهم كرهاً، وهدموا قبب الصحابة والصالحين، ومنعوا الناس من زيارتهم وكذلك من دخول البلاد المقدسة، وابن خليفة المسلمين الحسين يجاهدكم في جدة، كما أن هؤلاء الخوارج في فوضى من أمرهم وليسوا منظمين كجيش الحسين،

وما هي إلا ضربة واحدة وتعودوا محمليين بالذهب، فقد وعد الشريف حسين من يذهب للجهاد بأموال عديدة منها ما هو مقدم ساعة ركوبكم للمراكب.

فقال الشاب :

- سيدي وكيف ننضم لكم؟
- ليس على من يريد الانضمام سوى الانتظار عصر اليوم قرب جامع السوق، فسوف يجد شاحنة تنقلهم للعقبة.
- فسار الشاب حتى وصل إلى الجامع وانتظر بفارغ الصبر، كان حوله عدة عشرات من الرجال والشباب ممن أراد الانضمام إلى حملة الشريف، بينما هو كذلك أتاه أحد الرجال وقعد بقربه وسأله :
- أنت لست من نابلس أليس كذلك؟
- نعم لست منها.
- من أين؟
- أنا من طولكرم وأنت من أين؟
- أنا من دمشق واسمي رامز.
- أنا أدعى محمد أمين التميمي ولكن كيف علمت أنني لست من نابلس؟
- ابتسم رامز...
- سهلة جداً... لقد رأيتك لوحده بينما الناس يتصافحون ويتحدثون بشأن الخوارج وعن الذهب الذي يوزعه الشريف للمجاهدين.
- وأنت ما الذي دعاك لمغادرة مهد الدولة الأموية وأحضرك حيث تقف؟
- البؤس يا أخي...
- البؤس والحسرة على سلب الفرنسيين لبلادنا، فأنا مطلوب وقد فررت من الاعتقال ولا ملجأ لي ولا مال، فوجدت حملة الشريف فقررت الانضمام لها. وأنت ما قصتك؟

زفر محمد زفرة طويلة...

- أنا من تنكر له الوالد قبل القريب وأصبح أقربائي يلقبونني بالمشؤوم، وقد غادرت البلاد طلباً لشظف العيش، فكل مرة أدخل فيها قرية يحقق معي من قبل الاستعمار البغيض، وقد حالوا دون حرياتنا وأضاقوا علينا الخناق، وشباب بلادنا ينخرطون في جيش الاستعمار طلباً للقمّة العيش وينفذون من أجندته على حساب أوطانهم، فأى عقل هذا يا أخي؟
- عقل المحروم من الحرية والذي رضع لبن العبودية.
- صدقت...
- إذأ لما ضاقت بك الدنيا لجأت لمجاهدة الوهابيين؟
- وهل هناك من هو أفضل من الشريف الحسين قائد الثورة العربية أنضم له، فهو الحاكم الحقيقي ولأكسب قوتي أيضاً وأساهم في تحرير الحجاز.
- لقد قيل لي أنهم مجرد أوباش هاجموا جيش الشريف على حين غرة منه، ففضل جهادهم في جدة حرصاً منه على سلامة مكة.
- هذا ما ذكر ما...
- قطع حديثهما رؤية الشاحنة تقترب من الجامع، فركبا فيها مع من ركب ثم سارت إلى العقبة، فمن الغد دونت أسماؤهم واستلموا لباس الجند وسلموا السلاح فنقلتهم المراكب إلى جدة.
- بعد أيام وصلوا لمرفأ جدّة ونزلوا فيها فأخذهم القادة على الفور إلى أماكنهم، فسألهم أحد القادة إن كان فيهم من يحسن لغة الإشارة فرفع محمد يده فعين مأمور على الإشارة.
- تعرف محمد مع مرور الأيام على المكان وأذهلته حالة الجند المتردية، فقد رأى المرض قد تفشى بين الناس بسبب الحصار، ولقي صديقه رامز حتفه

منه، وكان الجند في فوضى من أمرهم ولم يتلقوا مقدراتهم منذ عدة أشهر، كما تعرف على رجل مسن أخذ يزوره كلما سنحت له الفرصة.

فقال له المسن يوماً:

- محمد لقد رأيت فيك سمات الفطنة والذكاء فما الذي أقدمك لهذا المكان؟
- لقد قدمت لجهاد هؤلاء الخوارج الوهابيين الذين استحلوا بلد الله الحرام.
- هل تكتم علي حديثاً أخبرك فيه؟
- نعم يا عماء أكتمه!!
- لقد خدعكم الشريف عندما أوهمكم في جهاد الوهابيين، فوالله إنكم لتقاتلون مسلمين أمثالكم.
- محمد بذهول!!
- إنهم يفسدون ويقطعون الطريق ويحطمون مقامات الأولياء الصالحين.
- وهذا أيضاً مما أوهمكم فيه...
- بني والله إن ما فعلوه هو ما دعا له الإسلام وهذه المقامات من الشرك، وهم على حق وبلادهم آمن البلاد عندما حكمها إمامهم عبد العزيز.
- إذأ ما الذي تنصحي فيه؟
- عد إلى بلادك ولا تلقى حتفك مع المغرر بهم.
- والله لقد رأيت كذبهم فقد قالوا أن جيشهم منظم وجيش الوهابيين غير ذلك، فاتضح لي عكس ذلك، وقد أغرونا بالمال ولم نحصل عليه حتى الآن، سوف أطلب منهم إعفائي من الخدمة.
- وهل تعتقد أنهم سيرضون بذلك!
- إذأ ما العمل يا عماء؟

- سوف أخبرك..

ستقدم أولاً طلب إعفاء من قائدك فإن رفض، قدمه إلى الشريف علي الذي سيحيلك بدوره إلى القائد العام الذي سيلومك على تخطيه ويلزمك بالعمل، عندها اذهب إلى القنصل الإنجليزي وأخبره أنك فلسطيني ولست من رعايا الحسين وقد أجبرت على الانخراط في جيشه، عندها سيرحلك إلى ديارك.

شكر محمد الشيخ ثم طبق ما أمره فيه وقد صدق بكل شيء قاله، فرحل إلى بلده على باخرة إنجليزية ونجا من القتل.

* * *

إلى قبرص

استمر حصار جدة والمدينة أشهراً وقد استعمل الشريف علي الطائرات في قصف جيش عبد العزيز، بيد أن نفاذ المحروقات قلل من استعماله لها وكذلك للمدركات، فاستمر المهاجمون بضربهم بالمدافع التي أخذت تدك السور وتسقط أحياناً داخل المدينة وقد أصابت منزل القيادة الإنجليزية والهولندية. لكن جدّة لم تكن أسوأ حال من المدينة التي حوصرت تماماً وقل مخزون الطعام فيها، أما جدة فقد أتتها الإمدادات من العقبة محملة بالموّ والرجال، وقد أخذ الشريف حسين ينثر الذهب نثراً، مما أسخط ذلك الأمر عبد العزيز فجهز فرقة لاحتلال العقبة، فلما تجهزت للسير، سمع بها الإنجليز فحذروا الملك عبدالله وبأن يكف عن إمداد أخيه لكيلا يجد سلطان نجد ذريعة لغزو الأردن، كذلك نصحوه بأن يرسل أبيه إلى قبرص حيث إنهم وفروا له الإقامة هناك.

فدعر الملك عبدالله وأذعن للإنجليز، فأتى إلى والده وأخبره بالأمر، فأزيد وثار وقال:

- كيف تجرؤا على طاعة الإنجليز الذي ضحوا بنا وخدعونا، وهم ينصرون حليفهم الجديد عبد العزيز علينا ولم يفعل لهم شيئاً مثلما فعلنا.
- يا عالي المقام لقد لان لهم عبد العزيز بسياسة قل من يفقهها حتى تمكن، فأخذ يرسم ما يريد وهم يعلمون بتمكته وقوته ولا يريدون فقدان حليف مثله من أيديهم، بعد أن أطلت بلاده على البحرين وهذا طريق تجارتهم وشريان حياتهم.

- وأنا الآن لا أعرف السياسة والمداينة، أهذا ما تزمع قوله يا عبدالله؟
- لا والله يا سيدي...
- فأنت قائد الثورة العربية وقد خدمت الإنجليز حق الخدمة،
ووثقت بهم ورتبت الأمور وهم كذلك.
- ولكن!

ظهور عبد العزيز علينا وهزيمته لجيشنا الجرار في تربة كان هو ما
قد قلب الأمور علينا، وقد كنا نطمع في بلاده، والله لقد نصر علينا بشيء
أهملناه، لقد نصر بإعلاء راية التوحيد، فعلم الأعراب دينهم بينما
تركناهم نحن يتقاتلون من أجل شاة أو جمل ولم نحرك ساكناً بل كنا...

■ قاطعه الشريف بغضب:

- كفى... والآن أنت خائف على ملك الأردن وتريد والدك أن يرحل؟
- يا ولي النعم..
- إن سياسة العنف والشدة لا تفيد تجاه القوة، وقد رأيت ما أودى
بملكنا وخسارة حلفائنا بسببها، والبلد بلدك والملك لك وأنا ابنك طوع
بنانك، ما هي إلا أيام فقط حتى يجد سلطان نجد حجة لغزونا.
- أذعن الشريف حسين لتوسلات ابنه، فجهز ونقل إلى قبرص.
- اقترب شهر الحج وخشي عبد العزيز أن لا يحج الناس بسبب الحرب،
فأرسل إلى الدول يخبرهم أن الحج آمن وأن موانئ رابع والليث والقنفذة تعمل
تحت سلطانه، فحج بضع آلاف وأغلبهم من أهل نجد الذين حرموا من الحج
منذ ست سنوات، فقدمت قافلة المحمل من مصر تحمل كسوة الكعبة
والصوفية يضربون الطبول، فلما أقاموا في منى أظهروا شعائرهم وتبركوا في
المحمل، فثار عليهم بعض الإخوان ونهواهم بالقوة...
- فأطلق الحرس المصري النار عليهم فأردوهم، فكادت الفتنة أن تثور لولا

عناية الله، ثم تدخل عبد العزيز بسرعة مدهشة احتوى الأمر وأحمد نار الطرفين، ونهى عن التبرُّك ودفع ديات القتلى.
فلما انقضى الحج وعاد الحجاج سالمين إلى بلادهم، عاد عبد العزيز لتولي الحصار على جدّة.

* * *

جدة ١٩٢٤م

نقصت المؤن في جدة وأفلست خزانة الشريف بعد أن انقطع عنه مدد أخيه عبدالله، بيد أنه لاحظ تناقص جيش سلطان نجد، فعلم أن الأعراب قد ملّوا من الحصار وأخذوا بالرحيل أرسالاً.

* * *

أخذت القبائل ترحل عن جدة لما طال حصارها، فخشي عبد العزيز أن يرى الشريف علي نقص رجاله، فأرسل يطلب المدد من الرياض، فأقبل عليه ابنه فيصل برجال أهل العارض.

* * *

ضاق أهل المدينة ذرعاً بعد أن قلت مؤونتهم وملوا الحصار الذي استمر سنة واحدة، فقرروا تسليمها بعد أن أحكم عبد العزيز السيطرة على القرى والموانئ التي إلى شمالها، إلا أن انضمام فيصل الدويش للجيش المحاصر منعهم من تسليمها إلا بيد أحد أبناء عبد العزيز خشية من انفلات الأمور، فأرسل إليهم على الفور ابنه محمد، فسلموا مفاتيحها له بعد أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم.

* * *

راع الجيش الذي قدم إلى عبد العزيز الشريف علي فعدمت حيلته ومل من الحصار بعد أن رأى حالة جنده الرثّة وعدم الفائدة من البقاء، فحاول محاولة أخيرة لعلها تصيب، وطلب أحد الطيارين وكان روسياً.

- اسمعني جيداً يا أنتينوف.
- تحت أمرك يا سيدي!
- هل ترى هذا الكيس الكبير.
- نعم أراه!
- ففتح الشريف الكيس وبدأت جنيهاً الذهب...
 - كل هذا الذهب لك وسأعطيك ضعفه عشرة مرات إن استطعت إلقاء قبلة على خيمة سلطان نجد وقتلته.
 - أنتينوف بشراة وقد استحوذ عليه سلطان المال...
 - رهن إشارتك فقط أرني مخيمه.
 - فرقياً سطح القصر وأراه خيمة عبد العزيز عن طريق المنظار.
- فركب طائرته هو ومساعدته وحمل معهما أربعة قنابل، فحلقت الطائرة واقتربت من مخيم عبد العزيز.

* * *

رأى الشريف علي الطائرة تحلق فوق البحر ثم تلتف حول الجيش المحاصر وتهجم فجأة على مخيم سلطان نجد، فأخذ يبتهل أن يقتل ويسترجع ملك آباءه ويعود والده لعرشه مكللاً متوجاً من جديد، بيد أن قلبه خطف واتسعت عيناه مما رأى.

* * *

عندما حلقت الطائرة فوق مخيم عبد العزيز، أخذ رجاله بإطلاق النار عليها، مما جعل مساعد الطيار يناول الطيار القنبلة بسرعة ليلقيها بنفسه ويهربوا من الرصاص الذي اخترق بدن الطائرة، فاختلف توازنه وسقطت القنبلة بين رجليه وانفجرت، فهوت الطائرة وتحطمت أمام مخيم عبد العزيز.

* * *

عندما رأى الشريف الطائرة تهوى علم أن ملكه قد هوى معها وتحطم أمام أقدام سلطان نجد، فقرر الاستسلام وتسليم البلد، فتقرر أن يرحل بجميع أمواله إلا الأسلحة من طائرات ومدافع ومدافع وسفن، فأذعن للشروط ورحل نحو الأردن.

* * *

دانت البلاد لعبد العزيز وكان معظم جزيرة العرب تحت سلطانه الذي يستمد قوته من كتاب العزيز الحكيم ومنهاج خليله (عليه السلام)، بينما الدول العربية أغلبها راضخة تحت براثن الاحتلال الغربي الأوروبي والمتستر بمصطلح الانتداب، فذاقت الشعوب مرارته وشلت أركانها بقوته التي تسلحت بشتى العلوم، فاستعمل معرفته بفرائسه لترويضها والاستفادة منها.

تحاشى عبد العزيز الاصطدام بهذه القوى، فأخذ بمجاراتها بأساليبها وطالب باعترافها بدولته الناشئة بعدما ضمَّ لسلطانها بلاد الحجاز، فتمنعت عليه بريطانيا وحلفائها وبدأت تحذر من الإقدام على الاعتراف بعد أن صبغت الدولة الناشئة بصبغة دينية، فلطالما حاولت الحضارة الغربية إذابة الدين الإسلامي وأدخلت عليه بعد أن درس علمائهم تاريخ المسلمين، فأخذوا يمولون أهل البدع ويهمشون أهل الهدى، كما أنهم أثروا على الكثير من المفكرين العرب مما جعل بعضهم يغتر بزخرف حياتهم ويتبع أسلوبهم من حيث الملابس والتفكير، وكذلك فشلت عاداتهم في العامة فأخذت النساء بالتعري والانحلال وأطلق على من لا يؤيد فكرهم بالتخلف والرجعية، ولا يعون أنهم هم من تخلف فأخذ قبيح فعل الغرب وترك طرق وكيفية حضارتهم.

* * *

ذكر الله ١٩٢٧م

سار سياسيان بريطانيان على جسر ويست منيستر الذي تدفق نهر التيمز من تحته حاملاً المراكب البخارية والقوارب الصغيرة. كان الجو مشمساً في أحد أيام شهر أيار/ مايو سنة سبعة وعشرون من القرن العشرون، فدوى خلفهما صوت ساعة بنغ بانغ معلننة دخول الساعة الثانية، فلما هدى دويها أكملنا نقاشهما وهما يهمان بالتعود في إحدى المقاهي.

- لقد أقييل هاري فيلبي بعد أن أعلن إسلامه ولم تفلح الإدارة في ثنيه.
- لقد تأثر هاري بشخص سلطان نجد فانساق لدين الأعراب وأصبح أحد مستشاريه وقد تسمى بعبدالله.
- غريب جداً رجل مثل هاري ينقاد لدين الأعراب ويترك دين ابن الله؟
- ليس غريباً يا عزيزي ما دام الشيطان يضع قدميه على الأرض، ألا ترى نعيمنا في الأرض بفضل تمسكنا بديننا ونعم الرب علينا، بينما المسلمون يشقون بدين ابتدعه لهم محمد.
- لقد كان هاري مرشحاً لرئاسة الاستخبارات، فترك هذا المجد ليلتصق بسلطان نجد الذي يعطيه الفتات بالنسبة لما يتلقاه من دولته، كيف هذا يا أستاذ؟
- قلت لك إن الشيطان أخرجه ليهلكه فاتركنا من هذا الموضوع ولننتقل للأهم.
- حسناً يا معلمي فلننتقل للحديث عن سلطان نجد... ألا يثير توسعه قلق

حكومة بريطانيا بعد أن حكم هذه البلاد الشاسعة والتي تطل على مسطحين مائيين هامين جداً؟

- بل يثيرها ويقلقها أيضاً بيد أنها عملت على وجه السرعة وخلقت توازناً في المنطقة.

- أتقصد حين ساهمت الدولة بإسقاط حاكم الأحواز الشيخ خزعل واعتقاله على أحد مراكزها؟

- نعم فقد خشيت الدولة من نمو سلطان نجد الذي أخذ يؤسس لقيام دولة دينية سنيّة وأنت تعلم ما هو المذهب السنيّ لدينا.

- نعم أعلم فهو أشد المذاهب تمسكاً بالإسلام، ولكن!

ما علاقته بإسقاط نظام الشيخ خزعل وتضحية الإمبراطورية بخيرات الأحواز؟

- يبدو أنك لم تفهم اللعبة بعد؟

- لا فأنت معلّم بهذا السلك.

- طبعاً يا تلميذي النجيب فيجب عليك أن تأخذ مكاني بعد تقاعدي العام القادم، لقد ضحّت الإمبراطورية بحليفها الشيخ خزعل، بسبب تنامي قوة المذهب السنيّ في جزيرة العرب، وقيام دولة إسلامية دستورها القرآن، فلذلك تحالفنا مع الشاه رضا بهلوي حتى يكون للمذهب الشيعي قوة في المنطقة وأنت تعلم بالخلاف الشديد بين المذهبيين.

- ولكن! أليس مذهب الشيخ خزعل مذهباً شيعياً؟

- نعم إنه كذلك ولكن يعتبر من العرب فلذلك دعت الحاجة لإقصائه.

- لكن هذا الأمر لن يوقف حاكم نجد عن المطالبة باعترافنا بدولته وربما ركن لغيرنا، ودولته تغري القوى الأخرى بالتعاون معها؟

- ربما، ولكن ليس هناك ما يطمع فيها غير إطلاقتها على هذين المسطحين الهامين، كما أن دولته ضعيفة حالياً وقد بدأنا بزرع الفتنة فيها.
- كيف ذلك وقد اعترفتكم بمدى ذكاء ودهاء هذا الحاكم والقوة التي يملكها من المتشددين؟
- فتننا هي في قوته المتشددة هذه.
- وكيف هذا يا معلمي! أليسوا يعتبرونه إمامهم؟
- إرشاء الفتنة عمل سهل جداً إذا لم تصطدم بحنكة وعقل مدبر، لقد وجدنا في الشريف حسين من يسهل علينا هذا العمل، فهو موتور ويتمنى عودة ملكه، فأغريناه بأن يمولّ بعض من يرى فيهم الإخلاص له، ويرسله إلى بعض قادة أولئك المتشددين ويوغر صدورهم على إمامهم، وهم أعلم بأساليبهم، فتحدث بلبلة داخلية وربما حرب بينهم، فعندها نجد فرصتنا بالتدخل وسحب البلاد من تحت أقدامهم وترك الصحراء لهم، فيعودوا لشردمهم ونعود لخارطتنا التي رسمناها مسبقاً لهم.
- لقد فهمت الآن اللعبة كل هذا من أجل إشغاله عن عقد مؤتمر للاعتراف بدولته، وأعتقد أن هجوم بعض قادته على الحدود العراقية وقتلهم للحرس كان بداية الفتنة بينهم، وقد جعل هذا الأمر الإمبراطورية تتدخل وتغير عليهم في داخل حدود نجد..

■ أعتقد أن الخطة نجحت؟

- نوعاً ما بيد أن سلطان نجد بادر بالاعتذار واتهمهم بالخروج عن أمره، إلا أن هذا لم يمنع الانشقاق فقد عقدوا قبل هذه الحادثة اجتماعاً لتقاسم البلاد فيما بينهم، إلا أن أكثرهم لم يرَ فائدة إن تفككت البلاد بعد أن ذاقوا حلاوة الأمن والاستقرار الذي نعموا فيه، لكن البعض يبحث عن الرئاسة والسلطة ويصفون من يستعمل الهاتف بالدجال الذي يتعامل مع الجن.

- فأخذنا بالضحك...
- معذرة يا معلمي أحقاً ما تقول؟
- هذا ما نقل لي وقد أخبرت أن سلطان نجد عندما ركب السيارة نهاه أحد خدمه عن ركوبها!
- فسأله لِمَ؟
- فأخبره أنها تعمل مع الجن ولربما اختطفوه!
- فركبها وذهب بها حتى غاب في الأفق.
- فقال الخادم:
- والله لقد اختطفت الجن مولاي.
- فأخذنا يضحكان بينما أخذ النادل يقدم لها إبريقاً من الشاي الأخضر ويسكبه في قدهيهما.

* * *

دوي الفتن والملاحم ١٩٢٨م

كان لوفاة الإمام عبد الرحمن أثر كبير على عبد العزيز، وقد أظلت الفتنة سكان نجد وغيّمت عليهم وأخذت رعوها تدوي في أنحاء البلاد، بشائعات تلصق في عبد العزيز من تعامله مع الجان واستخدامه لأدوات السحر وعمل معاهدات مع الكفار، وصولاً إلى إرسال ابنه فيصل إلى بريطانيا وابنه سعود إلى مصر وكلاهما بلاد كفر، فاستمرت الشائعات وراجت فعقد عبد العزيز بعد أشهر من وفاة والده اجتماعاً للحد من هذه الفتنة التي فشت وبدأ شؤبوب الشر يلحظ في طياتها، فأحب أن يزهق الباطل بالحق.

عقد الاجتماع في الرياض فجمع العلماء وقادة الإخوان وكبار وأعيان البلاد، وكان عدد الحضور ثمان مائة شخص، وتغيب عن الاجتماع فيصل الدويش الذي أناب عنه ابنه عبد العزيز وكذلك سلطان بن بجاد الذي أناب عنه ابن عمه علوش بن خالد.

فبدأ عبد العزيز بخطبته قائلاً بعد الثناء على العزيز الحميد والصلاة على خليله الأمين:

أيها الإخوان...

تعلمون عظم المنة التي منّ الله بها علينا بدين الإسلام، إذ جمعنا بعد فرقة وأعزنا بعد مذلة، واذكروا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

(١) التوبة، الآية: ١٠٥.

إني شفيق عليكم وعلى ما من الله به علينا، وأخاف وأحذر من تحذيره سبحانه حيث قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

هذا ما دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان... ولتذكروا...

- ١ • ما أنعمه الله به علينا فنرى ما يجب عمله لشكر هذه النعمة.
- ٢ • بدا أمر في نفسي فخشيت أن يكون في صدر أحدكم شيئاً يشكوه مني، أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه أو بمنعه حقاً من حقوقه، فأردت أن أعرف ذلك منكم، لأخرج أمام الله بمعدرة من ذلك، وأكون أديت ما علي من واجب.
- ٣ • أردت أن أسألکم عما في خواطركم وما لديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم.

أيها الإخوان...

إن القوة لله جميعاً وكلکم يتذكر يوم ظهرت فيكم وكنتم فرقاً وأحزاباً...
يقتل بعضكم بعضاً..

وينهب بعضكم بعضاً..

وجميع من ولّاه الله أمرکم من عربي وأجنبي كانوا يدسون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم لذهاب ريحکم...
فعندما خرجت فيكم كنت في ضعف من أمري، وليس لي ركن شديد

إلا الله جل جلاله، ولا أملك من القوة إلا أربعون رجلاً تعلمونهم، ولا أريد أن أقصّ عليكم ما من الله به عليّ من فتوح، ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت خيراً لكم، وأثر ذلك منقوش في صدوركم، كما تعلمون وكما قيل السيرة تبين السيرة.

(١) الرعد، الآية: ١١.

إنني لم أجمعكم خوفاً أو رهبة من أحد، فقد كنت وحدي من قبل وليس لي ساعد إلا الله فما باليت بالجموع وهو ناصري، إنما جمعتم خوفاً منه (ﷺ) ومخافة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار، جمعتمكم لأمر واحد فقط لا غير...

ثم انتظر ملياً...

بينما القلوب تترقب ما سيقوله وقد أثار أنفسهم بخطبته...؟

■ فأتاهم قوله كالصاعقة الشديدة حين قال:

- أريد منكم أن تروا فيمن يتولى أمركم غيري... ودونكم آل سعود فاخاروا من ترتضونه منهم..

خيّم على المكان صمت رهيب... شقه بكاء بعض الرجال... ثم تعالت بعض الأصوات قائلة:

- إنهم لا يرضون بغيره...

■ فأشار للجميع بالسكوت فأردف قائلاً:

- والله لا يحملني على هذا القول إلا أمران...

١ • محبة راحتي في ديني ودنياي.

٢ • إنني أعود بالله من تولي أمر قوم كارهون لي.

فإن أحببتم ذلك فلکم أمان الله وعهده.

■ فاستأذن أحدهم بالكلام فأذن له:

- أنا فيصل بن وجعان أحد زعماء تميم، إن ما يدعوننا إليه عبد العزيز والله لهو فصل الرأس عن الجسد وأنتم تعلمون ما الرأس، لقد أرغمنا في بداية أمره على طاعته والدخول في حكمه، فلما أطعناه وذقنا حلاوة أمره يريدنا أن نعفيه من الأمر ونحن له راغبون!

والله لقد هدانا الله بك وألّفت بين قلوبنا وصدقت الرعية وأرغمتهم للخير وجررتهم إلى بر الأمان، أتريد أن نعفيك الآن من الأمر، لا والله لا نعفيك من الأمر، ولكن!

قل لنا ما الذي كدّر عليك فوالله لنقيمته بين يديك صاغراً ذليلاً.

■ فأمره عبد العزيز بالقعود وقال:

- وماذا عنكم يا إخوان؟

فتعالت الأصوات بترديد اسمه وأنهم يرفضون اعتزاله وأنهم تحت أمره وإشارته.

- إذأ ما هذه البلبله والفتنة التي عمّت البلاد، فقولوا ما في صدوركم ولكم أمان الله وبالأخص أنتم أيها العلماء لا تخفوا عني شيئاً، فاتقوا الله واخشوه حق خشيته.

■ فقال أحد كبار العلماء:

- إنا نبرأ إلى الله أن نكتمك أمراً فيه حق، وإننا كلما نصحنك إلا انتصحت، وحريص على تطبيق الشرع والاحتكام إليه سباقاً له.

■ ثم قام أحد الحضور فقال:

- إنا لا ننكر عليك سوى استخدامك لأدوات الاتصال التي يقال أنها تعمل بالسحر، ولا يخفى عليك حكم السحر والسحرة، وكذلك القصور التي تبنيها حكومة العراق؟

■ عبد العزيز:

- فليقم أحد العلماء وبيّن للناس أمر البرقيات اللاسلكية والهواتف.

■ أحد العلماء:

- إنا لا نجد في القرآن والسنة ما يحرمها وإنها من العلوم الحديثة، ومن يحرمها فقد افتري على الله ورسوله كذباً.

■ **عبد العزيز:** أما القصور التي تبنيها حكومة العراق فهي على الحدود، ولا زالت المباحثات جارية معهم بشأنها، وقد قتل بعض الإخوان رجالاً من الحرس، مما أعطاهم ذريعة للبناء خوفاً من هجماتهم، وتعلمون أنني لم أمر بذلك وقد خرج البعض عن أمري.

فتعالت الأصوات منكرين أشد الإنكار على من يخالفه وأنهم طوع بنانه.

■ **ثم أكمل حديثه:** أما مسألة الجهاد فدوكم العلماء.

فتكلم أحد العلماء وبيّن مسألة الجهاد وأنها بيد ولي الأمر فقط، فهو الذي ينظر في مصلحة ذلك من عدمه ولا يجب مخالفته.

■ **فعقب عبد العزيز على كلامه قائلاً:**

لقد منّ الله علينا باستدراك هذه البلاد من الاحتلال الأجنبي، وتعلمون أن البلدان العربية واقعة تحته يبيث سمومه فيها من انحلال للأخلاق والقيم، ويشكك المسلمين في معتقداتهم، ويستبدل شرع الله بقوانينه، ويزج بمن يناوئه في السجون وليس للعرب حول ولا قوة، ونحن لا نستطيع التدخل لأننا لسنا من القوة بما يكفي لمناجزته والتصدي له، ولكن!

الواجب عليّ كولي أمر أن أجنب البلاد هذا القتال غير المتكافئ، وهذه المعاهدات التي تمت بيننا من صالح المسلمين، فلله الحمد لم يدخل بلادنا من هذه المعاهدات شيء محرم أو ما يمس ديننا، ولهذا لم أسمح بالجهاد خوفاً وحرصاً على أرواح المسلمين.

فأخذ الحاضرون يدعون له ثم أمرهم بتجديد البيعة، فتسابقت الأيدي لمبايعته، إلا يد رجل واحد واقف لجانبه فقال له:

- عبد العزيز السليم ما لك لا تباع؟

- أظال الله بقاءك لقد بايعتك منذ سبعة وعشرون سنة ونحن في الكويت فهل جرى مني نقض للبيعة؟

ابتسم عبد العزيز لمقالته بينما الحضور يبائعونه على السمع والطاعة.

فتنة المنشقين من الإخوان ١٩٢٩م

لم يسغ ذلك الاجتماع للذين غابوا عنه بعد أن بين عبد العزيز الأمور وجلاها للحضور، الذين بدورهم نقلوها للعامة وبينوها لهم، فعقد فيصل الدويش اجتماعاً في الأرباطوية حضره سلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين وفرحان بن مشهور الرويلي، وكل منهم قدم بأتباعه فاتفقوا على شن الغارات على الشمال.

وهجموا على بوادي الكويت والعراق والأردن فضجّ الناس وأصابهم الرعب، فهجمت عليهم الطائرات البريطانية لحماية لمستعمراتها، ففروا ودخلوا في بلادهم وأخذوا يغيرون على الآمنين وسلبوهم أموالهم، واعترض سلطان بن بجاد قافلة لأهل القصيم فاستحل أرواحهم وأموالهم، فضجّت البلاد من أفعالهم.

أمر عبد العزيز بحشد الحشود للنيل من الفتنة وقتلها، فتداعى له الإخوان وأهل الحواضر وهو نازل في بريدة، فلما اجتمع الناس بين لهم جرم المنشقين من الإخوان، والواجب عليهم الاستسلام وتقديم الجناة للشرع والحكم في أمرهم وإلا القتال.

نزل المنشقين في السبلة واستعدوا للقتال وكلّ على قيادته ولم يتمكنوا من جمع أمرهم على رجل منهم، ونزل عبد العزيز على مقربة منهم وجعل أخيه محمداً على ميمنة الخيل وابنه سعوداً على الميسرة. كان جيشه يناهز (١٥) ألفاً بينما جيش المنشقين يقارب (٩) آلاف.

دبّ السكون بين الفريقين، وتعاقبت الرسل بينهما، وقد طلب عبد العزيز استسلامهم ومثول الجناة للشرع، فلم يلحظ في الأفق بوادر أمل لحقن الدماء، فأمهلمهم إلى الغد إما الاستسلام وإما الحرب.

قبيل طلوع عين الشمس هجم المشقون على عبد العزيز لعلهم يفاجئونه، بيد أنه كان مستعداً لهذه الغارة، فقد أغراهم بالتقدم لما رأوا مقدمة جيشه تنكسر أمامهم وتفر، مما زاد من اندفاعهم نحو القلب حيث هو.

فلما اقتربوا من القلب حيث مركز القيادة وكانوا مزمعين قتله، انكشف عنهم جيشه يمنة وشمالاً فلم يرعهم إلا أصوات المدافع الرشاشة تحصدهم حصداً، وقد انقضّ عليهم سعود بن عبد العزيز يردفه عبد المحسن الفرم بكتيبة فرسان من الخلف، وتفرّق جيش المنشقين شذر مذر وعلى رأسهم قادتهم، فهرب فرحان بن مشهور نحو الشمال حيث العراق بمن تبعه، وكذلك سلطان بن بجاد بمن تبعه اتجه نحو الغطغط، وقد أصيب فيصل الدويش فاحتمله أحد فرسانه إلى الأرتاوية.

نهى عبد العزيز فرسانه عن إتباع أثر المدبرين وقد قتل منهم مائتين وخمسين نفساً، ثم سار من الغد حتى نزل بقرب الأرتاوية وأمر بإحضار فيصل الدويش، فأتوا به محمولاً وقد حفته النساء والولدان وعلا عويلهن طلباً واسترحاماً له، فما إن قبع بين يديه حتى أخذ يعنّفه بشدة، ويذكره بالمكانة التي حظي عنده وثقته فيه والأمر الذي أوكله إليه لقمع الفتن لا لأن يتراأسها. كان فيصل يعتذر منه ويطلب عفوه فعفا عنه، وأمر طبيبه الخاص بمعالجته.



علم سلطان بن بجاد بنزول عبد العزيز في شقرا، فقرر المسير إليه لطلب العفو بعد أن سمع بعفوه عن فيصل، فسار إليه يرافقه ثلاثة عشر من أبناء عمه طالبين العفو، فلما اقتربوا من مخيمه أخذ القوم يرمقونه بغضب، فأذن لهم في الدخول فمثلوا أمامه وخيّم الصمت برهة في فضاء الخيمة.

- فتكلم خالد بن قشعان: «تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين».
- الإمام ينظر إليهم بنظرات صارمة:

يا عدو الله أتريد أن أقول لك «لا تثريب عليكم» بل عليكم التثريب
واللعنة بما انتهكتكم من العيث بأرواح الآمنين وإشعال نار الفتنة.
فأمر بوضع الأغلال في أيديهم وأرجلهم، مما دعا علوش بن حميد
ليقول وهو يلتفت لعمه سلطان:
- الله لقد عزم أمره فينا.

فكَبَّلَهُم الجند وسبقوا حتى أودعوا في سجن الإحساء، وطلب عبد العزيز
من عبدالله بن جلوي بأن يرسل إليه ضيدان بن حثلين أحد المنشقين ولكنه لم
يشارك في معركة السبلة.

بَثَّ عبد العزيز السرايا للقبض على كل من أجرم وشارك بالفتنة، وقد
قبض على الوعاظ الذين سهَّلوا عليهم الخروج على السلطان، وزجَّ بهم في
المعتقلات، ورأى أنه بسط الأمن وقطع دابر الفتنة فقرر المسير للحج وقد
لاحت أيامه.

خشي ضيدان بن حثلين على نفسه حينما استدعاه عبدالله بن جلوي للمثول
عنده في الإحساء، مما دعا أبناء عمومته لنهايه عن المسير إليه.
فأخبرهم:

بأنه قد أرسل ابنه فهد على رأس سرية مدجَّجة بالسلاح وها هي على
مشارف قرية الصرار.

فاتفقوا على أن يذهب إليه ويرى ما لديه ويعود والمهلة التي بينهم أربعة
ساعات، فإن لم يعد هجموا على السرية وقتلوها واستنقذوه.

أقبل ضيدان وبعض أبناء عمومته على السرية فرآه فهد ونايف بن حثلين، فلما اقترب سلّم عليهم فأدخلوهم إحدى الخيام وقيدوهم، ولما طال عليهم الأمر طلب ضيدان محادثة فهد فلما أتاه قال:

- يا فهد أطلق سراحنا؟

- لو أتيتم من ساعتكم حين طلب الحاكم حضوركم ما كان هذا حالكم، أما الآن لن أطلقكم وسأقودكم بأغلالكم إلى الهفوف حيث يرى الحاكم أمركم.

- إذن أطلق أحد أتباعي ليذهب إلى العجمان ويخبرهم أننا ذاهبون إلى الإحساء، فقد اتفقنا بأن إن لم نأتهم بعد مغيب الشمس يهجموا عليك.

- لن أرسل أحداً ولئن هجموا قتلتم في أماكنكم.

ثم أمر الحرس بأن يقفوا على رأس كل واحد منهم، فإن سمعوا صوت طلقة واحدة فليجهزوا عليهم بالسيوف.

- إذن اجعلني أكتب مكتوباً لهم قبل أن يلتبس الأمر عليهم أخبرهم أنني بخير.

- حسناً اكتب لهم.

كتب ضيدان الرسالة فأخذها أحد العجمان من حرس فهد، وذهب بها إلى الصرار، ولكن جماعة ضيدان لم يكونوا في الصرار بل تمركزوا حول السرية، فلما انقضت المهلة ولم يرجع زعيمهم تسللوا إلى الخيام فلحظهم أحد الحرس فثارت النار.

سمع الحرس صوت الأعيرة النارية فسلّوا السيوف وبتروا الرؤوس ثم غادروا، رأى نايف بن حثلين خروج الحرس من خيمة الأسرى فعلم أنهم قد قتلوهم، فاحترق قلبه ودمعت عينه على أبناء عمه فانضم للمهاجمين وقد قتل فهد وفرّ بعض أفراد سريته.

اجتمعت العجمان على نايف الذي قال لهم والنيران تشتعل في الخيام حولهم:

- ليس لنا مقام في هذا المكان وعلينا بالرحيل حالاً، فلن يرحمنا عبدالله بن جلوي بعد أن قتلنا إبنه، فهلموا على عجل.
ثم أخذوا بدفن قتلاهم وساروا بأهلهم ومواشيهم نحو الكويت وتمركزوا في الوفراء.

سمعت جماعات المنشقين بفعل نايف وجماعته، وأخذوا بالتوجه إليهم خوفاً من أن تنالهم يد عبد العزيز بعد أن بث سراياه لمعاقبتهم، وانضم إليهم فرحان بن مشهور بفئات من عنزة وجاسر بن لامي في جماعة من مطير، فضاقت بهم أرض الوفراء وشحت المياه وبلغ عددهم أربعة آلاف وقد رعب الناس منهم، فقل زادهم فقرروا شن الغارات على بادية العراق لكسب الغنائم، وضجت القبائل منهم وشكوههم لسلطات الانتداب.

نهاية المنشقين ١٩٣٠م

انقضى الحج وغادر الحجاج إلى بلادهم...

كان عبد العزيز جالساً في صحن الحرم والعلماء حوله ويتذاكرون ويتدبرون، والأخبار تصله أولاً بأول عن المنشقين وتمركزهم في الكويت، وغاراتهم التي طالت القريب والبعيد وأشاعت الفوضى، فقام وتوجه إلى الملتمزم والتزمه وقال:

- اللهم إن لم يكن في حكمي خير للمسلمين فلا تنصروني.
ثم أخذ يدعو وأطال.

فبعد حين غادرها إلى الطائف وأقام فترة يدير شؤون البلاد، ويستعد لضرب المنشقين ضربة قاصمة لا قيام لهم بعدها، ترعب من تسوّل له نفسه قتل الأمن وإحياء روح الظلم والفوضى التي انتشرت منها جزيرة العرب ولم تفارقها بعد.

عقد المنشقون أمرهم بيد نايف بن حثلين وفوضوه في تولي قيادتهم، فأخبرهم:

بأن أرض الوفراء ضاقت بهم وهي أرض مكشوفة مما يجعلهم عرضة لأي هجوم، فلا بد من ضرب ابن سعود في دياره وخلخلة الأمن، ويجب علينا ضرب القبائل الموالية له حتى يروا قوتنا فيتبعونا، وأول خطوة لنا هي أن نقسم قسامين مهمة الأول عزل الإحساء عن الرياض والتمركز فيها وأكون أنا قائد

المجموعة حتى يتسنى لقبيلتي الانضمام لنا، والقسم الآخر يبدأ بضرب القبائل
الموالية لابن سعود وقطع الطريق.
رحبوا بالفكرة وانقسموا فصار نايف بجموعه وعتاده نحو الإحساء وقد
أرسل الأعين أمامه.

* * *

عين رضا

كانت قبيلة العوازم نازلة قريباً من الجبيل، فأتى رسول المنشقين إلى أميرهم يدعوه للانضمام إليهم أو اعتزال المعركة؟
■ فكان جواب الأمير: نحن على طاعة الإمام، كما أننا لن نعترض طريقكم ما لم نؤمر بذلك.

رجع الرسول بالجواب إلى نايف بن حثلين الذي يتقدم جموع المنشقين فلم يرق له الجواب وأحب أن يباغتهم القتال ويبدأ بهم ليكونوا عبرة للآخرين. نجح العوازم إلى ماء رضا في الصباح الباكر وكانوا في فرقة عن أمرهم، فعلم المنشقون بأمرهم فقرروا انتهاز الفرصة وضربهم، وما إن حطت بعض ركاب العوازم على عين رضا حتى سمعوا الخيل تعدو نحوهم والرصاص يتناثر حولهم، فتبادروا وتنادوا للنصرة واستلوا بنادقهم وتبادلوا إطلاق النار. سمع العوازم ممن لم يصل للماء أصوات الأعيرة النارية، فأخذوا يهرعون نحوهم بسرعة فاصطدموا بمجنبة جيش المنشقين فأصلوهم بحامي الحديد.

اشتدت حرارة الصيف المستعرة في المكان على الفريقين، بيد أن فريق المنشقين كان لهم النصيب الأوفر من الحر الجسدي والنفسي، حين صرع منهم نحو مائتي رجل ومنيوا بالهزيمة فانهزموا عائدين من حيث أتوا، بينما فرح العوازم بنصرهم وسلامتهم.

دوى انتصار العوازم على المنشقين في جزيرة العرب كسرب قطع فلاة، وتناقلت أخبارهم المجالس، وكسرت هالة القوة والرعب التي أحاطت بالمنشقين. علم عبد العزيز بهذا النصر بينما كتب الإنجليز تغد إليه طالبة منه

أن يجمع هؤلاء المفسدين الذين دخلوا العراق والأردن وأفسدوا فيها، وهو يطلب تعهد منهم بعدم إلجائهم إن طلبوا اللجوء فعندها يجمعهم، فتردد الإنجليز ولم يجيبوه.

أثناء هذه الأحداث خرج أحد المنشقين في نجد ويدعى مقعد الدهينة، واجتمع حوله جموع من عتيبة وبنو عبدالله وجاسوا في الديار نهب وسلب وقتل، وأمر عبد العزيز أحد رجاله ويدعى شويش المطيري بأن يذهب على رأس جيش ويخمد فتنهم، فسار نحوهم وأخذ يرصدهم حتى أوقع فيهم وقعة نكراء وقتل منهم، وفرّ مقعد للعراق وتفرقت جموعه. وكذلك أرسل عبد العزيز ابنه فيصل وعبد الرحمن ابن أخيه محمد إلى بعض الجهات لتأديب المفسدين وإحلال الأمن فيها.

انضم فيصل الدويش إلى جموع المنشقين بعد وقعة رضا، فأمره عليهم وقد التحق بهم نايف بن محمد بن هندي قادماً من بغداد وكان فاراً من نكال عبد العزيز، واجتمع للدويش جميع المنشقين فأخذ يأمرهم بشن الغارات على نجد وعدم رحمتها حتى تلين لطاعتهم وبنزوي سلطان عبد العزيز عنهم.

فشتوا الغارات، وضجت نجد وقتل الكبير والصغير، وفرح المنشقون بنشر الفوضى وعدم تصدي عبد العزيز لهم وقد شعروا بضعفه.

جمع فيصل الدويش لابنه عبد العزيز سبع مائة فارس من صناديد قبائل مطير والرشايدة والعجمان، وأمره بأن يسير فيهم ويغزو الشمال وما حول حائل. سار وبث الرعب في قبائل الشمال الذين استنصروا بعبد العزيز بن مساعد بن جلوي الذي كان يحاول التصدي لهم في كل بقعة يضرّبونها فيأتي متأخراً ولا يجد لهم أثراً، فقرر أن يتصدى لهم في طريق عودتهم في أم رضة، وعلم أنهم لن يمروا على ماء الحزول أو لينة اعتقاداً منهم بتربصه بهم عند هذه العيون، فوقع ما خطط له فقد مروا على أم رضة وفاجأهم بهجومه عليهم فلم يستطيعوا التصدي له أو حتى الفرار فحصدتهم عن بكرة أبيهم.

النقاير

علم فيصل بعد أيام بمقتل ابنه وجيشه فكرب كرباً عظيماً، وأمر أتباعه بشن الغارات بشدة ودون هوادة، وعلم أن عبدالله بن جلوي قد أرسل سرية إلى العوازم للهجوم عليه في الوفراء، فبادرهم وسار نحوهم واصطدم بهم في النقاير، فهزمه العوازم وأخذوا رايته بعد أن فرّت جموعه، فأرسلوا رايته إلى سعود بن عبد العزيز وقد كان نازلاً في الإحساء، واستمر العوازم بشن الهجوم عليه حتى طلب الهدنة منهم فكفّوا عنه.

* * *

اجتمع القادة الإنجليز في البصرة وقرروا أن يمثلوا لطلب السلطان عبد العزيز، بعدم منح المنشقين حق اللجوء لأراضيهم، وكان هذا ضد قوانينهم ومبادئهم ولكن الأضرار الفادحة التي ألحقها المنشقون في أتباعهم، كادت أن تفلت منهم زمام الأمن في أراضيهم التي انتدبوها فيكلفهم هذا أموالاً طائلة لإرجاع هيبتهم مرة أخرى.

* * *

الشعراء

عقد عبد العزيز اجتماعاً في الشعراء^(١) وحضره وجوه الناس فقال بعد أن أثنى على الله وصلى على نبيه المختار:

- لم تردع المفسدين موعظة...!

ولم يحجزهم الإسلام...!

ولم يمنعهم عهد...!

ولم يفد فيهم عطاء...!

ولم يؤلف قلبهم معروف...!

خرجوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة وظاهروا المارقين، فخفروا ذمة المسلمين وأفسدوا الأرض وقطعوا السبيل وأخافوا الأمن وقتلوا البريء.

ثم صمت ملياً...

لا نريد أن نشهد في بلادنا بعد اليوم بحول الله وقوته مثل هذه الأحداث، ولا مثل هذه النزعات الشيطانية، فلينصرف كل واحد منكم إلى جماعته يستشيرهم في ما يرون وموعدنا غداً في هذا المكان لتعلنوا آراءكم.

فلما حضر الغد حضروا وأخبروه أنهم على عهدهم وتحت أمره فليرى ما فيه خير للرعية.

(١) جنوب غرب الرياض ١٠/١٩٢٩م.

■ فقر أن :

- كل من اشترك في الفتنة وبقي حياً يؤخذ ماله ويحكم الشرع فيه.
- من كان متهماً بممالة المنشقين ولم يجاهدهم تؤخذ منه شوكة الحرب.
- كل ما يؤخذ من المنشقين يمنح للمجاهدين.
- يرسل للهجر التي فيها أحد من المنشقين فيؤمر بأن يسلم نفسه للشرع.
- كل هجرة غلب عليها الفساد تُخرب ويُنقل أهلها في الهجر الأخرى بين القبائل. ترسل السرايا حالاً لتنفيذ الأمر بينما يسير أهل الرايات، حتى يتمركزوا في الشوكي. فكبر الناس ورضوا بما قرر وتبادروا للتنفيذ.

* * *

بعد شهرين...

اجتمعت الجيوش العظيمة من حاضرة وبادية في الشوكي، وخرج عبد العزيز بولده وإخوته وأبناء عمومته والعلماء وترك ابنه سعوداً خلفاً له على الرياض، كانت الجموع كبيرة جداً على المنشقين فقد أخذ الحيطه من نزوله على حدود العراق التي ربما أدت إلى نشوب حربٍ ما، وعزم على دخول البلد واستئصال شأفة^(١) المنشقين حتى ولو لجؤوا للإنكليز.

أتى الخبر إلى فيصل الدويش بأن عبد العزيز نازل في الشوكي بجموع غفيرة فكذب الخبر، لكن الأيام أثبتت صحة الخبر فأخبر أعوانه أنه لن يصلهم إلا بعد أسابيع بسبب ما معه من جيوش ولن يستطيع دخول الكويت والعراق، لكن سرعة زحفه إليهم في ثلاثة أيام أرعبتهم وأخذوا ينقلون عن زعيمهم ويهربون، فرحل فيصل ونزل في العراق مما جعل قبائل العراق تشن عليه غارات انتقاماً منه لما صنعه بهم، وقد ساند عبد المحسن الفرم تلك القبائل المتوترة وهجم على الدويش وكسبوا إبلاً ودخلوا خيمته وأخذوا ما فيها ثم أحرقوها، وقد وجدوا فيها مكاتبات يطلب فيها من ملك العراق ضمه لرعيته

(١) أزالهم وقطع دابرهم.

وكتاب آخر للقائد الإنجليزي جلوب^(١) يطلب اللجوء، فتتابعت رسائل الدويش إلى عبد العزيز طالباً منه العفو، فيكون الجواب بأن يمثل للشرع. لجأ المنشقون إلى العراق فطلب عبد العزيز من حكومته أن تمتثل لتعهدهم له، فتأخروا في إجابته مما دعاه للتوغل بين حدود الكويت والعراق، فخشي الإنكليز تفاقم المشاكل فاعتقلوا فيصل الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي، مما جعل عبد العزيز يتراجع وينزل في خباري وضحي جنوب الكويت.

أخذت القوات الإنكليزية بطرد المنشقين عن أراضيها، حتى حصروا وخافوا من دخول نجد ومكثوا على حدود العراق وساءت حالهم، حتى رقب عبد العزيز لحال الأطفال والنساء الذين معهم فأمر بإرجاعهم إلى ديارهم.

* * *

سلمت القوات البريطانية قادة المنشقين لعبد العزيز بعد أن أخذوا تعهداً منه بعدم قتلهم، ولما مثلوا بين يديه أُنّبهم وذكرهم مكارمه عليهم، فاستأذن فيصل بالكلام فأذن له:

- يعلم الله...

يا عبد العزيز أنك لم تقصر معنا، وقد عملت معنا كل ما ينقي سيرتك، وقد قابلنا إحسانك بالإساءة، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار فحملونا إليك في الطائفة، وبكفينا ما نشعر فيه من الهوان والصغار أمام الإخوان بعدما كنت عزيزاً محترماً، قاتل الله الشيطان!

لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا وأوصلنا إلى ما نحن فيه الآن.

فأمر عبد العزيز باقتيادهم إلى سجن الإحساء، حيث سجنوا مع سلطان

ابن حميد.

(١) أبو حنيك.

الفصل الثالث



٢٥ شتاء



مملكة نجد والحجاز وملحقاتها ١٩٢١م

أحكم الأمن قبضته بعد أن أرسل شعاعه على أديم الأرض والسماء وأزاح ظلمات الفتنة وقشع خيوطها. رتب عبد العزيز أمور الدولة وشؤونها وطلب من الإمبراطورية البريطانية الاعتراف بدولته، حتى يتسنى لها القيام بين الدول بشكل رسمي تنصّ عليه أعراف ومواثيق العالم الحديث، وبما أن دولته الوليدة ليس لها موارد كافية لغذائها فضلاً عن قيامها، استمر بطلبه في الاعتراف ثم نيل المساعدات من الدول لإصلاح دولته، فمأطلته الإمبراطورية وعلى إثرها حلفائها، فلما رأى مماطلتهم وتعنتهم، حوّل ركابه نحو عدوهم اللدود.

* * *

كان الشريف الحسين يصارع ويكافح في استعادة مملكته، وحاول بشتى الطرق، وفرح لما رأى الفتنة تعمّ أرجاء الجزيرة، وأمل بنهاية حكم عبد العزيز وأعد العدة للسير لاستعادة مملكته، بيد أن استعداداته خرت واندثرت عندما تمكن عبد العزيز من اجتثاث الفتنة وتثبيت قواعد الأمن في بلاده، فأصيب الشريف بألوان الغم وتناوبته الأسقام والآلام ففتت بدنه الهرم، وقضى نحبه الأخير عندما سمع باعتراف الجمهورية الروسية بدولة عبد العزيز، فكانت نهاية حكم آبائه على مكة والتي دامت عشرة قرون على يديه، وبدأ ديب الموت يسري في جسده واقتربت ساعته وأبناؤه حوله فأخذ يوصيهم باستعادة الحجاز، ففارقت روحه السماوية جسده الدنيوي كما فارق مملكته الحجاز وانتهت دولة الأشراف منها.

خشيت الإمبراطورية البريطانية من اعتراف روسيا بدولة عبد العزيز، وما قد يتبعه هذا الاعتراف من أثر على مصالحها في المنطقة التي ظلت فيها بلاده حرة عنها فاعترفت بمملكة نجد والحجاز وملحقاتها وأن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملكاً عليها، فبدأ بترتيب الأمور وإرسال السفراء وتبادل المصالح بين الدول، بيد أن تلك الدول لم تُعر مملكته أي اهتمام لفقرها الشديد وجهل أهلها، فقد خرجت من العدم لتواكب الحضارة الحديثة وعلومها، وما ينقصها لتلك المواكبة هو عصب الحياة ووقودها المسمى بالمال.

* * *

الذهب الأسود ١٩٢٢م

تقاطعت الدول الاستعمارية بلاد العالم وبالأخص بلاد العرب، فسلبت خيراته بحجة الوصاية على اليتامى وأعطتهم الفتات بينما صبّت خيراته على أبنائها، فذاق العرب مرارة شظف العيش ودفنتهم الأمراض والأوبئة وقتل الاستعمار المصلحين والمفكرين والمناضلين وُزجوا في عتبات الزنازين والسجون.

رأى عبد العزيز أن الدول تكاد تعرض عن دولته، فقرر أن يركز على موسم الحج لما له أهمية للمسلمين ومصدر رزق للبلاد، فوجب عليه توفير المياه في مكة، فراسل شركة أمريكية متخصصة فى التنقيب عن المياه، فأرسلت له مهندساً باشر عمله ساعة وصوله، وأخذ يبحث عن مخازن المياه في سواحل تهامة قرب الليث، وظل أسابيع يبحث ليجد المياه ولكن!

لم يجد المياه فحسب بل وجد مخازن روح العالم الحديث، الذي من شأنه بأن يعجل بالدولة الوليدة للنهوض سريعاً والقيام على أرجلها، فقد وجد الذهب الأسود ينتظر من يستخرجه من مكانه.

بدأت في مصر دعوة لتحرير الحجاز من الوهابيين، وأنشأت جمعية أحرار الحجاز وبدأت بتمويلها دول ذات أطماع سياسية، أخذت تؤلب الناس على الملك عبد العزيز وتظهر دولته بدولة الزنادقة، وعملت مخططاً لفصل الحجاز، فأغرقت والي جازان الحسن الإدريسي بالتمرد وطرد ولاية الملك

وأمدوه بالسلاح والمال، بينما أغروا زعيم قبيلة بلي حامد ابن رفادة بنشر الفوضى وأمدوه كذلك بالسلاح والمال.

أخذ حامد يجتد المرتزقة ويغزو الناس وعاث فوضى في المنطقة الغربية الشمالية، ويلجأ إلى الحدود الأردنية ثم المصرية إذا أحس بالخطر فيتزود بالمؤن ثم يكر، وضخم الإعلام المصري والأردني والعراقي من شأنه، ووصفوه بالبطل وأنه هزم القوات النجدية واحتل أجزاء كبيرة من بلاد الحجاز.

* * *

انطلت أكاذيب الصحف على الحسن الإدريسي وظن أن نهاية حكم عبد العزيز قد اقتربت فأرسل بطلب فهد بن زعير والي جازان.

فلما دخل عليه في مجلسه لاحظ تغيره عليه واستبان صحة ظنه حين قال بغلظة:

- عليك يا فهد ترك شؤون البلاد وعدم التدخل في أي شيء!
- هذا الأمر ليس بيدي أيها الأمير بل في يد الملك عبد العزيز وهو من له الفصل بالأمر!

■ انزعج الحسن مما سمعه آنفاً وقال بحدة:

- ولت وصاية عبد العزيز علينا، بعد أن عادت قوتنا وقدرتنا على إدارة شؤون بلادنا.
- وهل هذا جزاؤه حين كبح عنكم اليمن والشريف حسين، ولولا تدخله لما كنت تنعم في قصرك هذا، كما أن أباك محمد قد وقع اتفاقية مع الملك وكذلك أنت، وألغى بموجبها الاتفاقية الإنجليزية المجحفة بالبلاد عندما سلمتهم امتياز نפט فرسان لقاء حمايتهم لك.

■ قاطعه الحسن...

- لا أحفل بما ذكرت وعليك أنت ومن معك ملازمة قصوركم وعدم الرحيل إلا بإذني.

- والله لقد استوجبت نقمة الملك بعصيانك هذا، ولا أراك إلا كمن انتقل عن الظلال ليمس لهيب الشمس.
- كنت أريد أن أبقىك مكرماً في منزلك... أما الآن فسأذيقك لهيب ظلال السجن. فأمر الحرس باقتياده للسجن واعتقال مساعديه أيضاً.

* * *

قام عبد العزيز بالسجود لمولاه عندما أخبر بوجود النفط في الليث والاستعانة على هذه الفتن التي لا تنتهي، وأمر الشركة الأمريكية بأن تبحث عن النفط في المنطقة الشرقية، وأمر جنده بالترصد لابن رفاة وحصره حتى لا يلجأ للحدود على عادته، فأغراه بالتوغل في الحجاز مما جعل القوات تطبق عليه براً وبحراً.

فحصر هو ورجاله البالغون ثلاثمائة وخمسون، ثم أرسل إليه أربعاً وعشرون بيرقاً تحته قرابة الألفي مسلح معظمهم من قبيلتي عنزة والرشايدة يقودهم عبدالله بن محمد العقيل، فطارده حتى حصروه في جبل شار، فقتل رجاله بينما تحصّن هو في الجبل الذي اقتحمه هديان الجحيش وخضير بن الأجبع فقتلاه وحز هديان رأسه وذهب به إلى سوق ضبا فركّزه على رمح أمام الناس، وخدمت الهالة الإعلامية المصطنعة عنه، بينما تفرّغ عبد العزيز لأمر جازان وأرسل إحدى المراكب تحمل سرية من الجند.

* * *

رسي المركب في ميناء جازان ونزل الجند وقاتلوا جند الحسن الذين تقهقروا، فأسعتهم بارجة إيطالية مرابطة في المنطقة بالأسلحة وأمرته بالصبر، واستمر القتال حتى رأى الحسن وجنده مركب يرسو وينزل منه جند آخرون، وظنوا أن هذه مقدمة جيش الملك القادم فهربوا متفرقين في الديار ولجأ الحسن إلى اليمن.

فتمت السيطرة على جازان وطلب الملك من الإمام يحيى تسليم الحسن، فتشفع منه بأن يبقى عنده ووافق الملك شريطة أن لا يقوم بنشاط سياسي ضده.

* * *

انقلاب الموازين

تقلّب محمد التميمي في ديار الشام يلتمس رزقاً وبيتاً يؤويه بعد أن تنكّر له الأهل والديار، فوجد عملاً عند الشيخ مئثال الصخري الذي كلّفه بتعليم ابنه، إلا أن الشيخ رحل بقبيلته إثر خلاف مع حكومته الهاشمية، ونزل في وادي السرحان في مملكة نجد.

قرر محمد اللحاق به واشترى ملابس نجدية حتى يتموّه خشية قطاع الطرق، وركب فجر يومه مع رجل مسن قاده إلى وادي السرحان، وبينما هما في ببداء لا أنيس فيها ولا حسيس وقد علتها الشمس، قطع طريقهما لصدان مسلحان فجرّدوه من ماله وملابسه بينما لاذ المسن بالهرب، فاسترحمهما بأن يعطوه ما يستر به عورته، فألقى عليه أحد اللصين سروالاً خلقاً.

عاد محمد بسروال اللص حتى شارف على القرية التي غادر منها وقت المغيب هو يحمد الله على السلامة، فراه رجلٌ راكبٌ على ناقه فحثّها نحوه حتى اقترب منه. الرجل: حمداً لله على سلامتك لا بد أنهم قطع طرق فعلوا بك هذا الفعل.

أخذ محمد يومي برأسه إيجاباً وقد أنهكه العطش رغم برودة الجو، بينما الرجل يُخرج من الخرج ثياباً ناولها إليه، فلبسها على الفور ثم سقاه لبناً، ولما ردت إليه أنفاسه شكره على صنيعه وأخبره بقصته.

- أحمد الله على سلامتك فقليلاً هم من ينجون بأنفسهم ولا بد أن الرجل المسن متواطئ معهم، أما بالنسبة لذهابك إلى الشيخ مئثال فغداً بإذن

الله سوف تغادر قافلتني نحو حائل، فاركب معنا حتى نوصلك في طريقنا إليه.

شكر محمد الرجل مرة أخرى ودعا له بخير ثم سار معه حيث محل إقامته، فلما أسفر الصبح دبّت القافلة على الأرض متجهة إلى نجد، وقد لاحظ محمد صمتهم الشديد الذي سرى في إبلهم كذلك فلا رغاء لها، فسأل الأمير:

- لماذا هذا الصمت الرهيب يا سيدي؟
- إننا نخشى من قطاع الطرق يا محمد، فلهذا نسير في وضح النهار ونحرص على عدم الكلام فالزم الصمت.
- لاذ محمد بالصمت وقد تربّع الرعب في قلبه وأخذ يخاطب نفسه:
- نحن الآن في مملكة الأردن ونخشى قطاع الطرق، فماذا عن نجد! التي اشتهرت بقطاع الطرق حتى أن قوافل الحج لم تسلم منهم والله إنني أسعى إلى حتفي، فالجرة لا تسلم مرتين، فإن سلمت أمس فلن أسلم في الغد من قطاع نجد، اللهم احفظنا بحفظك.
- دخلت القافلة ديار نجد ليلاً وقد أضاء البدر طريقها، فتطلع أحدهم للنجوم التي زينت أديم السماء وكأنها تتراقص والقمر ساطع بينها كأنه ملك ازدان في عرشه طرباً، فأخذ الرجل يشدو بصوت عالٍ:
- أهلا هلا بالنجدية جميلة مزدانة مغير حلى تتدلى...
- فأخذ يكررها مما دعا محمداً ليسوق ناقته نحوه وينهاه عن الشدو!
- كف كف يا رجل لا تهلكنا...
- الرجل باستغراب!
- لماذا؟
- تعجب محمد منه!
- لماذا! ربما سمعنا قطاع الطرق فنحن في نجد.

ضحك الرجل بصوت عالٍ مما جعل الآخرين يضحكون من قول محمد، فأخذوا ينشدون بصوت عالٍ أيضاً، وقد دثر رداء التعجب والاستنكار محمداً!!!

فلما رأى أمير القافلة حالته أمر الرجال بأن يتوقفوا للمبيت، ثم اقترب منه وقال له بابتسامة عريضة:

- لا تخش شيئاً يا محمد فقد غادرنا ديار الخوف إلى ديار الطمأنينة والأمن.

- وكيف هذا يا سيد ونحن نعرف نجد حق المعرفة؟

■ **ابتسم الأمير بينما كان ينيخ ناقته فقال:**

- لقد ولّى زمن تمرد بلاد نجد لَمَّا حكمها عبد العزيز بقبضة من حديد. ازداد استغراب محمد أكثر مما دعاه لأن ينزل من ناقته القائمة على قوائمها ويقترب منه:

- والله لقد زدت حيرتي أكثر! وما علم عبد العزيز بهذه البلاد وهو في قلب نجد حيث مدينته الرياض.

- لا ألوملك يا محمد، إسمع سوف أشرح لك الأمر باختصار:

لم يحكم عبد العزيز هذه البلاد بالسيف فحسب، بل حكمها بالشرع الذي غاب عنها منذ مئات السنين، وقد عاد العرب إلى جاهلية أشد وطأة من الجاهلية التي قبل الإسلام مع أن تلك الجاهلية كانت لها قوانين تحكمها، فقد كانوا لا يقتتلون في الأشهر الحرم، ولربما سار القاتل بين يدي أهل القتل فلا يجرؤون على الاقتصاص منه حرمة لها، كما أنهم بنوا حضارة أدبية تقارع الأمم الأخرى فنزل القرآن الكريم إعجازاً لهم بالبلاغة، وأيضاً كانوا يعلمون موقعهم من بين الأمم ومدى قوتهم وحجمهم...

أما الجاهلية المتأخر فكانت عمياء خرساء صماء، فلا قانون يردعها ولا أدباً اشتهروا به، ولم يراعوا حرمة الدين، فقد كانوا يقطعون طريق الحج

ويعطلونه، حتى أن ضيوف الرحمن لا يأمنون على أنفسهم، فتجد الذهاب إلى الحج كالذهاب إلى الموت!

فيكفونونه أهله ويوصيهم، وإن رجع احتفوا به أشد احتفاء وهذا لا يخفى عليك. حاول محمداً مقاطعته فأشار له بالإنصات...

لقد ركّز عبد العزيز راية الوحيد وسلّ السيف، فمن التف حول الراية سلم وغنم ومن أبي فلن يسعه إلا ظلال السيف، فقد نشر الوعاظ ودعم ركائز الدين لدى الأعراب وقرب العلماء وفعل دورهم، فدانت البلاد له لما رأوا مدى نصحه لهم، كما وضع مراكز في بلاده وجعل حفظتها من أهلها ليحفظوا الأمن فيها وحولها، فيؤخذ المجرم ويُقتص منه أمام الجميع فلا شافع له، فأقام العدل ودحر الظلم، وغداً سوف نمر للسلام على أمير الجوف عبدالله بن عقيل ونخبره بحالتنا ووجهتنا.

تأثر محمد بما سمع عن هذا الرجل الذي عدل موازين نجد بعد أن كانت مقلوبة، وانقلبت في بلاد الشام بعد أن كانت معتدلة، وأخذ ينسج عنه الأناسيج ويرسم صورته.



غادرت القافلة الجوف بعد أن سلّم رجالها على أميرها وأخبروه بأمرهم، ثم افترق محمد عنهم بعد أن اقترب من منازل الشيخ مثقال، فلبث عنده أشهراً حتى قال له ذات مساء:

- محمد إنني أريد لك الخير، لن ينفعك مقامك بيننا كثيراً فأنا أنصحك أن تعمل كاتباً عند أمير الجوف، فسوف يزيد من عطائك وترتاح من حياة التنقل معنا بعد أن تسكن القصور.

شكره محمد على نصحه له فلما حلّ الغد ركب مع بعض القوافل المتجهة إلى الجوف حتى أنزلوه عند أميرها، فسلمه مكتوباً من الشيخ مثقال يخبره بحال محمد وإجاداته للغات والطباعة والكتابة بخط لا مثل له.

عمل محمد عند عبدالله بن عقيل بضعة أشهر، فرأى فيها قوماً يتدارسون القرآن ويتذكرون مواظبين على صلاتهم، يتركون ما في أيديهم ساعة سماع صوت الفلاح، وقد آمن الناس على أموالهم وغشيتهم السكينة والطمأنينة. أصبح محمد مواظباً على الصلاة بعد أن كان لا يصلحها إلا حياءً من الناس، وحفظ سوراً من القرآن الكريم، فتبدلت حاله وارتاحت نفسه واطمأنت.

لقد اكتشف أن ما حل ببلاد العرب من خراب واستعمار كان ذلك نتيجة لهجرهم دينهم، فكلما دنوا منه زانت حياتهم وكلما نأوا عنه ازدرت حالهم، فهاهي نجد خير مثال.

* * *

استأذن محمد من سيده عبدالله لأداء فريضة الحج، فزوَّده بالمال والمركب وكتب له كتاباً يسلمه للأمير عبد العزيز بن مساعد لحظة قدومه إلى حائل.

وصل محمد حائل ودخل قصر الحكم وسلّم الحرس الكتاب، فبعد لحظات كانت يده تصافح يد ابن مساعد الذي رحّب به.

- لقد عرفتك يا محمد فأنت كثيراً ما تُذيل اسمك على الرسائل كما أن خطك رائع ومميز.

■ محمد وهو يتسم:

هذا من فضل الله ومثته علي يا سعادة الأمير.

- إذاً أنت ذاهب للحج؟

- نعم أيدكم الله وزادكم من فضله فقد دخلت العقد الرابع من العمر وأريد أن أقضي فريضة الله علي.

- حسناً حسناً سوف تقيم عندنا ثم تغادر مع أول قافلة مغادرة، ويسعدني أن تشاركنا طعام العشاء.

- يسعدني ذلك أيها الأمير فهذا شرف لي.

قضى محمد عدّة أيام في حائل كان خلالها يجلس في مجلس الأمير ابن مساعد ويرى مدى صرامته على المارقين ومدى لينه مع المنتظمين، حتى غادره إلى المدينة المنورة ومن ثم إلى مكة المكرمة.

* * *

ركع محمد أمام البيت العتيق ثم رفع وأخذ يحمد ربه ويشني عليه على ما يسره له من أمور علمته تعاليم دينه وساقته لقضاء فريضته، ولما سلّم أخذ مصحفاً وقرأ، بينما هو كذلك اقترب منه رجل مسن كث اللحية بيضاؤها طويل القامة، فصلّى ركعتين ثم سلّم وأخذ يذكر الله وينظر للطائفيين والراكعين وقد خالطت الغيوم صفاء السماء وحجبت الشمس التي أذنت في المغرب، ثم التفت إلى محمد وسلّم عليه، قطع محمد قراءته ورد السلام.

■ فقال له المسن...

- أنت من أهل الشام وأعتقد أنك من فلسطين؟

■ ابتسم محمد..

- نعم أنا فلسطيني من طول كرم ولكن كيف ميّرت أنني من فلسطين يا عماء؟

■ ارتسم على شفّتي المسن شبه ابتسامة...

- إنني أعرف أهل الشام ولهجاتهم فقد خالطتهم بالتجارة وصاهرت أهل بيسان.

■ ضحك محمد...

- هكذا إذن عرفتني فأنت من أصهارنا يا عماء، وهل زوجتك مقيمة هناك؟

- لا لقد جلبتها وقد اشترط أهلها عندما تزوجتها منذ (٢٥) سنة إقامتها عندهم، ولكن تغيرت الأحوال بعد أن استعمرت ديار الشام ووطنوا اليهود في فلسطين، فاشترت لها منزلاً في مكة قرب بيتي الآخر.

■ محمد وهو يزفر...

- نعم يا عماء لقد تمكن الاحتلال منا وتحكّم في بلادنا، فأصبحت غريباً في هذه الديار.

رفع المسن يده إلى فاهه مشيراً على محمد قطع حديثه.

- لا تقل هذا يا رجل فأنت في بيت الله ولا غربة فيه، وهذه بلاد الإسلام ومعقله فأما ما تشعر به هو الحنين إلى أرض قد اعتدت عليها وألفتها، ونحمد الله دوماً وأبداً بأن هذا الاحتلال لم يتمكن من الهيمنة على جزيرة العرب.

■ محمد بأسف..

- يا عماء لقد استغل الاستعمار مقدرات بلادي وها أنا جاوزت الأربعين من العمر وليس لي دخل ولا زوجة.

أخذ المسن ينظر إليه برهة...

■ أعتقد أنك متعلم؟

- نعم متعلم، أحسنُ ثلاث لغات أحترف العمل على الآلة الطابعة.

- جيد سوف أشفع لك عند أحد العاملين في مديرية الشؤون الخارجية لعله يعينك.

قام محمد وقبّل رأس المسن الذي شرط عليه أن يتناول طعام العشاء

عنده.



أحب محمد وظيفته الجديدة وأخذ يترجم ويطبّع، حتى وثق به رؤساؤه ورشحوه للعمل في الرياض، فغادر مكة متجهاً للمدينة ليقابل أحد المسؤولين ومن ثم يتوجه إلى الرياض، فلما قابله المسؤول اعتمد أوراقه وأركبه مع راكبين مغادرين نحو الرياض فسارت رواحلهم صباحاً.

فرأى محمد إبلاً سوداً وغلماً بينها، فطلب من رفيقيه التوقف برهة حتى يطلب من الغلام بعض اللبن فتوقفاً.

اقترب محمد من الغلام وسلّم عليه فرد السلام.

- هل تسقيننا بعضاً من اللبن جزاك الله خيراً.

- بكل سرور انزل لأسقيك.

نزل محمد بينما أخذ الغلام وعاء من خرج ناقته وأخذ يتحسس أضرع النوق يلتمس اللبن، فأخذ يحلب إحداها ثم ناوله القدح فشرب حتى ارتوى، ثم أخذ القدح فأخذ يحلب ويقول:

- اسمع يا رجل...

والله لو مررت من هنا منذ بضع سنين لما تجاسرت على الدنو من راع مثلي! هذا إن سلّمت على نفسك ووصلت سالمًا، بل كنت تشعر بالخوف من أي غريب يقترب منك، وتظن الشر به قبل الخير فلا تأمن...

لقد أمّن عبد العزيز الديار ووحد المسلمين بعد أن كانوا على شقاق وقتال، فلا يأمن أمن ولا يسلم مال فيوم لك ويوم لغيرك، فالفقير يصبح غنياً والغني يصبح فقيراً وهكذا، فأسأل الله أن يمتعنا به.

تعجب محمد من قول وفصاحة الغلام! وقال له:

- وهل ترجو عطاءً وحمداً منه على ثناءك هذا؟

نظر الغلام إليه بطرف عينه ثم ناوله القدح:

- اسقِ رفيقك ثم سيروا في طريقكم، فسوف تجد جملاً عليه قرية لبن اسقِ منها رفيقك الآخر.

ركب محمد ناقته ثم سار نحو صاحبيه، فالتفت نحو الغلام وقال:

- لم تجب سؤالي يا غلام هل ترجو حمداً من عبد العزيز؟

■ بتسم الغم وقال بصوت قوي:

- والله إنا لنحمد الله عليه يا رجل ، فقد أنقذنا الله به من شر أنفسنا فهذا هو العطاء.

تأصرت هيبة عبد العزيز ومحبته في قلب محمد لما سمع جواب الغلام ،
فناول رفيقه اللبن ثم سأل الآخر من أي القبائل هذا الغلام

انظر إلى العلامة التي على فخذ تلك الناقة ماذا ترى؟

أرى رسم رقم تسعة معكسة الاتجاه.

أريدك أن تتعرف على القبائل من وسمها يا محمد فهذا الوسم لقبيلة
الرشايدة.

ثم واصلوا طريقهم حتى دخلوا الرياض ، فاستم محمد منصبه وحظي
بمقابلة الملك عبد العزيز.



إخضاع اليمن ١٩٢٤م

توترت العلاقات بين مملكة نجد والحجاز ومرفقاتها والمملكة المتوكلية اليمنية في شأن ترسيم الحدود، فبعث الأول وفداً للنظر والاتفاق على ما قد يللمم الأمور وينهي التوتر.

كان الإمام يحيى مجتمعاً مع بعض مستشاريه في قصره المسمى بدار الحجر صباحاً، كانت نوافذ غرفة الاجتماع مشرّعة والهواء البارد ينساب بلطف من خلالها مضيفاً على المكان شعوراً رائعاً، وقف الإمام يتطلع للبيوت والناس الذين يجوبون الطرقات، فقال لمستشاريه:

- ليت لدي وزير كعلي بن صالح العماري!

تطلع المستشارون لبعضهم البعض! في حين التفت الإمام إليهم ثم قعد على عرشه.

- نعم ليت عندي مثله فهو فلكي وشاعر وأديب وأيضاً معماري فذ، فقد بنى هذا القصر على أنقاض حصن سبأ يعود لقرون عديدة السنين قبل الميلاد، وعندما حكم الترك البلاد رأوا من المصلحة هدمه، ثم أعدت أنا بنائه كما كان فهو قصر صيفي بديع كما تشعرون اليوم.

■ أحد المستشارين:

- عفواً يا مولاي ولكن ليس في الوجود اليوم رجل كعلي العماري يحوي عقله علوماً جمّة كما حواها.

أشار له الإمام بالسكوت والإنصات.

- لم أجمعكم اليوم من أجل هذا... ولكن جمعتكم من أجل أن أخبركم أن جندنا قد احتلوا نجران وطردوا قوات الملك عبد العزيز.

ذهل المستشارون من هذا الخبر المفاجئ فقالوا:

ولكن وفده وصل اليوم للتباحث بشأن الحدود!

■ الإمام بلا مبالاة:

- لا يهم أريد أن أصفعهم بهذا الأمر وقد أمرت بعض الرجال برفع الأعلام احتفالاً بضم نجران على مرأى من الوفد.

صمت المستشارون ولم يعقبوا على قوله، فقد اتخذ قراره من تلقاء نفسه وجرّ البلاد لحرب هم في غنى عنها.

رجع الوفد إلى الرياض وقد أعد عبد العزيز الجيوش للتوجه إلى اليمن وعلى رأسها نجليه سعود وفيصل، ولما شارفوا على اليمن انقسموا قسمين فيصل من الجهة الساحلية من قبل جازان، وسعود من جهة نجران وكانت وعرة جداً، فتوقف الجيش ينتظر أمر عبد العزيز بالزحف.

كان الإمام يحيى يرسل البرقيات مخاطباً الملك بوقف الجيش، حتى يتسنى لهم الاتفاق على رسم الحدود.

■ فرد جوابه:

- إن لا مفاوضات مع رجل مخادع، لم تفلح معه المعاملة الحسنة وتجنّب العباد ويلات الحروب، ولو ركنت لمفاوضاتك لانتهيت بك وأنت على مشارف الطائف.

فأبرق لابنيه يأمرهما بالزحف.

استمرت الحرب بين الطرفين عدّة أشهر توغلت فيها القوات في اليمن حتى الحديدية واستولت عليها، ولم تتمكن قوات الإمام يحيى من صد زحف جيش الملك عبد العزيز، وأصابه الذعر وطار صوابه لما فقد الحديدية المدينة الذهبية لليمن والتي تزخر بالخيرات، كما تحرك ناقوس الخطر الأوروبي أيضاً وخشيت إيطاليا وفرنسا وبريطانيا من هذا التوسع الجديد للملك عبد العزيز وتحكمه في هذا المعبر الهام، وأرسل الإمام يحيى برقية للملك يقسم له فيه أنه مائل للصلح، وأنه على استعداد للبت في مسألة الحدود على الفور والتوقيع عليها.

علم الملك بالتوتر الأوروبي، وردّ على رسالة الإمام يحيى بأن قواته باقية حتى يفصل في أمر الحدود ويجب عليه إرسال رجاله إلى الطائف لعقد الاتفاق حالاً ومن غير تأخير. ثم أبرق لابنيه بأن يأخذا الحيطة والترقب حتى يأتيهما أمره.

رسمت الحدود وعادت الحديدية لليمن وبعض المدن التي استولى عليها جيش عبد العزيز، فانسحبت الجيوش منها بعد أن أصاب القلق بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من احتلال عبد العزيز للحديدة.

كان عبد العزيز مصطفاً في قصر شبرا في تلك الأثناء، فدخل عليه عبدالله فيلبي باكياً!

■ فتعجب منه وأحس أن مكروهاً وقع له:

- ما لك يا عبدالله ما هذا البكاء هل فقدت أحد أبنائك!

■ عبدالله وهو ينشج:

- كيف يا سيدي وافقت.. كيف استسلمت وأنت الرابع!

■ فعرف ما يرمي إليه:

- لقد كان خيراً لنا ولهم يا عبدالله.

- عبدالله وهو يمسح دموعه بكفيه :
 - والله أنت أحق بما قد كسبته من أراضٍ فكيف تتنازل عنها بسهولة وكأنهم هم الرابحون!
- رأى عبد العزيز مدى إخلاص عبدالله له وحبّه لهذه البلاد فقال له :
 - يا عبدالله إن اليمن لأهله ولا أريد الدخول في معارك لا طائل منها تنهك الرجال وتبدد الأموال، وتدخلنا أيضاً في تقلبات سياسية مع الأمم، بل يجب أن أتطلع لبناء هذه الدولة التي تحت مسؤوليتي.
 - فكف عبدالله حينما بدت له مدى حكمته.

* * *

المملكة العربية السعودية ١٩٣٥م

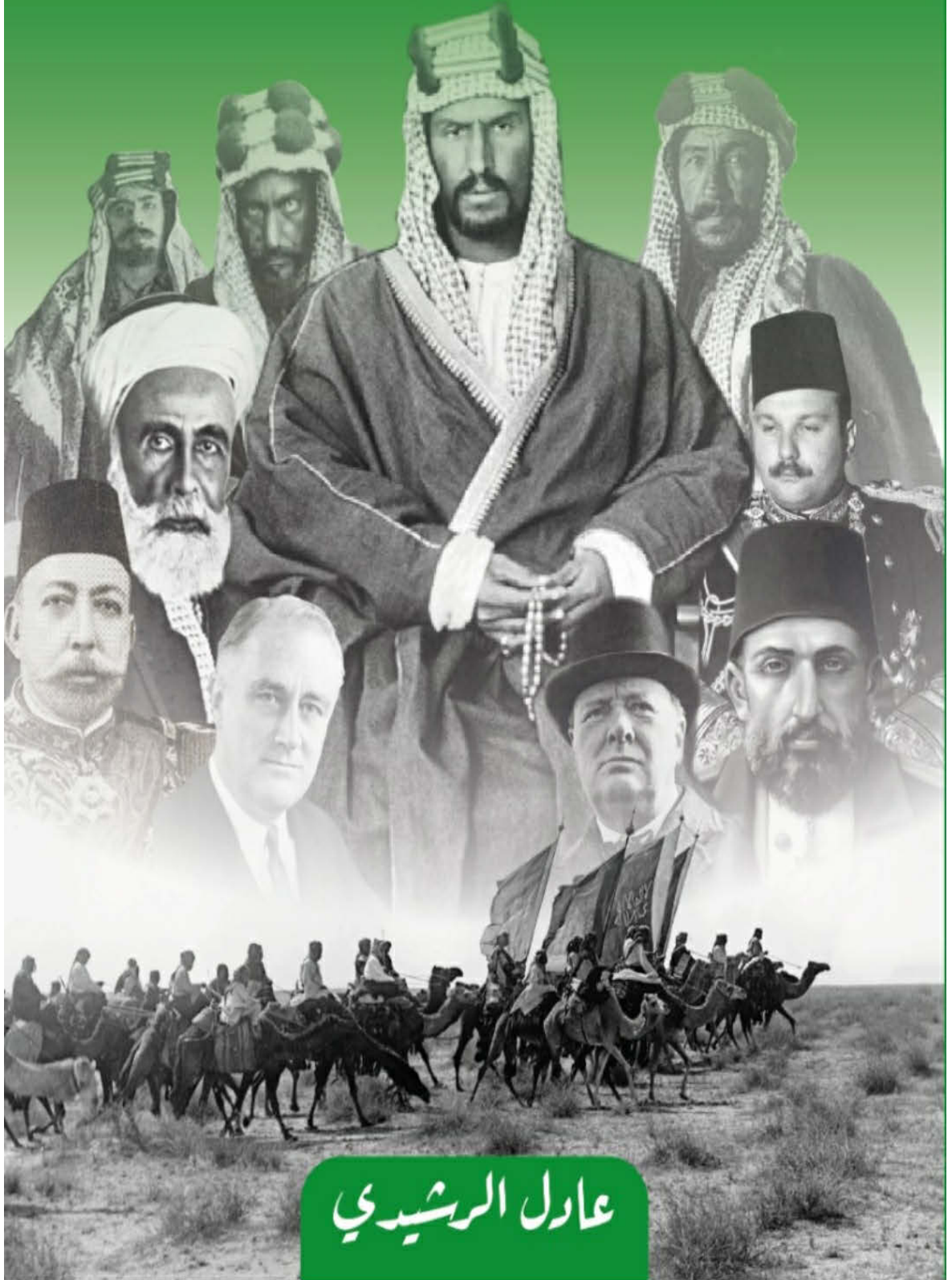


الملك عبد العزيز آل سعود (مؤسس المملكة العربية السعودية).

عندما استقرت البلاد ورسمت حدودها وبانت وانضمت إلى العالم الحديث، تقدم بعض مفكري البلاد للملك وعرضوا عليه اسماً للبلاد عوضاً عن مملكة نجد والحجاز وملحقاتها، اسماً ينم عن البلاد ووحدتها من غير فرقة لها وتز فاقترحوا عليه اسم «للملكة العربية لسعودية» راق ذ ال عبد العزيز ورتنفذه فشاع اسم الة في البلاد وحول اعام.

عزلة

حينما يتسم القدر



عادل الرشدي

روح العالم في جزيرة العرب ١٩٣٨م

مع مضي السنوات بدأت بعض البلدان الغنية بقطع معونتها عن المملكة وبعضها قلّ لها، فأصبحت البلاد على شظف من العيش وساءت أحوالها، حتى أن بعثة التنقيب الأمريكية قد ملّت وكَلّت من البحث والحفر عن النفط وقد استمرت ست سنوات في التنقيب، بعد أن وجدت النفط في السواحل الغربية للبلاد، بيد أن ذلك النفط لا يغطي حاجات البلاد ولا يرضي طموحاتهم. فكادت البعثة أن تتوقف لولا حثّ الملك لهم بالصبر والمثابرة، فاستمروا أشهراً حتى تفجّر النفط فجأة!

وأخذ يتطاير في الهواء ثم يسقط عليهم، كانت الفرحة عارمة جداً ولا توصف بعد هذه السنوات من البحث في صحراء خالية على عروشها هذا إن وجدت لها عروش.

عمّت البلاد الفرحة بظهور كنوز الأرض وسلعة العالم الحديث ومصدر حضارته، فبدأ العمل لتصديره للعالم بعد أن تبين للبعثة أن روح العالم يكمن في بطن جزيرة العرب.

* * *

ظهر النفط في الكويت أيضاً وتحركت على إثر ظهوره حركة تنادي بتداول السلطة بين أهل الكويت، وساند هذه الفكرة وأيدها حكومة العراق التي طمعت في الهيمنة على الكويت، وحذّرت أميرها بلسان الملك غازي ابن فيصل بن الحسين من مغبة قمع أو سجن المنادين بتلك الفكرة، فأرسل

أمير الكويت الشيخ حمدا صباح رساة سرية عبد العزيز يشرح تطاول هؤلاء المواطنين عليه وأنه عاجز عن ردهم خشية هجوم العراق على دولته.

■ فأجابه :

بأن يتأنى ولا يظهر لهم شيئاً، حتى يحشد قواته على حدود الكويت ثم يقمع الفتنة.

طريق ابن هدبه

بعد عدة اسابيع كان الملك عبدالعزيز قد سار بجيشه لحماية ونصرة الكويت و كان مشلح ابن هدبه دليل ذلك الجيش حيث قاده من الرياض الى حفر الباطن مجنبا الجيش الطرق الوعرة حتى لا تتعطل الآلات الميكانيكية التي صحبت ذلك الجيش، أعطى الملك عبدالعزيز الشيخ أحمد الجابر الإشارة، وأمر الشيخ أحمد قبيلة الرشيدة بتمشيط المعارضين، فقمعت الفتنة من الكويت وهرب من هرب إلى العراق، وحاوالات حكومة العراق أن تحرك قواتها، إلا أن تحذيراً شديد اللهجة أتاهم من الملك عبد العزيز ينذرهم مغبة تصرفهم وإلا كانت نتيجته إسقاط بغداد، فتراجعوا أدراجهم وعدلوا عن الإقدام مع تقدم الملك عبدالعزيز و نزوله في جيشه الآلي في الصبيحية.



الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)



الملك عبد العزيز آل سعود وروزفلت.

بدأت الناقلات تنقل نפט الجزيرة إلى العالم الذي بدأ نشاطه يقوى على الصناعة، كما توافدت الأموال إلى خزانة المملكة، ومعها بنيت المدارس والمشافي ودعمت الصناعة والزراعة، ووزعت الأطفمة وتحسنت الحال، بيد أن!

نذير حرب بدأ يلوح في الأفق...

فأذن مؤذنها وقام صلاها وذاقت أوروبا لظاها واستعرت نارها في العالم، فشلت حركة العمل وجتد الرجال للحرب لا غير فتوقفت الحياة.

ذاقت أوروبا وخاصة فرنسا وبريطانيا ويلات الحرب كما أذاقوها العرب فعجلت الدائرة عليهم، فدكت ديارهم التي بنيت بالجور والغصب من دماء المغلوبين على أمرهم، واشتعل العالم من مشرقه ومغربيه وجنوبه وشماله. جتّب عبد العزيز شعبه لهيب الحرب الذي أصبح في وسطها، وانقطعت أنفاس بلاده بعد أن تنشقت نسيم الحياة...

مرّت ثلاث سنوات بمرارتها وفضاعتها التي لم تمر على تاريخ البشرية مثيلاً لها، وتسارعت الدول لصناعة آلات الفتك والخراب، وقد كانت الكفة راجحة في كف دول المحور.

في خضم تلك الأحداث والتقلبات في مجريات السياسية الدولية، لاح في الأفق دخول الولايات المتحدة الأمريكية مجريات العمليات، فعقدت اتفاقية بينها وبين المملكة، وتوجّه الرئيس الأمريكي روزفلت إلى مصر ثم أبحر إلى قناة السويس حيث البحيرات المرة، وتوجه إليه الملك عبد العزيز ببعض مرافقيه.

ووصل على إحدى البوارج الأمريكية، ومن ثم انتقل بتثاقل إلى المدمرة الأمريكية التي عليها الرئيس الأمريكي المقعد على كرسي ذي عجلات، فبعد الترحيب دار الحديث في شؤون البلاد وطلب الرئيس الأمريكي من الملك تخفيف لهجته الشديدة المعادية للسامية والتي ظهرت في الصحف العربية والعالمية.

■ مما دعاه ليقول:

- لن أصمت أبداً عن قول الحق، واليهود استوطنوا أراضي فلسطين بعد أن لفظتهم أوروبا، أفلم يجدوا سعة في أراضيها حتى يرحلوا إلى بلادنا.

■ روزفلت مبتسماً:

- إن هذه الأرض لهم منذ القدم وقد رحلوا عنها مجبرين وتشتتوا في البلاد.

■ **ابتسم الملك ابتسامة عريضة:**

- وهل نحن من أجبرهم؟

■ **روزفلت:**

- لا ليس أنتم... بل الرومان...

■ **الملك:**

- إذاً أجدادكم من رحلّوهم لعلمهم بأنهم أهل مكر وشر، وإن ما ترى من استعمار العالم من مكائدهم، فقد أسعروا نار الحرب الأولى، ثم أخذ الألمان بالفتك بهم لما كانت لهم اليد الطولى في تقسيم بلادهم، ورحلتهم بريطانيا إلى أراضينا خوفاً من مكرهم واتقاء شرهم. أما قولك أنها كانت أرضاً لهم فهذا كلام ليس في محله، فقد استوطن العرب فلسطين قبلهم، فنطلب ترحيلهم إلى أي مكان كان في العالم غير هذه البقعة التي ستثير النزاعات المستقبلية.

■ **روزفلت:**

- أعذك أنني سأدفع في هذه القضية ما حييت.

ثم قاما لتناول طعام الغداء المعد على متن السفينة وقد لاحظ روزفلت تناقل الملك في نهوضه وتباطؤ حركته فقال له:

- لقد شخت وكبرت يا أسطورة الصحراء.

■ **الملك مبتسماً:**

- لكل شي بداية ونهاية ما خلا الله (ﷻ)، وإنما أفنينا عمرنا في لَمّ شعث هذه البلاد ووحدتها.

بعد أن تناولوا طعام الغداء واستعد الملك للعودة لبلاده، أهداه الرئيس الأمريكي كرسيه المتحرك.

ولما غادرت السفينة بهم كان الرئيس يلوح لهم بيده مودعاً.

فتحدث أحد الرجال لزميل له بقربه...

- يقولون إن بسمارك داهية الألمان وتشرشل داهية الإنجليز وستالين داهية روسيا، فوالله إن هذا الرجل الذي رأيت لأشد منهم دهاء. نظر إليه زميله بينما ظل هو ينظر إلى السفينة التي أقلت الملك عبد العزيز، وأخذت تمخر عباب البحر.

■ فقال: وكيف هذا وما هو برهانك؟

- إن ذلك الرجل حكم أمة ممزقة ملؤها البغضاء والشحناء وقد سادها الجهل قروناً عدة، فأتاهم كالغيث للبيداء القاحلة فأحيها، أما من ذكرت فقد وجدوا بيئة تعقل أمورها وتنقاد لما يصلحها، فعبد العزيز خاضد الدهاء عن جدارة بلا ريب.

* * *

ولة الصهاينة ١٩٤٥م



المسجد الأقصى في مدينة القدس قديماً.

وضعت الحرب أوزارها بعد أن أفل نجم من بدؤوا الخصام، وظهر نجم دولتين على أنقاضهم، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية التي تتخيل وتمثل بالعدل والمساواة وتدعو لنهجها الرأسمال بينما الأولى على نقيضها، فشك الأمم المتحدة حتى تتجنب العالم حرباً تكون فيها نهايتهم تماماً، وتحل مشكلاتهم تحت سقف تلك الجامعة.

توفي الرئيس الأمريكي روزفلت وخلفه ترومان الذي عزز استيطان اليهود واعترف بقيام دولة إسرائيل، فقامت نائرة العرب فسلح الملك عبد العزيز المجاهدين سرّاً وأمرهم وحثهم ولم يعلن الحرب علانية حتى لا يزعج بلاده ف حرب لا قبل لها بها وغير متافئة الجانب لم يفتح العرب ف ردع قيام

الدول اليهود الصهيونية التي عمت بن القوى العظمى، واعترفت بها نما
ظلت الأماكن المقدسة تحت الوصاية الدولية.

* * *



الوصية

ظل الملك عبد العزيز يصلح حال بلاده وينميها علمياً وعمراً، وكان في أواخر حياته يعجز عن المشي فيتنقل بكرسي روزفلت وقد أسماه الحصان، فعندما يريد الذهاب من مجلسه يأمر بإحضار حصانه، فلما أحس باقتراب أجله كتب وصيته:

إلى خليفتي من بعدي...

اعلم أننا نحن والناس جميعاً! لا نعز أحد ولا نذل أحد، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا، ومن اغتر بغيره عيادا با وقع وهل، موقفك اليوم غير موقفك بالأمس، فينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

- أولاً:

نية صالحة...

واعزم على أن تكون حياتك وديندك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقات خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه، فتعبد له في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك على برمان وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة، ولا صلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق أو العمل الخفي بين العبد ورب.

- ثانياً:

عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم، فانصح لهم في السر والعلانية، وأعدل في المحب والمبغض، وحكم الشريعة في الدقيق والجليل، وقم بخدمتها باطناً وظاهراً، ولا ينبغي أن تأخذك في الله لومة لائم.

- ثالثاً:

عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة، وفي أمر أسرتك خاصة، اجعل كبيرهم والداً وأوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً، وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم وانصح لهم واقض حوائجهم بقدر إمكانك، كما أوصيك بعلماء المسلمين خيراً. احرص على توقيهم ومجالستهم والأخذ بنصحهم، واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة فاحفظ الله يحفظك.

فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فأبشر بالخير...

إلى العزيز

في إحدى ليالي شهر تشرين الثاني / نوفمبر كان عبد العزيز جالساً في مجلسه الذي حفه أبناءه وأحفاده وآل سعود ومستشاريه وضيوف، يأنس بحديثهم ويؤنسهم بأحاديثه فلما أحس بالإرهاق قال للخادم:
أحضر حصاني.

فضحك الحضور فودعهم بابتسامته المعهودة.

* * *

وفاة جلالة الملك عبد العزيز في الساعة الثالثة والنصف من يوم الاثنين

مبايعة جلالة الملك سعود ملكاً على المملكة العربية السعودية

جلالة الملك سعود المعظم يسند ولاية العهد الى سمو الامير فيصل

| | | | | |
|---|---|--|---|---|
| <p>مقره عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع</p> | <p>مقره عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع</p> | <h1>البلاد السعودية</h1> <p>الجمهورية العربية السعودية</p> | <p>مقره عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع</p> | <p>مقره عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع عدد طوابع</p> |
|---|---|--|---|---|

بما الملك
بلاغ
٢

أعلن جلالة الملك سعود المعظم مبايعة سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية، وذلك في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاثنين الموافق ١٣٠٢ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ م.

بما الملك
بلاغ
٢



مات الملك
بلاغ
١

أعلن جلالة الملك سعود المعظم وفاة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، وذلك في الساعة الثالثة والنصف من يوم الاثنين الموافق ١٣٠٢ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ م.

مات الملك
بلاغ
١

بلاغ
١

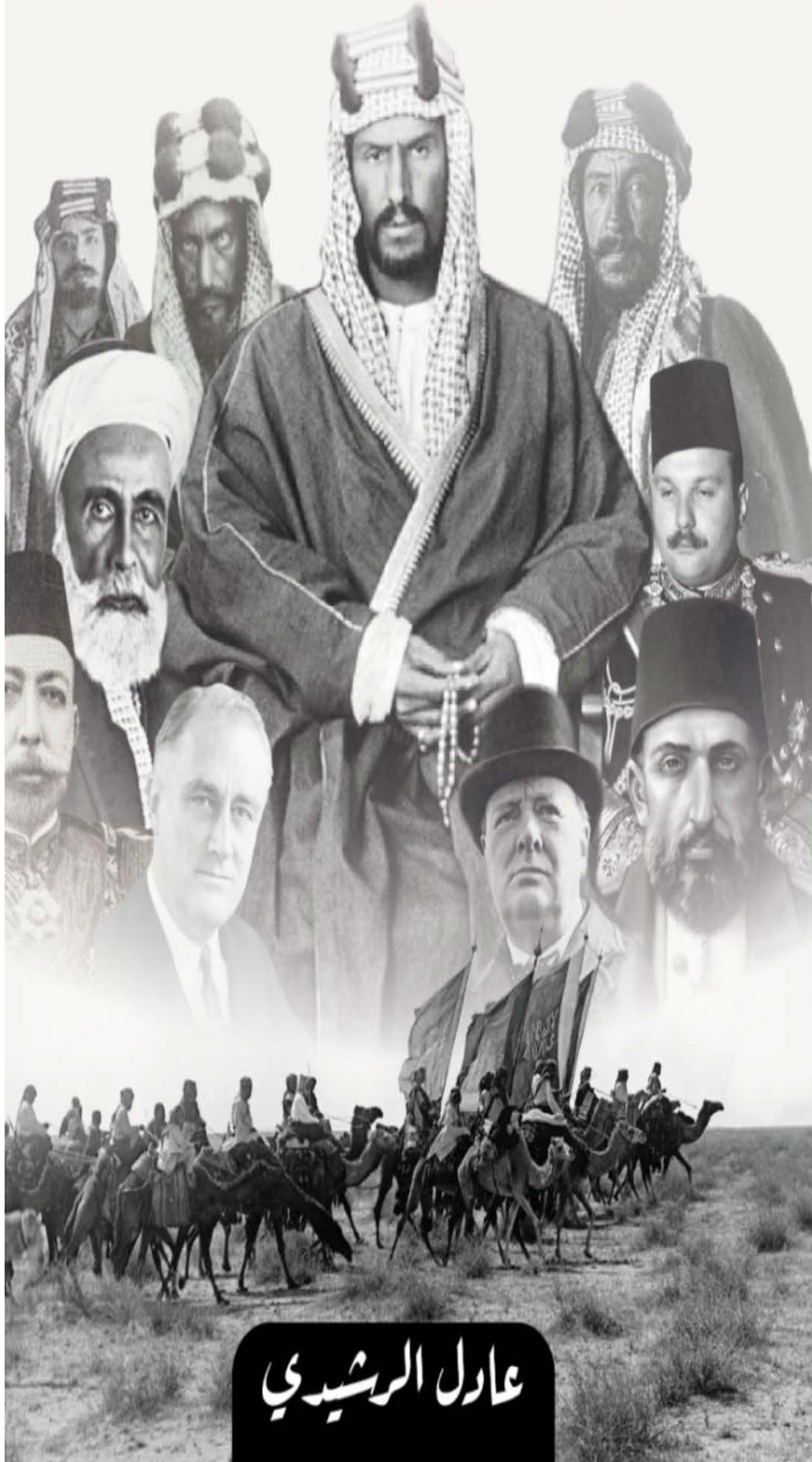
أعلن جلالة الملك سعود المعظم وفاة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، وذلك في الساعة الثالثة والنصف من يوم الاثنين الموافق ١٣٠٢ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ م.

المصادر والمراجع

- ١ تاريخ المملكة العربية السعودية
د. عبدالله العثيمين.
- ٢ تاريخ الكويت
عبد العزيز الرشيد.
- ٣ شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز
خير الدين الزركلي.
- ٤ لماذا أحببت ابن سعود
محمد أمين التميمي.
- ٥ معارك الملك عبد العزيز الم هورة لتوحيد البلاد
د. عبدالله العثيمين.
- ٦ مخطوطة الراوي
محمد بن علي العبيد.
- ذكرات خالد العدساني.

عز الدين

حينما يتسم القدر



عادل الرشدي

فهرس المحتويات

| | |
|----|--------------------------|
| ٥ | الإهداء |
| ٧ | بوح المؤلف |
| ١١ | مدخل الرواية |
| ١٣ | الفصل الأول: ٢٥ صيفاً |
| ١٥ | الكويت ١٨٩٦م |
| ١٧ | مبارك الكبير |
| ٢١ | بداية النهاية |
| ٢٥ | حبائل الأقدار |
| ٢٧ | الصريف ١٩٠١م |
| ٢٩ | على عتبات الرياض |
| ٣١ | عقاب المنهزم |
| ٣٣ | الموقف العثماني من مبارك |
| ٣٥ | خطوات نحو الرياض |
| ٣٧ | عربيد الخيل |
| ٤١ | انطلاقة التوحيد ١٩٠٢م |

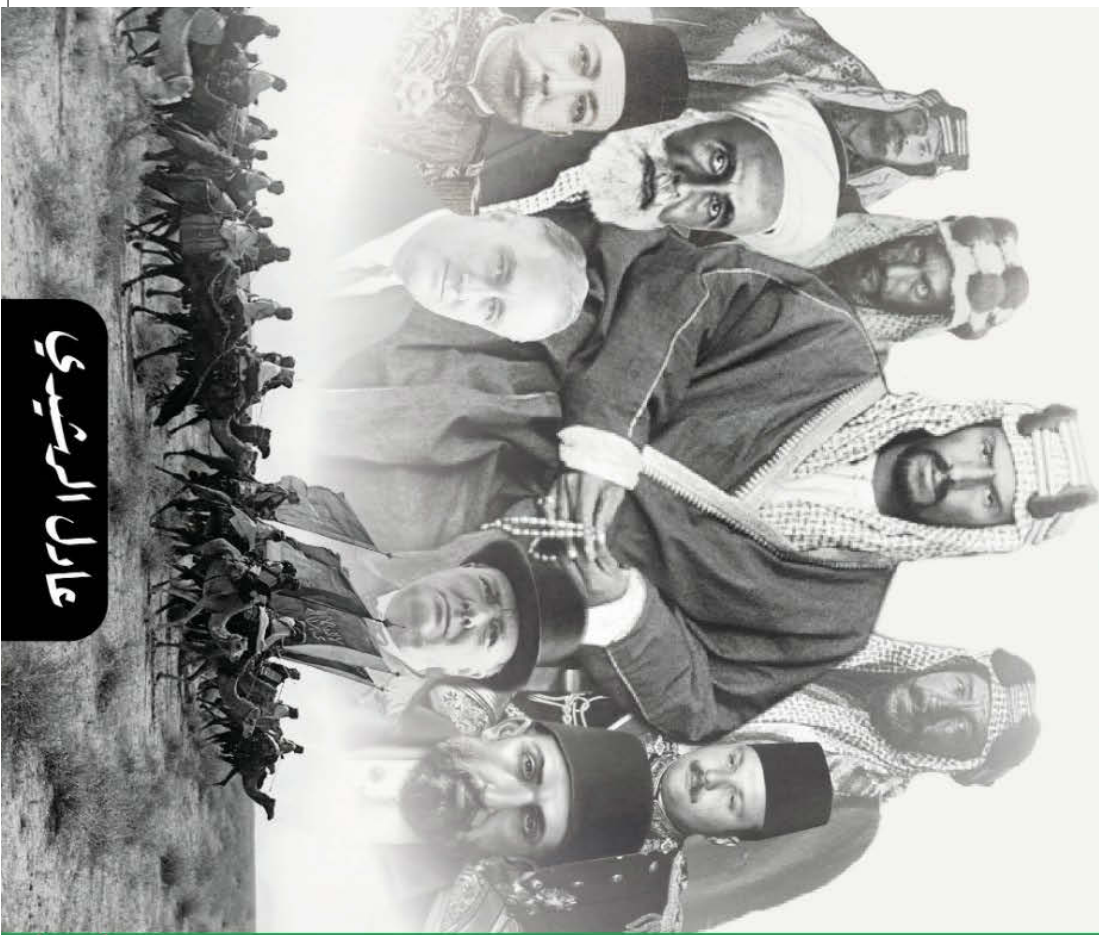
| | |
|-----|-------------------------|
| ٤٧ | الفصل الثاني: ٢٥ خريفاً |
| ٤٩ | شكراً لله |
| ٥٣ | كوكس وشكسبير |
| ٥٥ | وجهاً لوجه |
| ٥٩ | جولبن ١٩٠٣ م |
| ٦٣ | سلام الموت |
| ٦٥ | وقعت الواقعة |
| ٧١ | القصيم ١٩٠٤ م |
| ٧٥ | البكيرية |
| ٨١ | الشنانة |
| ٨٣ | إسلام بول ١٩٠٦ م |
| ٨٧ | نجد |
| ٩٥ | اغتيال |
| ٩٩ | الطرفية ١٩٠٧ م |
| ١٠١ | ١٩٠٨ م |
| ١٠٥ | محن وبلايا ١٩١٠ م |
| ١١٥ | إحداق الخطر وبناء الهجر |
| ١١٩ | مدّ يد العون للكويت |
| ١٢٥ | الإحساء ١٩١٣ م |
| ١٢٧ | عمعوم |
| ١٢٩ | السلطان عبد العزيز |

| | | |
|-----|-------|-------------------------------|
| ١٣٥ | | حرب الأمم ١٩١٤ م |
| ١٤١ | | جراب ١٩١٥ م |
| ١٤٣ | | كنزان |
| ١٤٧ | | تركي بن عبد العزيز |
| ١٥٧ | | وفاة الشيخ مبارك ١٩١٦ م |
| ١٦١ | | هاري فيليبي ١٩١٧ م |
| ١٦٣ | | نهاية الدولة العثمانية ١٩١٨ م |
| ١٦٥ | | خالد بن لؤي |
| ١٦٧ | | مقدم القرابين |
| ١٦٩ | | عشيرة ١٩١٩ م |
| ١٧١ | | جدة القنصلية البريطانية |
| ١٧٣ | | تربة |
| ١٨١ | | حجلا ١٩٢٠ م |
| ١٨٣ | | سالم المبارك ١٩٢٠ م |
| ١٩١ | | حمض |
| ١٩٣ | | ميسلون |
| ١٩٥ | | حائل |
| ١٩٩ | | السور الثالث |
| ٢٠١ | | القصر الأحمر |
| ٢٠٥ | | السيرة تفضي عن السيرة |
| ٢٠٩ | | القدس |

- أحمد الجابر ٢١٣
- فيصل بن عبد العزيز ٢١٥
- الحجاز ١٩٢٣م ٢١٩
- الطائف ٢٢٧
- مكة المكرمة ٢٣٣
- التزموا الحياد ٢٣٧
- إلى قبرص ٢٤٥
- جدة ١٩٢٤م ٢٤٩
- مكر الله ١٩٢٧م ٢٥٣
- دوي الفتن والملاحم ١٩٢٨م ٢٥٧
- فتنة المنشقين من الإخوان ١٩٢٩م ٢٦٣
- نهاية المنشقين ١٩٣٠م ٢٦٩
- عين رضا ٢٧١
- النقاير ٢٧٣
- الشعراء ٢٧٥
- الفصل الثالث: ٢٥ شتاء ٢٧٩
- مملكة نجد والحجاز وملحقاتها ١٩٣١م ٢٨١
- الذهب الأسود ١٩٣٢م ٢٨٣
- انقلاب الموازين ٢٨٧
- إخضاع اليمن ١٩٣٤م ٢٩٧
- المملكة العربية السعودية ١٩٣٥م ٣٠١

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٣٠٣ | روح العالم في جزيرة العرب ١٩٣٨ م |
| ٣٠٥ | الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥ م) |
| ٣٠٩ | دولة الصهاينة ١٩٤٥ م |
| ٣١١ | الوصية |
| ٣١٣ | إلى العزيز |
| ٣١٧ | المصادر والمراجع |

حينما يتسم القدر



عادل الرشيدى

رواية حينما يتسم القدر

2020

عادل الرشيدى



● رواية تاريخية تروي الأجيال كيف جالغ الأبناء لبناء هذا الوطن وكيف تكاتفوا ونمناسكوا وسط أوقات العناء التي تزيد همة وطنهم.

● د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود سمو الملكي الأمير القاصم أمير

● استطلاع الروايات والمؤرخ والمؤرخ عادل الرشيدى استنطاق التاريخ بحدود الرواية. المؤرخ أ.د. عبد الله العثيمين (رحمه الله) ،

● صياغة فنية وجذبة إبداعية وتمكن من مفاصل الأحداث التاريخية التي تجعلنا نعيش حدث هذه الرواية. الباحثة والمؤرخة أ. راشد العساكر

● نجد .. صرح الأستاذ عادل الرشيدى أو روايته (حينما يتسم القدر) هي صرخ مدف يرتد صدات الـ ٥٥ صفا التي تحكي حلم الملك عبد العزيز في بداية الزاوي وصحة الـ ٥٥ حيزها التي تساطعت فيها أوراق الحلم ليحل مكانها أوراق تفسير الحلم وتحقيقه على أرض الواقع وحلت جوهرة الناج قمر الـ ٥٥ شتاء التي تكامل فيها بناء قطب دولة تسمى المملكة العربية السعودية كانت ومازالت محوراً أساسياً الأحداث الشيق الأوسط

الكاتب فهد ابن حمدي

● استطلاع الروايات عادل الرشيدى أن يلهم شمل موضوعه ووثقت بحدارة أنه قادر على الإحاطة بالفترة الرئيسة من حال حيكة مفقده وسرد متقن.

● رواية لها عمقها التاريخي مما يجعل القارئ يحيط بتفاصيل قيام المملكة العربية السعودية.

● د. فهد ابن صبح

● ووجود ما وقعت عليه لم أجد عملاً أدبياً وثق سيرته وتبني مراحل حياته وفق بناء سردي أصيل إلا هذا العمل الموسوعي حينما يتسم القدر.

أ.د. عبد الله السويك



عادل الرشيدى

مؤرخ وروائي

عمو رابطة أدباء الكويت
عمو رابطة أدباء الشام
حاصل على دبلوم هندسة طران
من NETSARA الولايات المتحدة
الأمريكية

مؤامات:

- ١- روايته زكيات الموت.. ملحمه حانس وتفوية.
- ٢- روايته حينما يتسم القدر.
- ٣- الكويت و قبيلة الرشيدية كتاب تاريخي.
- ٤- روايته بيسان الحب والكرامه.
- ٥- المحاصر المين في سريره حاتم الزينين.
- ٦- همدان سبيل ابو فليم.
- ٧- سبيل ابو ملحمه حانس والفقيه.

دراسة نقدية

أ.د. / عبدالله بن خليفة السويكت



تقنية الزمن في رواية (حينما يتسم القدر) لعادل الرشدي "مقاربة بنيوية"

أ. د. عبدالله بن خليفة السويكت

اعتنى البحث بدراسة تقنية من تقنيات السرد الروائي ألا وهي تقنية الزمن في رواية (حينما يتسم القدر) لعادل الرشدي، وهي رواية تحكي سيرة الملك المؤسس عبدالعزيز رحمه الله التي أحسن السارد بخياله التاريخي عرضها وأجاد، وتعد هذه التقنية من أهم البنيات السردية عند أصحاب المنهج البنيوي لكونها تحاكي الأحداث والوقائع زمنياً، وتبرز قدرة السرد الروائي على عرض تلك الأحداث وأساليب بثها في ذهن المتلقي بالإضافة من تقنيات الاستباق والاسترجاع، وإيقاع التسريع الزمني للأحداث أو تبطيئه بما يمتلكه السارد من طرائق فنية مختلفة شكلت بتنوعها واختلافها بنية الرواية.

The structure of time in the novel (When the Fate Smiles) by the novelist Adel Al-Rashidi

Prof. Abdullah Bin Khalifah Al-Suwaiket

This paper attempts to study the time technique as one of the novelistic narrative techniques in Adel Al-Rasheedi's novel When Destiny Smiles [hynama yabtasim alqudr]. The novel narrates the biography of the late King Abdulaziz (May God Bless his Soul). The narrator of the novel has excelled in interweaving the biography through his historical imagination. According to structuralists, this technique is one of the major narrative constructs. It historiographically reflects the events and incidents of that time. It shows how novelistic narrative is skilfully manipulated to present these incidents through using strategies such as flashback (analepsis), flash-forward (prolepsis), and changing the tempo of incidents. The narrator has manipulated those diverse narrative strategies in forming the structure of the novel.

قدم للنشر في ١/٢٨/١٤٤٠هـ، وقبل للنشر في ٧/٧/١٤٤٠هـ)

Department of Arabic Language -
College of Education - Zulfi
Majmaah University

قسم اللغة العربية - كلية التربية
بالتلزي - جامعة المجمعة

a.alswiket@mu.edu.sa

شهد الأدب العربي في العصر الحديث إقبالاً واضحاً على القصص التاريخي، ومهد لذلك مؤلفو المسرحيات التاريخية و مترجموها، ومن السرد التاريخي رواية (حينما يبتسم القدر) للروائي عادل الرشيد الذي سطر سيرة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وتتبع مراحل حياته، وفق بناء سردي من خلال عمله الأصيل الموسوم ب(حينما يبتسم القدر)، فقد رصد تحركاته، ووثق بطولاته، ورسم فروسيته ببراعة جمعه المعلومات، متكئاً على خياله التاريخي، متتبعاً حياته من سني شبابه في الكويت إلى حين تحقيق غاية آمانياته وهي استعادة ملك آباءه وأجداده بفتح الرياض (الأرض الحلم) إلى أن ختم ذلك بوصيته إلى من سيخلفه من بعده.

ستركز الدراسة على تقنية الزمن باستخدام المنهج البنوي؛ وقد اخترنا الزمن؛ لأنه من أهم البنى التي تتصل بالسرد، حتى إننا نستطيع القول: إنه أهم البنيات النصية، وأخطرها شأناً، وأكثرها تحكماً في السرد الروائي.

مفهوم الزمن وأهميته:

قبل أن نتناول مفهوم الزمن يجب أن نشير إلى أننا كي نفهم بنية النص السردي عمومًا بما فيه الزمن، وندرك طبيعته الداخلية، يجب أن نعرف أن البنيويين وعلى رأسهم توماتشفسكي ميزوا بين دعامتين في الحكى: المتن، والمبنى، فيؤكد بدءاً أن لكل حكي أدبي مظهرين متكاملين: إنه في آن واحد: قصة وخطاب، فالحكي قصة يعني الأحداث في ترابطها وتسلسلها وفي علاقاتها بالشخصيات في فعلها

وتفاعلها، أي القصة كما يفترض أنها جرت بالفعل، أما الخطاب فيظهر لنا من وجود الراوي الذي يتولى تقديم القصة، وبحيال هذا الراوي هناك القارئ الذي يتلقى هذا الحكى، ففي الحكى قصة يجري فيها التمييز بين مستويين هما: منطق الأحداث من جهة والشخصيات وعلاقاتها بعضها ببعض من جهة ثانية. أما الحكى بوصفه خطاباً فيركز في تحليله على ثلاثة جوانب: زمن الحكى، وجهات الحكى، وصيغ الحكى^(١).

ومن هذا المنطق عُنيت الدراسات البنيوية بالزمن حتى إننا نستطيع القول: إنه أهم البنيات النصية، وأكثرها تحكماً في السرد الروائي؛ لأن "الزمن يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية ويشكلها"^(٢).

وعلى الرغم من أن مفهوم الزمن قد شغل حيزاً كبيراً في دراسات النقاد والباحثين فإنه لا يزال موضوعاً ذا بال، طرقة الباحثون من وجهات مفهومية مختلفة كالمفهوم النحوي للزمن، والمفهوم اللساني، والمفهوم الأدبي، والمفهوم الفلسفي، والمفهوم الأسطوري، والمفهوم الديني، والمفهوم النفسي؛ ولطبيعة دراساتنا التي تتوخى الاختصار فإننا سوف نتناول مفهوم الزمن من وجهة نظر الروائيين؛ لأنه يشكل لديهم "لحمة الحدث، وملح السرد، وصنو الحيز،

(١) ينظر: يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد،

التبشير)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م، ص ٣٠.

(٢) قاسم، سيزا، بناء الرواية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٩٨٤م، ص ٢٦.

وقوام الشخصية"^(٣)؛ لهذا أضحي الزمن عنصراً أساسياً "في السرد الروائي، وهو محوري تترتب عليه عناصر التشويق والاستمرار، كما أنه نسبي يختلف من شخصية إلى أخرى، ومع ذلك فإنه ليس للزمن وجود مستقل في الرواية، وإنما هو يتخللها كلها"^(٤).

ويشكل الزمن في الخطاب الروائي "تقنية من أدق التقنيات التي تؤثر مباشرة في البنية العامة للرواية، وهي التي تحكم الأزمنة المتغيرة في نطاق رؤية الراوي العامة، وبها تتمكن الرواية من الاستجابة لهذه الرؤية في نهاية الأمر"^(٥).

ففي فرنسا يعد ميشال بوتور أحد مؤسسي فكرة الزمان والمكان في الرواية الجديدة، فهو يرى أنه ليس للزمن وجود موضوعي، بل هو ينبع من أفعالنا، ويكوّن منا علاقة جدلية يحقق نفسه بها، ونحقق نحن وجودنا به أيضاً، فالزمن ليس محتوى تتكسد فيه الأحداث، إنما هو يرتبط ويتعلق بنا وبحركات وجودنا^(٦).

(٣) مرتاض، عبدالملك، في نظرية الرواية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م، ص ٢٠٧.

(٤) عزام، محمد، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٦م، ص ١٢١.

(٥) المحادين، عبدالحميد، التقنيات السردية في روايات عبدالرحمن منيف، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م، ص ٦١.

(٦) ينظر: جرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم، مصر، دار المعارف، (د.ت) ص ١٥٢.

أما تودوروف فإنه يفرِّق بين زمن القصة وزمن الخطاب، "فزمن الخطاب هو بمعنى من المعاني زمن خطي، في حين أن زمن القصة زمنٌ متعدد الأبعاد؛ ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد، لكن الخطاب ملزم بأن يرتبها متتاليًا يأتي الواحد فيها بعد الآخر"^(٧).

وتعد دراسات الناقد جيرار جنيت تتويجًا لما سبقها من الدراسات، وتلخيصًا لنتائجها وتصوراتها، فقد تمكن من معالجة الزمن معالجة عميقة، وصل بها إلى مرحلة النضج، فهو يرى أن "الحكاية مقطوعة زمنية مرتين، هناك زمن الشيء المروي، وزمن الحكاية زمن المدلول، وزمن الدال"^(٨)، وبناءً على دراسته تلك تحددت لديه ثلاث علاقات تتمثل في علاقة الترتيب الزمني للأحداث، والمدة الزمنية أو الاستغراق الزمني، أو ما يسميه بعض النقاد بـ(إيقاع السرد) وأثره في تسريع زمن السرد أو إبطائه، وأخيرًا علاقة تكرار الأحداث في كل من القصة والحكاية كالتواتر الإفرادي، والتواتر التكراري، والتواتر الإعادي، وبعض تلك العلاقات هي ما ستقوم عليها دراستنا لتقنية الزمن في رواية (حينما يبتسم القدر) بإذن الله.

(٧) تودوروف، تزفيطان، طرائق تحليل السرد الأدبي (مقولات السرد الأدبي)، ترجمة: الحسين سحبان، وفؤاد صفا، الرباط، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ١٩٩٢م، ص ٥٦.

(٨) جنيت، جيرار، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: محمد معتمد، وعبدالجليل الأزدي، وعمر حلي، الهيئة العامة للطباعة الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٤٥.

رواية (حينما يبتسم القدر):

شخصية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - شخصية فذة في خصائصها، عبقرية في تصرفها، نادرة في إنجازاتها، نفذ الملك عبدالعزيز مشروعه الحضاري الذي كان يتطلع إليه، وبنى دولة قوية الأركان، شامخة البنيان، واستطاع بفضل الله ثم بحنكته أن ينشر الأمن في أرجاء هذه البلاد الممتدة طويلاً والواسعة عرضاً، وحفظ حقوق رعيته، وأقام معالم الدين، ومهما كتب عن هذه الشخصية فلن توفى حقها؛ ولذا فقد كان "من الصعوبة بمكان أن يكتب كاتب عن عبقرى كالمملك عبدالعزيز، كان أمة في إنجازاته التي لا يمكن أن توصف بأقل من أنها إعجاز، وكان أمة في شخصيته الفذة التي لا يمكن أن توصف بأقل من أنها ذات تميز وتأثير قوي"^(٩). ولتفرد هذه الشخصية كثرت المؤلفات التي درستها، وتعددت البحوث التاريخية التي وثقت سجلها، وبالرغم من كثرتها، فإنني - وبحدود ما وقفت عليه - لم أجد عملاً أدبياً وثق سيرته، وتتبع مراحل حياته، وفق بناء سردي أصيل إلا هذا العمل الموسوم بـ(حينما يبتسم القدر) للروائي أ. عادل الرشيدى، فقد رصد تحركاته، ووثق بطولاته، وصور فروسيته ببراعة جمعه المعلومات، واتكأه على الخيال التاريخي، متتبعاً حياته منذ سني شبابه في الكويت حتى تحقيق غاية أمنيته، وهي استعادة ملك آباءه وأجداده بفتح

(٩) السماري، إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٧.

الرياض (الأرض الحلم)، إلى أن ختم ذلك بوصيته إلى مَنْ سيخلفه من بعده، ولهذا يقول كاتب الرواية في إحدى اللقاءات التي أُجريت معه: "ربما وثق الكثيرون سيرة الملك عبدالعزيز التاريخية، لكنني هنا في هذه الرواية أردت أن أكون منصفاً لأحلامه ولفروسيته ولإيمانه بدينه ورسالته التي حملها. وقد حاولت جاهداً الاستعانة بكل أحاديثه - رحمه الله - ولهذا جاءت الرواية أقرب إلى سيرة ذاتية للملك عبدالعزيز"^(١٠). ومما قرَّب الرواية إلى القارئ ذلك السرد المتأنق الآخذ بيد الخيال في كل ناحية من نواحي الرواية، فالخيال يعد عنصراً أساساً في أي عمل سردي، ومتى ابتعدت الرواية التاريخية عنه، اقتربت من الواقع، فتلك مسألة طردية متداولة، وبقرها من ذلك الواقع لن تصبح عملاً سردياً، وسيكون عمل الروائي حينها إعادة كتابة التاريخ مرةً أخرى، وذلك ما لم يحدث في هذه الرواية.

وتضعنا الرواية أمام عمل سردي مكتمل، يمكننا من تطبيق النظرية النقدية البنائية حينما نروم تحليلها، فبناء ملامح الشخصية وصيغ تقديمها ورصد أدائها في الحكى واضحة، وبنية المكان ووظائفه الداخلية والخارجية وإسهامه في إبراز مشاعر الشخصيات الروائية جميعها جلية، وتقنيات الزمان وترتيب أحداثه وأنظمتها ومدتها واستغراقاته متقنة، وسردها الروائي محكم، وفصولها متألّفة؛ ولذلك كله نجد أنفسنا

(١٠) حوار أجرته صحيفة (العربية نت) مع المؤلف بتاريخ: ٥ من ذي القعدة، ١٤٣٣هـ / ٢١ سبتمبر ٢٠١٢م.

أمام نص يعيد بناء حقبة تاريخية عصيبة الأحداث، عصية الأوضاع، وفق قواعد الخطاب الروائي وجمالياته السردية. يستفتح المؤلف روايته ببوحه الذي يظهر فيه ترده في تأليف هذه الرواية؛ لأن عمالقة الكتاب والعلماء كتبوا عن شخصية الملك عبدالعزيز عشرات الكتب، لكنه تجاوز ذلك التردد بعزمه على تقديم هذه الشخصية بطريقة جديدة تنحو منحى الروائية التي تقصر المسافة على القارئ في الحصول على إضمامة عن حياة هذا البطل، وتُري القارئ كيف وحد دولته، وأرسى قواعد الأمن، وأحكم الشرع، وجارى الدهاة، وأنقذ العرب من افتراس الغرب. وعندما شرع الروائي في الكتابة لمدة أربعة أشهر حتى انتصف قرر التوقف عن الأمر برمته، غير أنه في إحدى الليالي رأى رؤيا عجيبة، رأى الملك عبدالعزيز في شبابه واقفاً في بيداء ممحلة، وعن يمينه بيت من الشعر، شديد البنيان، متماسك الأطراف، وخلفه شجرة كثيرة الأغصان خاوية على عروشها، وعن شماله أسد وشبل يلعب أصابع يد الإمام اليسرى، وقد حفت به حيوانات مختلفة منها الأليف ومنها المفترس، والأخيرة تهجم على الأولى التي تفر منها بأمان، وقد طالتها مخالب الأخرى غير أنها تكف عنها، وفجأة نمت الأرض وربت، وبدأت الشجرة الخاوية تحيا ويكسوها ورد زهري اللون رائع الجمال، وقائل يقول: "إن هذه سلة الزهور ولا تثبت إلا في جزيرة العرب"^(١١)،

(١١) الرشيدى، عادل، رواية (حينما يبتسم القدر)، (د.ن)، ط. ٣، ١٤٢٤هـ،

عندها عقد المؤلف العزم على إكمال روايته، فكان لتلك الرؤيا الأثر الكبير في دفع همة الروائي لإكمال هذه الرواية، وإلا لظلت عملاً خديجاً، أما الرواية فإنها تتألف من بوح ومقدمة وثلاثة فصول.





- رواية تاريخية تروي الأجيال كيف كافح الآباء لبناء هذا الوطن وكيف تكاتفوا وتماسكوا وسط أنواق الفتن التي تريد هدم وطنهم.
- سمو الملكي الأمير د. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود أمير القصيم
- استطلاع الروائي والمؤرخ عادل الرشيدى استنطاق التاريخ بهذه الرواية.
- المؤرخ أ.د. عبدالله العثيمين (رحمه الله).
- صياغة فنية وحكيمة إبداعية وتمكن من مفاصل الأحداث التاريخية التي تجعلك تعيش حدث هذه الرواية.
- الباحث والمؤرخ أ. راشد العساكر
- يُعد .. صرح الأستاذ عادل الرشيدى أو روايته (حينما بيتسم القدر) هي صرح منيف زينته بدايات (ال ٢٥ صيفاً) التي تحكي حلم الملك عبدالعزيز في بداياته الأولى ورصعته (ال ٢٥ خريفاً) التي تساقطت فيها أوراق الحلم ليحل مكانها أوراق تفسير الحلم وتحقيقه على أرض الواقع وكانت جوهرة التاج فصول (ال ٢٥ شتاء) التي تكامل فيها بناء قطب دولة مركز تسمى المملكة العربية السعودية كانت ومازالت محورا أساسيا لأحداث الشرق الأوسط.
- الكاتب **فهد ابن حجري**
- استطلاع الروائي عادل الرشيدى أن بلم شمل موضوعه وثبتت بجدارة أنه قادر على الإحاطة بالفكرة الرئيسية من خلال حبكة متقنة وسرد متقن.
- د. إيمان بقاعي
- رواية لها عمقها التاريخي مما يجعل القارئ يحيط بتفاصيل قيام المملكة العربية السعودية.
- د. فهد ابن صبح
- وبحود ما وقفت عليه لم أجد عملاً أدبياً وثق سيرته وتتبع مراحل حياته وفق بناء سردي أصيل إلا هذا العمل الموسم بي حينما بيتسم القدر.
- أ.د. عبدالله السويكت



عادل الرشيدى
مؤرخ وروائي

عضو رابطة أدباء الكويت
عضو رابطة أدباء الشام
حاصل على دبلوم هندسة طيران
من NETSAFA الولايات المتحدة
الأمريكية

مؤلفات

- ١- رواية ركبان الموت_ ملحمة داحس والغبراء
- ٢- رواية حينما بيتسم القدر.
- ٣- الكويت و قبيلة الرشادة كتاب تاريخي.
- ٤- رواية بيسان الحب والكراهية.
- ٥- المختصر المبين في سيرة خاتم النبيين.
- ٦- همدلان سيناريو فيلم.
- ٧- سيناريو ملحمة داحس والغبراء